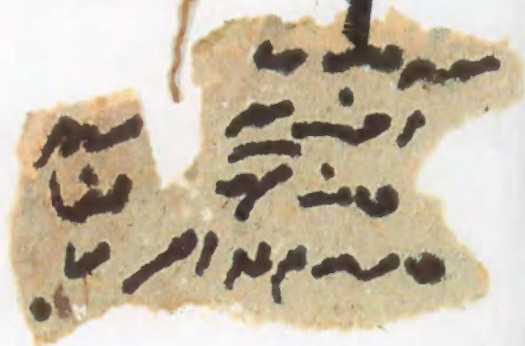


الطبعة الخامسة
منقحة ومزينة

أدونيس

ديولن الشعر العربي

الجزء الأول



مكتبة بغداد

أدونيس

ديولن الشعر العربي

الجزء الأول



الهاق

بيروت - لندن

© دار الساقى
جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الخامسة ٢٠١٠، مُنقَّحة ومزودة

ISBN 978-1-85516-370-6

دار الساقى
بناية النور، شارع العوينى، قردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ - ٢٠٣٣
هاتف: ٠٩٦١ ١ ٨٦٦٤٤٢، فاكس: ٠٩٦١ ١ ٨٦٦٤٤٣
e-mail: info@daralsaqi.com

إشارة

(حول الطبعة الجديدة الخامسة)

قلت في مقدّمة الطّبعة الثالثة من هذا الديوان: «أعترف للقراء الأصدقاء أنّ المعيار الذي اعتمدته في اختيار النصوص التي يضمّها هذا الديوان كان صارماً جداً. فقد استبعدتُ نصوصاً كان بعضهم يحبونها، أو تشكّل جزءاً من ذاكرتهم الشعرية. وأعترف أنّه خطر لي، فيما أفكر في هذه الطّبعة أن أجعل هذا المعيار أكثر ليناً وسعة. لكن، سرعان ما بدا لي أنّ مثل هذا العمل يفترض أن أعيد من جديد قراءة الشعر العربيّ كلّهُ».

إذاً، ها هو المعيار يتّسع ويلين في هذه الطّبعة الخامسة، وبخاصّة في ما يتعلّق بشعر الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، والتي لا نزال نطلق عليها اسم «الجاهليّة»، وهي الجذر والأساس اللّذان ينهض عليهما الشعر العربيّ واللّغة العربيّة.

تمكّن قراءة هذا الشعر من منظوراتٍ مختلفة. ويمكن أن يتمّ اختيار مجموعاتٍ منه، انطلاقاً من كلّ منظور. يمكنُ تبعاً لذلك أن يُقوّم هذا الشعر بطرقٍ ودلالاتٍ مختلفة ومتنوّعة. فقابليّة النصّ أن يُقرأ قراءاتٍ كثيرة، دليلٌ على غناه، وعلى أهمّيّته.

بالنسبة إليّ، أكتفي الآن بما قدّمت للشعر العربي في هذا
الديوان، وبالأبحاث العديدة التي خصّصتها له، في أكثر من
كتاب.

أدونيس

(بيروت، كانون الثاني/يناير ٢٠١٠)

الهامش الذي صار متنًا

(مقدمة الطبعة الرابعة، الهيئة العامة

لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦)

- ١ -

تسعدني هذه الطبعة الجديدة لـ «ديوان الشعر العربي» وذلك لسببين رئيسيين:

الأول ثقافي - اجتماعي يتمثل في أن هذه الطبعة تتم بمبادرة من أصدقاء، كُتّاب وشُعراء، أعترز بهم جميعاً - صداقة، وشعراً، وكتابة. وفي أن هذه المبادرة تهدف إلى الربط أكثر فأكثر بين الشعر والناس، تأكيداً على أن الشعر هو في الثقافة الأفق الأكثر رحابة، والهواء الأكثر نقاوة، وعلى أنه التعبير الأجل والأكمل عن الهوية. وهو هدف توفّر تحقيقه بساطة هذه الطبعة. وفي ذلك ما يُسهّل انتشار هذا الديوان، وإمكان اقتنائه.

السبب الثاني فني - إبداعي. فقد أنجزت اختيار هذا الديوان في مناخ ثقافي، صراعي، خلافي، وحاد، ولدته تجربة الحداثة في الشعر العربي، وتحديدًا كما تمثلت في مجلة «شعر». وقد مثل نشر الديوان، آنذاك، بأجزائه الثلاثة، نوعاً من النقاش غير

المباشر، حول بعض المشكلات التي أثارها هذه التجربة، في كل ما يتصل بالعلاقة مع التراث، والنظرة إليه، وكيفية فهمه، وبخاصة الشعر وجماليته المرتبطة بخصوصية اللغة العربية.

ويذكر المعنيون حدة الهجوم على هذه التجربة، وكيف أنه تخطى الحدود الشعرية - الفنية إلى تجريح شعرائها، والتشهير بهم، والتحريض عليهم، واتهامهم سياسياً بالعمالة للأجنبي، وبهدم التراث، واللغة العربية. يذكرون أيضاً كيف كانت السياسة عمياء بحيث شارك في هذا الهجوم، والتقى فيه صفاً واحداً، كُتَّابٌ من اليمين وكُتَّابٌ من اليسار.

ومما يجب ذكره هنا، للاعتبار والفائدة، أن القائمين بهذا الهجوم لم يكونوا يصدرون عن وعي حقيقي بالشعر العربي، أو عن تمجيده والدفاع عنه، بل كانوا يصدرون عن «وعي» آخر، وإلا لكانوا دافعوا عنه، في المقام الأول، ضد الثقافة المؤسسية السائدة، في المدارس والجامعات والحياة العامة، فهذه الثقافة شوهت الشعر العربي بسطحية نظرتها، وابتذاليتها، وتقليديتها، مما ولّد هوة كبيرة بينه وبين الذائقة الفنية عند الأجيال العربية الطالعة.

- ٢ -

كانت نقطة الارتكاز، بالنسبة إليّ في هذا النقاش، هي أن الحداث الشعرية العربية ليست قطيعة مع الشعرية العربية، أو التراث، وإنما هي، على العكس، تنوع يصل في بعض ظواهره،

أحياناً، إلى أن يكون شكلاً من أشكال الاستئناف. فالقطيعة مستحيلة: إذ كيف يمكن أن نلغي نهراً لا نزال نسبح في مائه؟ ولئن كنت تكلمت شخصياً على القطيعة مع الماضي، فإن ذلك جاء في سياق مختلف، وكانت له، تبعاً لذلك، دلالات مختلفة. فالماضي شيء آخر. الشعر لا يمضي، وإنما هو حضور دائم.

فرضت تجربة الحداثة أمرين:

١ - إعادة النظر في الشعر العربي، لفهمه فهماً حديثاً.

٢ - إعادة النظر في أشكاله وطرائق تعبيره، لابتكار أشكال جديدة، وطرائق تعبير جديدة.

من الناحية الأولى، قدمت الشعر العربي في منظور يشدد على ما كان يعد هامشياً، وفي مرتبة متأخرة، وأعني الشعر الذي انطلق من تجربة شخصية - حباً، أو حزنًا، أو تمردًا، أو تشردًا. أو استند أساسياً إلى المخيلة، وعني بالعوالم الداخلية - النفسية والفكرية. وفي ذلك أهملت الشعر الذي كان مقدماً وفي الصدارة، الشعر القائم، جوهرياً، على البلاغة اللغوية، تصادياً مع «البلاغة السياسية - الاجتماعية» شعر المدح، والفخر، والرثاء، والهجاء. الشعر الذي لا مكان فيه إلا للذاكرة الجماعية، أو للشأن العام، كأنه «ساحة» أو «سوق» أو «نظام».

هكذا تمّ انقلاب كامل في النظر إلى الشعر العربي، تترتب عليه، بالضرورة، علاقات جديدة معه، ثقافياً وفنياً. وكانت الناحية الثانية نتيجة طبيعية للأولى، وتتمثل في تغيير مفهوم الشعر، وتبعاً لذلك في تغيير طرق التعبير، وفي ارتياد آفاق أخرى، وطرح

قضايا أخرى، وابتكار أشكال فنية وطرق تعبيرية أخرى تفرضها طبيعة التجربة، وطبيعة المرحلة التاريخية، وطبيعة التغيرات الإنسانية والحضارية.

- ٣ -

اليوم، بعد مرور حوالى نصف قرن على صدور «ديوان الشعر العربي» بأجزائه الثلاثة (تحديداً اثنين وأربعين عاماً، فقد صدر جزؤه الأول في العام ١٩٦٤ عن دار المكتبة العصرية في بيروت) فإنه يبدو بمثابة حد فاصل: الشعر العربي قبله، والشعر العربي بعده. ولهذا يبدو كأنه المرجع الفني الجمالي الأول للشعر العربي، لا نقرأ فيه السلطة، بل الإنسان. ولا نرى فيه المؤسسة، بل الفرد. ولا السياسة، بل الحرية. ولا القبلية، بل التمرد. ولا بلاغة المتبع بل تجربة المبدع.

نرى فيه، باختصار، الشعر الذي يحقق الوحدة، كأى شعر عظيم، بين العابر التاريخي، والأبدي الإنساني. وهو، في ذلك، يمثل ينبوع الأول، والمادة الأولى للحدثة الشعرية العربية. هكذا يكتب شعر الحدثة، اليوم، باللغة نفسها التي كتب بها شاعرنا الأول «قائدنا إلى الجحيم»، امرؤ القيس. فلا تقدر الحدثة أن تبتكر جمالاً جديداً بلغة تجهل جماليّتها، وتاريخها الجمالي.

أدونيس

(باريس، أغسطس/آب ٢٠٠٦)

إلى القارئ الصديق

(مقدمة الطبعة الثالثة، دمشق ١٩٩٦)

I

كان ممكناً أن يُطبع هذا الديوان بأجزائه الثلاثة أكثر مما طبع حتى الآن، استناداً إلى الترحاب الكبير الذي لقيه، منذ صدوره، في أواسط الستينات. وإذا اتخذنا من السؤال المتزايد عنه مقياساً للحاجة إليه (نفدت طبعته الثانية التي صدرت عن دار الفكر في بيروت، سنة ١٩٨٦، وكان قد صدر في طبعته الأولى، عن دار المكتبة العصرية في بيروت، بين ١٩٦٤-١٩٦٨)، فإن هذه الحاجة، كما يشهد هذا السؤال، قوية وملحة.

هكذا تقوم «دار المدى» بإنجاز هذه الطبعة الثالثة، تلبية للرجة العميقة عند القراء العرب في العودة إلى الشعر، والسفر فيه ومعه إلى مناطق في حياتهم - واقعاً ومثالاً، يَصُبُون إليها، ويشعرون، عبر هذه الصبوة، بالغبطة والطمأنينة، وليس هناك ما يوصلهم إليها، أو يربطهم بها، إلا الشعر.

أعترف للقراء الأصدقاء أن المعيار الذي اعتمدته في اختيار

النصوص التي يضمها هذا الديوان، كان صارماً جداً. فقد استبعدت نصوصاً كان بعضهم يحبونها، أو تشكّل جزءاً من ذاكرتهم الشعرية. وأعترف أنه خطر لي، فيما أفكر في هذه الطبعة، أن أجعل هذا المعيار أكثر ليناً وسعة. لكن سرعان ما بدا لي أن مثل هذا العمل يفترض أن أعيد من جديد قراءة الشعر العربي كله ممّا يتعذر عليّ القيام به في هذه المرحلة من انهماكي في أعمال كتابية أخرى تأخذ وقتي كاملاً.

هكذا رأيت أن أحتفظ بهذه الصرامة، وأعيد طبع الديوان كما هو. وربما عملت، في مرحلة لاحقة، على طبعة جديدة، أراعي فيها اللين والرحابة، وأتلافى بعض الأخطاء الناتجة، أساساً، عن النسيان أو عدم الانتباه، وأضيف جزءاً رابعاً خاصاً بالتجربة الشعرية العربية الحديثة.

II

أزداد إعجاباً بالشعر العربي، ذلك أنني ازداد وعياً وقناعةً بأنه، بين وسائل الإفصاح عن الطاقة الإبداعية العربية، الأكثر جذرية وشمولاً، والأكثر حضوراً وكشفاً. ويخيل إليّ أنه، الآن، في نهايات هذا القرن، الوحيد الذي يعطي لهذه الطاقة بُعداً إنسانياً وبعدها الكوني على السواء.

III

الشعر العربي، منظوراً إليه من هذه الزاوية وفي هذا

المستوى، هو الهواء الأنقى الذي تتنفسه رئة الإبداع العربي . لكن هذا الهواء، مع ذلك، مؤطرّ وشبه محاصر، ويوشك أن «ينقطع» - سجيناً في أنابيب السياسة التي لا ترى أبعد من كرسيها المهيمن، والإيديولوجيا العمياء والتذوق المشوّش الكدير، والمعايير التي لا ترى في الإبداع الفني الجمالي إلا وظيفيته و«فاعليته» المباشرة. وذلك ممّا يجعل هذه الرئة نفسها تضيق، وتضطرب حتى لتكاد أن تختنق.

ولا أريد هنا أن أدخل في الكلام على الأسباب الكامنة وراء هذا كله، وعلى التأويل الممكنة التي تُعلّل وتجادل - فتسوغ، أو تصدر أحكاماً قاطعة.

أكتفي بالقول إن موت الشعر عند العرب هو موتٌ للغة العربية، أو هو، على الأقل، نهاية الدفعة الخلاقة العظيمة التي عشناها، بوصفنا عرباً، طول عشرين قرناً.

أدونيس

(باريس، نيسان ١٩٩٦)

مقدمة

(الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦٤)

I

يجيب «ديوان الشعر العربي» عن أسئلة شخصية طرحتها وأطرحها حول وضع الشعر العربي. وباعث هذه الأسئلة هو يقيني بقيمة هذا الشعر وأهميته. أريد أن أضيف إلى ذلك تأكيداً بأن عملي هذا عمل شاعر لا مؤرخ أو عالم.

نُدرِك أهمية هذا الديوان حين نتذكر أن الطاقة الإبداعية الأولى عند العربي هي الطاقة الشعرية، ونعرف كثرة الشعر الذي ورثناه عن أسلافنا ومقدار تنوعه وكثرة المصادر وتبددها واختلاف الروايات فيها، وحين نعرف أخيراً أن مكتبتنا الشعرية خالية من مجموعات جديدة تمّ اختيارها بوجهات نظر جديدة.

إلا أن هذا الديوان ليس ضرورة مرجعية يملأ فراغاً في مصادرنا الشعرية بقدر ما يملأ أيضاً فراغاً فنياً. إنه متحف للشعر العربي مختصر وجامع. فالشعر العربي، شأنه في ذلك شأن الشعر في العالم، يحتاج إلى إعادات نظر دائمة في ضوء الحاضر.

ويمكن النظر إلى هذا الديوان بوصفه فاتحة لهذه الإعادات . فما سبقه ، باستثناء حماسة أبي تمام ، كان جمعاً تقليدياً يؤكد المقاييس السائدة والذوق الشائع . وهذه فاتحة ضرورية ينبغي أن تتلوها محاولات ثانية - بروح هذه الغاية ، لكن بوجهات نظر أخرى . وتبدو أهمية هذه البداية وضرورتها ، خصوصاً في مرحلتنا الانتقالية الشعرية ، حيث نشهد نوعاً من التحول يتردد بين قيم القديم وقيم الحديث ، بين جمال الطبيعة وجمال الخلق .

ثم إن هذا المتحف الشعري يساعد في إعادة الاعتبار إلى الشعر كفاعلية إبداع أولى في الحياة العربية . ذلك أن دوره الآن بدأ يتضاءل بالنسبة إلى مستوى رسالته الأصلية في حياة العرب . هذه ظاهرة أزمة ، علينا أن نعترف بها . ومهما تكن أسبابها سياسية أو دينية أو راجعة إلى طبيعة مرحلتنا التاريخية ، فإن هذا لا يجوز أن يلهينا عن التأمل فيها ودراستها .

وهذا المتحف التراثي يدعم إيماننا ، نحن المؤمنون بضرورة التحول وولادة قيم جديدة ، ضد الذين يتمسكون بالتراث - حرفاً وإعادة واجتراراً . فالديوان دليل تراثي على أن الشعر الباقي ليس الشعر الذي يعلم أو يكون صدى للظروف والأوضاع الخارجية . وهو أيضاً دليل يدعم يقيننا بالفرق الكبير الذي قد يصل إلى درجة الفرق النوعي ، بين النظم والشعر . لم يبقَ من تراثنا الشعري غير الشعر . هذا ينبهنا ، اعتماداً على تراثنا نفسه ، إلى أن الأهمية الأولى في الشعر ليست في مراعاة الأصول النظمية وإنما هي في الاستسلام لجموح الموهبة وهواها ، وترك التجربة تأخذ الشكل

الذي يلائمها، بعفوية ودون قيد مسبّق من أي نوع كان. الشعر طاقة متحركة، لا تحد بأي شكل نهائي، فبالأحرى ألا تحد بأي وزن مفروض.

ثم إن هناك تقليداً طويلاً العهد أفسد الذائقة الأدبية عند العربي، وشوه بالتالي نظره إلى الشعر. إنه تقليد السياسة والدولة وصراع الحكم وما يرافقه. هذا التقليد يستمر بشكل أو بآخر ويوجه إلى مدى بعيد قسماً كبيراً من أجيالنا الطالعة. إن «ديوان الشعر العربي» محاولة للاستعانة بالتراث ذاته، وبصورة مباشرة، لإشاعة الجمال والشعر كما كان يفهمهما الشاعر العربي، بعيداً عن الخليفة والقبيلة، وللتدليل على أنه لا يصح أن نحدد أثراً شعرياً بمحتوى سياسي أو عقائدي، ولا يمكن كذلك أن نحكم عليه بمقياس سياسي. فهذا الديوان يضم شعراً لا يخدم مذهباً ولا عقيدة ولا دولة ولا شخصاً، ومع ذلك وبفضله يمكن القول إنه هو، وحده، مجدنا الشعري.

والديوان، بسبب من هذا كله، تقويمٌ آخر، ومعرفة أخرى للشعر العربي. فأنا أعتقد أننا، تقليديين ولا تقليديين، لا نعرف الشعر العربي حق المعرفة. ما نسميه عصر النهضة، بعد انحطاط دام ألف سنة، لم يكن إلا تقليداً للنماذج التراثية. ولم يتناول هذا التقليد الروح الداخلية في هذه النماذج، إذ لو فعل لكان أجدى. لكنه تناول الشكل، وفوق ذلك لم يفهم من الشكل إلا جانبه اللغوي. لهذا كانت النهضة، إذ جاز لنا أن نسميها كذلك، إحياء لأساليب اللغة القديمة. وكان من الطبيعي أن يوافق ذلك إحياء

النماذج الأدبية التي تتمثل فيها، قليلاً أو كثيراً، قوة اللغة وأصوليتها. هذا الإحياء لم يفهم روح اللغة العربية: نظر إليها من زاوية النحو والصرف، لا من زاوية الشعر والإبداع. لذلك لم يفهم الشعر العربي ولا الروح العربية.

اللغة العربية لغة انبثاق وتفجر، وليست لغة منطق أو ترابط سببي. إنها لغة وميض وبصيرة - امتداداً إنساني لسحر الطبيعة وأسرارها. في كل قصيدة عربية عظيمة، قصيدة ثانية هي اللغة. بهذه اللغة السحرية لا بلغة النحو والصرف آمن الشاعر العربي. هذا الإيمان حصيلة شعوره بأن العالم حوله يتفتت، ويتلاشى. هكذا يترك للغة أن تجمع فتبني هذا العالم وتهدمه على هواها. الموجود المباشر الحقيقي، هو اللغة لا العالم. ومن هنا كانت اللغة في نظر الجاهلي سحراً خارقاً، وفي نظر العربي عامة، عطية الله.

طبيعي أن مثل تلك النظرة الشكلية التي سادت ما نسميه عصر النهضة لا يمكن أن تكون خلاقة، أو أن تفهم حقيقة التراث الشعري، بخاصة، ومعنى إحيائه، وأن تدرك الجدير بالإحياء أو بالإهمال. هكذا لم تقدم لنا تلك النهضة من تراثنا الأدبي والشعري إلا النتائج الذي يتردد بين نزعتي الحكمة والتعليم من جهة، والسياسة وما اتصل بها من مدح وهجاء من جهة ثانية. لم تقدم لنا غير النتائج الذي لا تبرز فيه شخصية الشاعر ونظرته وتجربته بقدر ما تبرز فيه شخصية المجتمع وعاداته وتقاليده

ومصطلحاته السائدة - النتاج الذي لا يمكن، بتعبير آخر، أن يفيد في نهضة شعرية حقاً.

علينا، من هذه الناحية، أن نعذر الذين يقولون لنا، من الأجيال الطالعة، إن الشعر العربي رتيب عادي لا يأسر ولا يفاجئ ولا يهز. فقد نقلته إليهم عقليات ومناهج لا ترى فيه أبعد من المفردات والوزن والموضوعات التي اضْطُلِحَ عليها والمقاييس التي شاعت. وهكذا بدا لهذه الأجيال شعراً جافاً بعيداً. وبدا، في جفافه وبعده، خالياً من الفن. وقد تطور موقف اتهام الشعر العربي القديم إلى عزوف عن قراءته، وخصوصاً بين فئات الجيل الطالع، وربما لم يعد يجد فيه الكثير بينهم أكثر من ظواهر ماتت لا تجوز العودة إليها.

وساعد النقد الشعري في تمكين العزوف وزيادته. فقد اكتفى هذا النقد، على الأغلب، بأن يكرّر مقاييس النقد القديم، وينقله بشكل أو آخر - فيدور حول شكل الشعر وصناعته وأوزانه دون أصالة في النظر تذهب إلى ما هو أبعد وأعمق.

إن النهضة الحقيقية تبدأ في الربع الثاني من القرن العشرين، حيث توقف التقليد الأعمى، وبدأ المفكرون والشعراء والكُتّاب يفهمون عصرهم، وينظرون إلى تراثهم من خلال التغيير الشامل الذي طرأ على الحساسية الشعرية في القرن العشرين، ويعيدون النظر أساسياً في كل شيء، مخضعين للنقد المقاييس والقيم الماضية جميعاً.

ما المقاييس التي اعتمدتها في اختيار «ديوان الشعر العربي»؟
عن هذا السؤال أجيب أن اختياري شخصي. فالاختيار الفني مهما
حاول الإفادة من قيم جمالية غير شخصية يبقى، كما أرى،
شخصياً خاضعاً لآلاف اللطائف، الدفينة أو الظاهرة، المتأصلة أو
العابرة، حتى ليستحيل إخضاع حركتها إلى أية منهجية واضحة.

حاولت أن أنظر إلى الشعر العربي من ناحية القيمة الفنية
الخالصة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتتخطى الاعتبارات
التاريخية والاجتماعية، لكن دون أن يعني ذلك أنني نفيت أهميتها
ودورها. الشعر يكتسب قيمته الأخيرة من داخله، من غنى التجربة
والتعبير، وليس من الخارج، مما ينعكسه أو يُعبّر عنه. فلا يمكن
تقويم الشعر بمقياس التّظر إليه بوصفه وثيقة اجتماعية أو تاريخية،
أو بوصفه يتناول موضوعات معينة دون أخرى. إنه صوت كاف
بنفسه، قائم بذاته، فيما وراء موضوعه وبيئته.

أن يكون امرؤ القيس أو غيره غنى ليل الصحراء ونهارها أو
أي موضوع آخر، أمرٌ ليس مُهمّاً بحد ذاته. المهمّ هو كيفية غنائه:
هل ارتقى بالحادثة الجزئية إلى مستوى إنساني كلي؟ هل ما يزال
تعبيره يحتفظ بالحرارة والعمق وحساسية الإبداع؟ هل سيطرت
عليه الحالة المحيطة به، اجتماعياً وتاريخياً، فجرفته وصيّرت صوتاً
شاحباً يردد أصداها ويكررها، أم أنه، فيما يراها ويعيشها
ويعانيها، تعالى فوقها، بطاقة الشعر وزخم الإبداع؟

ينتج عن ذلك أنني تتبعته في اختياري الخط الذي يصلنا
بشخص الشاعر - بهومومه وأفراحه وآلامه وحياته هو - فيما وراء

السياسة والقيم الاجتماعية السائدة: الخيط الذي يصلنا بالشخص لا بالمجتمع، بالإبداع لا بالتاريخ، بالشعر لا بموضوع الشعر. هذا يوجب عليّ أن أشير إلى أنني أميل إلى القول بأن المدح والهجاء وما يشابههما أو يتصل بهما، جزءٌ من تاريخنا السياسي والاجتماعي، أكثر مما هو جزءٌ من تاريخنا الشعري. وهذا يتضمن أنني لم أقوم الشعر العربي على أساس موضوعاته، وإنما قوّمته من حيث طريقة التعبير ومدى تجاوبها مع القيم الشعرية المعاصرة ومع فهمي للشعر.

يفترض هذا كله أن يكون للشاعر الذي يقع اختياري على شيء من نتاجه، صوت خاص به دون غيره. وأن يكون هذا الصوت ملء اللغة الشعرية وملء قامة الشعر: لا يطيع إلا ضرورته الداخلية، بعيداً عن التقليد أو التكرار وعن استنساب الطريقة التعبيرية الشائعة.

سبقت هذا كله الحياة من جديد مع الشعر العربي. فلا نستطيع أن نتذوق أو نفهم أثراً فنياً ماضياً إلا إذا حيّنا فيه من جديد: ندخل إليه من جميع أبوابه، ونمنحه الحضور.

لكن كيف نحيا مع قصائد الماضي؟ كيف نميّز بين قصائد لا تزال تحتفظ بحضورها وقصائد جمدت وماتت؟ الجواب شخصي ولكلّ جوابه. ولئن كان اختيار الجواب حقاً للجميع، فليس هناك إلا قليلون جداً يعرفون الإجابة، ويعرفون كيف يعرضون من جديد، في ضوء العصر الذي نعيشه، الشعر القديم الذي لا يزال يحتفظ بحرارته وغناه. هذه أمورٌ تقتضي طاقة روحية

وفنية كبيرة تتقمص هذا الشعر، وتعرف كيف تستعيد أو تستحضر تجربته بوعي وشعور جديدين وخلاقين.

«... لو أن الفتى حجر» - هذه الأمنية التي جاءت على لسان تميم بن مقبل، مفتاح من المفاتيح الأساسية لفهم الشعر الجاهلي. إنها مرصد نطل منه على جغرافيته الروحية وأبعادها. سلبياً، تكشف هذه الأمنية عن شعور العربي بأن الحياة هشة، سريعة الانكسار. فهي «ثوب مستعار» كما يصفها الأفوه الأودي، «أفسدها الموت» (كعب بن سعد الغنوي) - الموت الذي «يجري في النفس» كما تجري الشمس في السماء (قس بن ساعدة). فالإنسان «رهين بلى» (بشر بن أبي خازم الأسدي)، والقبر «بيت» الإنسان (دويد بن زيد)، و«بيت الحق» (الأفوه الأودي). إذاً، ليس هناك غبطة حقيقية، إذ ما هي «غبطة حي إلى الممات يصير»؟ (عدي بن زيد العبادي).

وتكشف، إيجابياً عن التوق إلى التغلب على الهشاشة والموت. ففيما يكتشف الشاعر العربي نفسه، يكتشف عبثية العالم الذي يرتبط به، مع ذلك، مصيره. هكذا تنمو ذاته في وحدة مزدوجة: لا صلة لها بما تتأمله، وهي كلما ازدادت تأملاً فيه تزداد إدراكاً للهاوية التي تفصلها عنه. وحين يتضح للإنسان انفصاله عن الأشياء حوله، يتضح له نقصه، وبالتالي، تعطشه لكمال لا يتحقق إلا في الخارج. يشعر، وهو يشارك الأشياء وجودها، أنه يعيش

وقتياً. يتعذب عذاب من لا يقدر إلا أن يخضع في النهاية. إنه خارج نفسه وخارج العالم معاً: كئيب يعتزل، ينتظر، يتململ، يغامر، ويتمنى أن يقهر الزمن والموت والتغير، يتمنى أن يصير كالحجر.

لهذا الوعي طابع فاجع عند الجاهلي، لأنه في بحثه عن المخارج، لم تكن تحركه فاعلية دينية نحو تعالٍ إلهي يخلص. فهو عالق بالأرض يبحث، من خلال وثنيتها، عن تعالٍ من نوع آخر، هو التعالي الأرضي. ليس له غير الأرض - يخلص لها ويخضع لإيقاعها. والإخلاص للأرض دخولٌ في العمل والحركة، أي فروسيّة وبطولة، من جهة، وهو، من جهة ثانية، يفترض الاتجاه إلى الخارج لفهمه والسيطرة عليه. الصحراء هنا هي الخارج، والصحراء عدو: لا تعطي، وهي مكان التغير والغياب. المكان، لذلك، ذو أهمية أولى في فهم الشعر الجاهلي.

للمكان عند الشاعر الجاهلي وجهان: وجه يجذب، ففي المكان وحده ترسم تحقيقات الفروسيّة وأبعاد الفارس. ووجه يخيف، إذ من المكان أيضاً تأتي مفاجآت السقوط. ومكان الشاعر الجاهلي، لريحه ورملة، نوع من المكان - الزمان: ينحني، يتداخل، ينتقل، يحير ويضيّع. إنه المكان - المتاه. من هنا هاجس الشاعر الجاهلي لجعل من المكان ملجأ. من هنا حسرته حين يرى إلى الأشياء تهدم وتغيب. فالمكان لغة ثانية خفية في تضاعيف القصيدة الجاهلية.

هذا المكان لا يتيح أي شيء إلا بالقوة. تصبح إرادة السيطرة

والتملك عند الإنسان، المحرك الأول. هكذا: حياة الشاعر الجاهلي بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمان، الضرورة والمصادفة. وهكذا يعرض نفسه قصدياً لمصادفات الحياة. فمن يملك الشجاعة ليجابه خطر المكان هو، وحده» يعرف كيف يكون سيد مصيره.

عجز الشاعر الجاهلي عن السيطرة على المكان، فأخذ، تعويضاً، يملأ شقوق عالمه بالبطولة. البطولة تطهر الحياة وتصعدها وتعيد لها زهوها وامتلاءها. وفي البطولة تتغير صورة العالم: يصبح الوجود انعكاساً للذات في مثالية شخصية، ويصبح العالم حركة فعل واقتحام وفروسية. يستسلم العالم في البطولة كما يستسلم في الحلم، فيتحد بالبطل وتزول، إذك، الحدود بينه وبين الإنسان - بين المظهر والجوهر.

البطولة لعب يهز الحياة، يفتتحها أو يغتصبها. والبطولة مغامرة: حين نغامر نغير وجودنا. نغامر؛ فننتغير، فنحظى بنفوسنا. نتخذ المغامرة طريقاً - نظل في هجرة خارج نفوسنا، لغاية واحدة: أن نجد نفوسنا.

تعبر البطولة عن نفسها بلغة متحركة. تخاطب الأعصاب والجلد والعضلات والحواس، أما الروح فتسحرها. اللغة هنا صورة الحركة الساحرة: فعالة، سلسلة من الإشارات الروحية تملأ الجسم نشوة تُحرّك وتفتّح. ولئن رأينا في نبرة الشاعر

الجاهلي ولغته غلوّاً في التصوير والتعبير، فإن مرد ذلك إلى أنه لا يقدر أن يقبل العالم أو يراه إلا في مستوى شعوره - مستوى البطولة والمغامرة: في الأشياء أيضاً يجب أن تجري دماء الفروسية.

وفروسية الشاعر الجاهلي لا تُعبر عن نفسها ببطش أعمى، بل تُعبر بشهامة تحتضن حتى الأعداء. المرأة التي تسبى لا تُذل، تبقى امرأة حرة «تخلط بخير النساء» (حاتم الطائي). وليس القتل غاية، بل دفاع وجزء من سياق الظفر والتفوق. إنها فروسية النجدة، تؤكد جهل الخوف، عند الفارس، وعبث الحيلولة بينه وبين عزمته.

ولئن كان الفارس يبكي على عدوه، بعد أن يقتله، ويقتله أيضاً بقوة من لا يبالي (المهلهل)، فلم يكن يقتل شخصاً أعزل، أو مستسلماً، أو طالباً العون. فللفروسية قداسة، مغلوبة كانت أو غالبية. والفارس المغلوب حرٌّ حتى في اختيار طريقة موته (عبد يغوث الحارثي).

ولا يفخر الفارس فخره الحق، إلا بانتصاره على فارس آخر في مستواه بسالة ومروءة. وكان يشعر، وهو في ذروة إيمانه بقوته، أنها محدودة، وأن هناك قوة تضاهيها: تجابهها وتستعد للغلبة. فهو لا يفخر بالقوة، بل بطريقة استخدامها - بالمبادأة والاقتحام. ومن هنا ظلت شخصية الفارس أعلى من الفروسية، وبقي سيد الحرب والأشياء. بكلمة ثانية، لم تستعبده القوة، لذلك لم تفارقه روح السوية، أو الإنصاف، حسب التعبير القديم.

وبلغت هذه الروح حدَّ امتداح العدو وقوته . فهو كثيراً ما «يستفّ
آخر الموت دون أن يستكين أو يجزع» (عبد الله بن سبرة
الحرشي)؛ وكثيراً ما «يكون أصبر على الموت» (زفر بن الحارث
الكلابي).

تدرك الفروسية العربية أن لها حداً هو الغياب أخيراً . فهي إذ
تردد بين حضور الوجود وحضور الغياب، تتضمن حسَّ الفجيعة .
لذلك ليس القتال عندها لعباً كيفياً، بل هو حاجة يفرضها قدر
الحياة للتسلح ضد قدر الموت . يدرك الفارس أنه سائر إلى
الموت، وأن الحرب تعجل هذا المسير . غير أنه، في الوقت
ذاته، موقن أن الحرب لا تقدر، مع أنها مليئة بالموت، أن تغلق
في وجهه أفق المستقبل وأبواب الحياة . إنه يتحرك، ويحيا،
بالحرب وفيما وراءها .

لم تتغيّر، جوهرياً، شخصية الفارس في الجاهلية والفترة
الإسلامية الأولى، لكنها تلونت بطابع إلهي - لم تكن للفارس
الجاهلي أية تعزية فيما بعد الحياة . كان يعتقد أن انتصاره أو فشله
يتوقفان على إرادته هو، وليس على الإرادة الإلهية . وكانت
الفروسية الجاهلية مبطنة بمرارة زالت في الإسلام، حيث صار
الفارس «يتكسّر باسم الله» (أبو الطفيل)، وصار للشهادة جاذبية
داخلية، من نوع آخر .

شخصية الفارس، كما يقدمها لنا الشعر الجاهلي، ملتزمة
وحرّة، متعاونة ومتفردة، جوابة ومقيمة في آن . ينتظم الفارس في
الحياة اليومية وسط الفوضى، وينسجم وسط امتداد لا شكل له .

في الليل يأسره النهار، وفي النهار يحن إلى وسادة الحبيبة . إنه
عشير الودد والخيمة والقدر والربع ، صديق الريح والشمس
والمسافات . في أعماقه شيء دائم يعذبه ، ويثيره ، ويدفعه ، ولا
شيء يرويه أو يرضيه أو يحده . إنه رقاص بشري : فليست فروسيته
الآتية الذاهبة إلا نوعاً من الثأر لنفسه المحدودة ، في نهاية
المطاف ، من هذه الطبيعة حوله - من فضائها وفراغها . بل إن ذلك
هو ما يدفعه للتهور والاستهانة بشخصه والتطوح في هوة المغامرة ،
لتصير حياته على مثال الصحراء : مطلقة ونسبية ، بسيطة ومعقدة ،
ثابتة وتنهار كالرمل .

إلى جانب هذا الوجه الأخلاقي في الفروسية العربية ، نرى
جانباً آخر أسمّيه فروسية اللانتماء . وتتمثل في الشعراء - اللصوص
والصعاليك والغاضبين بعامة . ولا تستند إلى شعور بالواجب ، بل
إلى الفردية التي تحس إحساساً طاعياً أنها قادرة على هدم قانون
الضرورة وتحقيق ما قد يعدّه العقل مستحيلاً . الإرادة هنا ، كنية
صافية ، هي الصفة الأولى للبطولة ، والبطل هنا رجل مأخوذ
بالشهوة ، يذهب في تلبيتها إلى آخر طبيعته ، وإن كان ذلك ضد
الشرائع الخلقية وضد المجتمع . بل إنه «يرى الوحشة الأنس
الأنيس» ، كما يعبر تأبط شراً ، «ويستأنس بالوحش» ، (عبيد بن
أيوب العنبري) .

بالفروسية يرفع الشاعر الجاهلي العالم إلى مستوى الكل أو

لا شيء - الانتصار أو الموت. وبالحب يرفعه إلى مستوى الفرح
الكياني الكلي الأسمى.

ينطلق الحب عند الجاهلي من الجسد، ثم تأتي النتائج
النفسية والذهنية. توفر اللذة الجسدية غبطة الاكتمال والتملك.
فيها يجد الجاهلي جنته الأرضية. المرأة له، الواحة والماء
والجمال كله: رمز الخصب والطمأنينة، رمز ما يبعث ويخلق،
وما يعلو ويتسامى. وهو يشعر، إذ يسيطر على المرأة، أنه يسيطر
على الطبيعة نفسها. فالمرأة غاية لغايات وراءها وأكثر منها. كأن
الشاعر العربي يعتقد أن في المرأة قوة سحرية خيرة تؤثر في الروح
والجسد معاً. وهو يقرنها دائماً بالطبيعة ويراها فيها، حتى ليخيل
أن موقفه هذا يضمّر شعوراً بتفوقها عليه. ولعل البكارة، تأخذ
معناها السحري تقريباً من هذا الشعور: فإذ يفضّ العذراء يحدث
في جسدها تغييراً أساسياً يدفعه إلى الظن أنه، وهو مخلوق
المرأة، قد خلقها بدوره. وهذا على الصعيد الأسطوري، يؤكد
بشكل آخر، الأسطورة القائلة بأن آدم خلق قبل حواء.

العيد الأول في حياة العربي هو عيد الجسد حيث تتوحد
الشهوة واللذة والنشوة. فالشاعر العربي دائم الصلاة، وهذه آية
صلاته: العالم جسد لكن اجعله، أيها الحب، أكثر امتلاءً وحضوراً.
هناك، إلى جانب هذا الحب الجسدي، الحب العذري.
العالم، بالنسبة للشاعر العذري صورة شفافة لحبيته. كل شيء فيه
يصير على مثال حبه: يصفو، يتلأأ، يخلع ثوبه الكثيف المعتم،
ويصير روحاً.

لكن جدل الأطراف أساسي حتى في الحب العذري . بعد المشاركة العزلة . فإذا لم يكن هناك شيء يتعلق بنا ، فإننا لا نريد أن نتعلق بأي شيء . يصير العاشق غفلاً ، يموت وحيداً في البرية كأي حجر ، شأن المجنون والمرقش قبله .

لهذا كان الشعر العذري كالحب العذري تجسيداً للحياة في فشلها المقدس ، في الظمأ الأبدي وحنين الروح للجسد ، والحرارة التي لا تقدر أن تثقب أسوار الحصار . وكان الشاعر العذري يدرك بفطرته الميل الغريزي عند المرأة للمعذبين الذين صعقهم القدر ، وبالتالي لمواساتهم والقضاء على آلامهم . لهذا كان يقدم نفسه لحبيته في حركة من التعاطف الأولي البدئي ، ويصوّر نفسه جريحاً معذباً ويدعوها إلى أن تبادله حبه ليتم شفاؤه . إنه بذلك يصوّر لها أعماقها : فهي ، بغريزتها ، لا تريد أن ترى في العالم إلا الطفولة . وينبغي أن نرعى الطفولة ونسهرَ عليها .

وحين يخاطب الشاعر العذري حبيبته بلهجة الاستعطاف والانسحاق ، فإنه يقدم بديلاً شعرياً لفعل الحب : يغرق الذكر في الأنثى كقوة هائلة سرعان ما تتلاشى وترقد في أحشائها كأنها الطفولة . وليس تمنيه للموت إلاّ صدى الفطرة الأولى : ففي فعل الحب يترك الذكر عادة الحياة ، عادة الوضوح والتعقل ، ويدخل عالم الانخطاف والنشوة والغيوبة - العالم الواقف على حافة الموت ، الشبيه بالموت .

العذرية والجسدية هما طرفا الحب عند الشاعر العربي : الأولى تراجع إلى الداخل ونقاوة ، والثانية اتجاه إلى الخارج

وانغماس في الحسية. وهما معاً وجها حقيقة أولية في حياة الإنسان، ومحرك فطري. وفي الجسدية، شأن العذرية، بعد روعي ونار سحرية تدفئ وتضيء. فالحب الجسدي يعبد وإن كان ملعوناً. ذلك أن المرأة - الجسد والروح، هي، بالنسبة للشاعر الجاهلي، مكان يتصالح فيه مع الزمن والموت.

تمثل لنا الحساسية الشعرية العربية، على صعيد الحب، جدلاً بين اللذة والألم، بين التخلي والتملك، بين الغبطة والحسرة. هذه الحساسية نقيض اللذة التي تحارب الألم لتقضي عليه، ونقيض الألم الذي يريد أن ينفي كل لذة. وحدة اللذة والألم، في هذا المستوى، دليل على سمو المشاعر عند الشاعر الجاهلي. كلما تعمق الإنسان في فهم كيانه، ازدادت هذه الوحدة وضوحاً وازداد إدراكه إيها. وطاقة اللذة أو الألم دليل على طاقة الحياة - فبقدر ما يحيا الإنسان بعمق، يتألم أو يغتبط بعمق.

والزمن عدو الشاعر الجاهلي بعامة، وعدو العاشق خصوصاً. ليس عند العشاق زمن بالمعنى الذي يتعارف عليه الناس. زمنهم هو لحظات هيامهم ولقائهم وحسب. لا يجري زمنهم متواصلاً كالماء، بل يتجزأ قافزاً كالفراشات.

«ليت الزمن يتوقف» - ذلك هو رجاء العاشق، ذلك هو جوهر كل شعر عظيم في الحب.

يغني جران العود النميري لحظة اللقاء في الليل، فيود لو يتناول هذا الليل إلى الأبد ويتساءل: لماذا النهار - لماذا هذا الزمن الرياضي الأجوف؟ إن في لحظة لقائه مع حبيبته،

الزمان كله - أبدية الحياة والموت والنشور .

بلى ، إن الحب مركز تتلاقى فيه الأطراف : الحياة والموت ،
الغبطة والألم ، القبر والانبعاث . ويتضح هذا المعنى عند
العذريين ، بشكل خاص : لا حب عندهم ، دون ألم أو موت .
الحب والموت عندهم ، واحد . يرفض العذري التخلي عن حبه
ليتخلص من الألم أو الموت . الألم والموت آثار تركها حياتهم
وهي تندفع بقواها الخفية صوب المزيد من الحضور وغبطة
الحضور - في ملكوت الحب . كل شيء في كيان الشاعر العذري
يصير ، بقوة الحب ، سحراً وكيمياء تحويل . الحب عنده قوة تسير
بفاعلية أسطورية ونوع من الانسياق والاستسلام يرى فيهما ، سواء
اتحد بحبيته أم لم يتحد ، نفسه ووجوده ، وطريق خلاصه . وليس
شعره إلا واسطة للتغلب السحري على الزمن الرياضي ، وخلق
زمن نفسي آخر : مليء ، لا يمر ولا ينفد ، - زمن يجري خفية
داخل الزمن .

الشعر العربي شعر شهادة : لم تكن غاية الشاعر العربي أن
يغيّر العالم أو يتخطاه أو يخلق عالماً آخر . كانت غايته أن يتحدث
مع الواقع ويصفه ويشهد له . يحب الأشياء حوله لذاتها ولما تمثله
ويضع كل شيء حيث يفرح به ويفيد منه . لا يحاول أن يرى في
الواقع أكثر مما فيه وإنما يحاول أن يراه بكل ما فيه . هكذا يكتسب
كل شيء في لوحة الصحراء قيمته ومعناه - من الحرذون إلى الجبل

ومن الكوكب إلى الحرباء . الشاعر الجاهلي بريء إزاء الطبيعة ، كالشمس التي تضيء أشياء العالم دون تمييز ودون تفريق بين العظيم والتافه . يسلك بمقتضى الأرض . واقعي - لكن بجموح وشهوة . غنائي ، صاف ، سواء في شهادته للمآثر الإنسانية بروح الفروسية أو للأشياء المحيطة بروح التعاطف ؛ يغني الفرح والمأساة ، الغبطة والكآبة ، الحب والكراهية ، التمرد والرضى ، الرجاء واليأس .

يريد الشاعر الجاهلي بوصفه شاهداً أن يعطي لما يشهد له صورة تطابقه . في كيانه ما يتوثب ويندفع إلى الخارج ليصير مثله - خيمة وامتداداً صحراوياً وليلاً . فشهوة التحقق في أعماقه تولد شهوة الخارج ، شهوة أن يصير مادة ، أن يتشياً هو نفسه أيضاً . إن فيه توقاً إلى أن يخلق زمناً آخر ومكاناً آخر .

لم يكن الشاعر الجاهلي ينظر إلى الأشياء بأفكار مسبقة . كان يحسها ويراها كما هي ، بسيطة واضحة . لا تخبي ، بالنسبة له ، أية دلالة متعالية أو أي معنى ميتافيزيائي . ثم إن شعوره بالانفصال عنها هو شعور كامل بذاته المستقلة ، ففي الجاهلية تعارض جوهري بين الذات والموضوع . لكن بينهما جدل يهدف به الشاعر إلى القبض على الأشياء ، فهو جدل انفصام يملك ويسيطر ، لا جدل وحدة .

الإنسان هنا ، لا الله ، هو مقياس الأشياء . وما الطبيعة إلا مجال لفعله ومرآة لتجاربه . والطبيعة عند الشاعر الجاهلي ليست موضوع تعاطف كوني ، وثنياً كان أو رومنتيقياً ، وليست ملجأ أو

تعويضاً - وإنما هي واقع بخشونة الحجر وعُري المسمار. هذا النظر إلى الطبيعة يمكن وصفه بأنه «حديث»، إذ يراها شيئاً أو موضوعاً، على النقيض من القدماء، خصوصاً لدى اليونانيين، إذ كانوا يَرونها نظاماً أو قانوناً. فليست الطبيعة في الجاهلية قيمة، وهي لا تنطوي على أخلاق ما، ولا تعلم شيئاً. كان الجاهلي، على العكس، يرى فيها وحدته الهائلة، ويتيقن ألا صديق له غير بسالته. وكانت تخلق في نفسه إرادة القوة واليقين بسيفه وبطولته يقيناً كلياً.

وكان وجود الشاعر في عالم كهذا لا قاعدة له غير القوة قائماً على البحث والقلق وحرية الحركة والعمل إلى الحد الأقصى. فيقينه بذاته ومصيره ينبعث من كون هذا العالم دون قاعدة - تبدأ أشياءه وتنتهي في سديم من التفتت والفوضى. فلم يكن الشاعر الجاهلي يرى في العالم فعل القوى الأبدية لإله خالق حكيم لا يمكن الشك بحكمته ولا تمكن مناقشتها. بل كان يرى فيه قوة تتلقى طاقات البشر الذين لا يرتبطون بشيء إلا بشياطينهم الخاصة. وكان يرى العالم أفقاً لعمل حرّ يزداد حرية يوماً بعد يوم. وكانت له حين تصطدم إرادته بالعوائق، عزيمة الإنسان الذي يرفض أن يفرض عليه العالم الخارجي معنى ليعترف به أو اتجاهاً ليسلكه، فينفصل ويتراجع ويعلن استقلاله ويمجده حتى في الفشل والسقوط وفي الجنون والجريمة. فالمطهر الحقيقي، بالنسبة للشاعر الجاهلي، هو في الحياة لا وراء الحياة.

ولم يكن العراك الدائم والانتقال والهجرة إلا أشكالاً من

رفض العالم الخارجي، وهو رفض يبقيه أو يصيِّره مجرد وسيلة لإشباع الذات وتوكيدها. فالعربي، في جاهليته، من نماذجنا المثالية الأولى: يشتهي الأشياء، يلتهمها آتياً عليها، باحثاً عن سواها. العلاقة بينه وبين ما حوله كعلاقة الخالق بمخلوقاته: ترفض الثبات والمحدودية وتقّس الفعل والحركة. الجاهلي عدو الوجود الثابت: لا يحس بوجوده إلا لحظة يرفض هذا الوجود - أي لحظة المغامرة. بالمغامرة تخفّ وطأة العالم أو تتلاشى. لا تعود هناك أية عقبة أو أي حاجز. يصبح العالم، هو أيضاً، فارس استجابة وعطاء.

العلاقة بين العالم وأشياءه من جهة، والشاعر الجاهلي من جهة ثانية، تسير في غاية الوضوح: وفق ضرورة عصية على إرادة الشاعر والأشياء معاً. ثمة ثقب وثقب يكشف عنها الشعر العربي في نسيج الواقع وجسده نلمح كيف تنضح ملأً وتكراراً بحيث يبدو العالم شبحاً مخيفاً قد نفهمه لكننا نعجز عن مقاومته، ونقبل أن نغنيه، لكننا لا نستطيع له دفعاً. هكذا يقدم لنا الشعر العربي، فيما يقدم، عالماً مسحوقاً، معاداً، يجتر نفسه ويتكرر حتى الظلمة - عالماً أشبه بمعسكر مفتوح للعدو المتربص المفاجئ - ومع ذلك لا مفر، في الوقت نفسه، من أن نقيم فيه خيامنا ونصغي إلى الخطوات العدو الآتية على مهل أو على حين غرة. هكذا أيضاً تتفتت التفاضلية الكلاسيكية. الصحراء، في هذا المستوى، تجسد جدلاً فاجعاً: كل شيء فيها ملك الإنسان وهو لا يملك أي شيء. إنها إمكان خالص، لحظة هي استحالة خالصة.

الأشياء، في نظر الشاعر الجاهلي، تعبر كالغيم، تتراءى،
وسرعان ما تغيب. تصبح كل لحظة تمر ذكرى شيء يضيع أو
يغيب، فلا يكاد الشاعر ينظر حتى تصير نظرتة جزءاً من الماضي.
من هنا تشبته بالحاضر. يملأ المسافة بينه وبين العالم. وإذا يملؤها
لا يثار من الطبيعة المنفصلة وحسب، وإنما يشعر بالسيادة عليها
أيضاً. والصحراء فضاء متشابه أو يكاد: ما نراه غداً يبدو مطابقاً
لما رأيناه أمس. ليس المستقبل إذاً، في مثل هذا الفضاء على
الأقل، إلا ماضياً مموهاً. فنحن لا نتعرف على شيء جديد، وإنما
نكرر بشكل آخر معرفتنا للشيء ذاته، أو لشيء واحد بثياب
مختلفة. كل شيء داخل مسبقاً في الماضي، وكل شيء أليف
رأيناه واعتدنا أن نراه.

من هذا الوضع الوجودي، انبثق ما تمكن تسميته حس
الدهر. وأعني بالدهر القوة الخارقة التي لا تمكن مقاومتها: تأخذ
كل شيء وتغير كل شيء. أمام هذه القوة يحس الشاعر الجاهلي
أنه عاجز ولا حيلة له. إنها ليست قوة الموت، بل قوة الحركة
الأفقية التي تندرج في تيارها ظاهرة الغياب - غياب الحبيبة والربع
والأهل والأصدقاء. إنه شيء خفي، يأتي من الخلف مفاجئاً، لا
يغلب. ومجيئه حتمي - الآن أو غداً أو بعد هنيهة. هذه القوة
ليست ظاهرة عابرة، وإنما هي نمط الحياة.

من هنا الكآبة المنغرس في الروح العربية والشعر العربي.
فالكآبة عند العربي نبع أصيل وطبيعة. ثمة حسرة في الشعر
الجاهلي تبطل الفرح. مهما زخر العالم بريح الفرح وناره يبقى في

نظر الجاهلي طيفاً يتلاشى مع الفجر الطالع . الدهر شقاؤه الأكبر :
يتحسسه بالأصائل والأسحار ، بالنهار والليل ، بالموت الذي مضى
وجاء ويحيى . الوجود كله نسيج طواه الدهر أو هو آخذ بطيه .

هذا يوضح لنا كيف أن حساسية الشاعر الجاهلي حساسية
إفراط وهياج ، تمزج دائماً بين غبطة الحضور وحسرة الغياب ، بين
ما نقبض عليه وما هو قبض الريح .

يوضح لنا أيضاً كيف أن الشعر الجاهلي يصدر عن حساسية
متمردة بقدر ما هي أليفة . الكرم - التواضع الخشوع أمام الضيف -
هو الوجه الآخر لكبرياء التمرد الذي يصل أحياناً إلى الفتك بالآخر
في سبيل التملك . تجسد هذا الجدل شخصية الفارس . فالفروسية
هي صيحة التمرد ضد العالم ، وغايتها إثبات الوجود والعيش
بامتلاء . حس الفروسية هو ، من هذه الناحية ، حس الكفاح ضد
الدهر . بهذا الحس يؤثر العربي - الجاهلي - الأعمال التي تأتي
عفواً ، على الأعمال التي تأتي عن روية وتفكير . وبهذا الحس
يقرن أصالة الشعور بأصالة العمل : سليقة الشعر الذي لا يخضع
إلا للانفعال وسليقة الشجاعة التي لا تأبه للنتائج . هكذا يتكامل
شكل الحياة مع معناها - وفي مستوى هذا المعنى . ومن هنا تألقها
وغناها وجاذبيتها .

الشعر الجاهلي هو هذا الجدل المحب الفرح الحزين الفاجع
بين الدهر المعتم والبطولة الشفافة ، بين الحتمية والحرية ، الصلابة
والعفوية ، الضرورة والمصادفة .

يتضمن حس الدهر حس التقطع . كان الشاعر الجاهلي يعيش في جدل مع الطبيعة المتموجة كالرمل ، مع الدهر القاهر ، ومع الغياب الدائم : كان إنساناً متقطع الحياة والحساسية . اللحظات التي يعيشها متفتتة ، مسحوقة ، مبعثرة تجهل سآمة اللذة الطويلة ، ولا تعرف غير شرارها المفاجئ لكن السريع التلاشي . كان شاعراً يقصر طموحه على المدهش الطفولي : يصدق بسرعة ، يفرح بسرعة ويعجز أن يثقل نفسه بسلاسل النظام ، عقلياً كان أو اجتماعياً . ليست لديه رؤية كاملة يفسر بها وجوده . لا يملك ذاته : قادر على العنف قدرته على الحنان . إنه طاقة انفعالية منذورة للفروسية والحب .

انعكس هذا الوضع الوجودي في شكل شعره : كيف يتأتى لشاعر هذه حياته أن ينصرف إلى بناء القصيدة والمؤالفة بين أجزائها؟ هكذا كانت القصيدة الجاهلية دون تأليف : لا تلاحم في أجزائها ، وليس لها إطار بنائي . إنها قصيدة متحركة . تتبع منحى انفعالياً ، وتمضي حيث يحملها شعور دائم التغير . تفككها الخارجي طبيعي إذاً . هو رداء الشعور المتحرك الداخلي . إنها قصيدة ترسم أيام القلب . إنها صورة بالكلمات عن المكان - المتاه ، المكان - الصحراء ، أعني أنها أشكال واحدة رتيبة . لكن الرتابة هنا طريفة ، وتمكن تسميتها رتابة التنوع ، أو «الرتابة الرائعة» حسب تعبير ألبير كامو في كلامه على الرتابة عند شيستوف . فالتكرار في الجاهلية هو بعد الصحراء الذي يتجلى عند النظر إلى الأمام والالتفات إلى الوراء . إن قفا العالم

الصحراوي ووجهه شيء واحد. الصحراء صخرة الحياة: جامدة في عنادها البخيل، العاري، الواحد الشكل. والشاعر مثلها راسخ في عناده وتطلعه إلى السيطرة والتملك. ومن ثبات كليهما ثباتاً يتناقض مع الآخر وينفيه، تتولد الرتبة. ثم إن الشاعر الجاهلي، إذ يواجه المطلق الأرضي، يعيش فيه ومعه بحساسيته الوثنية: يتعلق بكل شيء يخصه، ويرتبط كيانياً بكل ما يحفظه أو يؤاويه. فكلامه على ما يخصه طقس نفسي وحياتي وتعبيري من طبيعته أن يتكرر دائماً.

القصيدة الجاهلية خيمة هي أيضاً، مليئة بأصوات النهار وأشباح الليل، بالسكون والحركة، بالحركة وانتظار الوعد. هي شيء يحيط به الفضاء من كل جانب: مليء بالتجاويف، يتخلخل ويترنح، ويجلس في الحرارة الشاغرة. إنها فضاء الشاعر إلى جانب الفضاء الآخر المحيط.

القصيدة الجاهلية كالحياة الجاهلية: لا تنمو ولا تبني - وإنما تتفجر وتتعاقب. والشعر الجاهلي صورة الحياة الجاهلية: حسي، غني بالتشابه والصور المادية، وهو نتاج مخيلة ترتجل وتنتقل من خاطرة إلى خاطرة، بطفرة ودون ترابط، وهو شعر شهادة قوامها الدقة والتوافق التام بين الكلمات وما تعبر عنه، وهو زاخر بالحيوية والتوثب والحركة، وهو بهذا كله غنائي يقوم جوهرياً على الإيقاع. إنه شعر ممتزج بقدر الإنسان ومصيره، بأيامه وأشياءه الأليفة: شعر شخصي لجميع الأشخاص.

ولا تقدم لنا القصيدة الجاهلية مفهوماً للعالم، وإنما تقدم لنا

عالمًا جماليًا. المفهوم يتضمن موقفًا فلسفيًا، والفاعلية الشعرية عند الجاهلي انفعالية، لا تعنى بالمفاهيم بل بالتعبير والحياة والواقع. فجمال القصيدة الجاهلية لا يتصل بما تعبر عنه. يتصل بالحنين الداخلي الذي يوجهها ويحييها. إنها قصيدة تحب لذاتها، لا للموضوعات التي تتناولها. إنها لا تشرح عقليًا، بل تشرح بدءًا من الحساسية والانفعال وجملة المشاعر الإنسانية البسيطة والمعقدة، الغامضة والواضحة. وهي لا تحاول أن تعيد خلق الواقع، بل تتحدث معه. ولا يهملها أن يأتي هذا الحديث متلاحمًا بقدر ما يهملها أن يأتي مخلصاً لهذا الواقع الذي هو، بطبيعته أصلاً، غير متلاحم. فالمسألة بالنسبة للفاعلية الشعرية الجاهلية، ليست مسألة خلق الواقع من جديد بل مسألة شرحه: لا تقصد أن تحصل على مجموعة متماسكة من الموضوعات والأفكار، وبالتالي، على قلق في الشعر وبواسطته، وإنما تقصد أن تعيد من جديد هذا القلق وهذه الموضوعات والأفكار إلى مكانها في الحياة الأليفة. من هنا لا تشكل القصيدة الجاهلية عالماً مستقلاً، متميزاً، كافياً بنفسه، وإنما هي جزء من الحياة. إن طريق القصيدة الجاهلية موجود ومهياً حتى قبل كتابتها. فهي تشخيص وتمثيل لحالة قائمة مسبقاً، حالة ممجدة يعيشها الشاعر ويدافع عنها حتى الموت. إنها صلاة تشهد لحياته وتباركها. إذاً لا يقصد الشاعر الجاهلي أن يغيّر حياته، بل يريد على العكس، أن يؤكد لها الحياة هنا فرح مقبول سلفاً، وإيمان يوجه الحياة والحساسية. الوضع أولاً - ثم يأتي الشعر فيثبته ويغنيه ويمجده، ويهلل له.

الشعر الجاهلي سهم مرشوق لا ينظر إلا أمامه : لا يحيد ولا يلتفت إلى الوراء .

بين الجاهلية وأواسط القرن الثامن الميلادي، نستطيع أن نلاحظ خمسة اتجاهات شعرية أو، على الأقل، ملامح بارزة تشير إليها. أولاً، الاتجاه الفكري القائم على التأمل في معنى الحياة وفيما وراءها، ومن ممثليه الأول عمرو بن قميئة وأمية بن أبي الصلت، ويمكن أن نعدّهما المصدر الشعري العربي الأول لأبي العلاء المعري. ثانياً، الاتجاه القائم على الصورة الشعرية كطاقة إيحائية بحد ذاتها، ويُعدّ امرؤ القيس وذو الرمة بعده رائديه الأولين، ومن أغنى شعرائه، بعدهما، أبو تمام والشريف الرضي .

ثالثاً، الاتجاه الإيديولوجي، ويمثله الكميث بن زيد، ففي شعره نرى للمرة الأولى تبشيراً بقيم وأفكار معيّنة يمثلها عند الناس اتجاه سياسي واضح . الكميث، من هذه الزاوية، شاعرنا الملتزم الأول . وقد تحول بشعره من القبيلة إلى الناس، ومن الخليفة أو الوالي إلى الجماعة، ومن السياسة بقصد الوصول إلى الحكم والبقاء فيه، إلى السياسة بقصد نشر العدالة وتحقيق المساواة . ونرى في شعره، للمرة الأولى بعد عروة بن الورد، إشارة إلى الفقراء والجائعين، وإلى الذين يتمتعون بالخيرات دون سواهم، من حكام ومغتصبين .

رابعاً، اتجاه اللامتممين، أي الشعراء الذين اضطروا، لظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية، أن يعيشوا خارج مملكة النظام والمجتمع - في مملكة الطبيعة، حيث فضاء الحرية. ويمثل هذا الاتجاه الصعاليك واللصوص والغاضبون إجمالاً. ولشعرهم عالم متميز، خاص.

هناك أخيراً ما تمكن تسميته الاتجاه السحري، ويمثله الحكم بن عمرو البهراني. ولم أجد لهذا الشاعر الذي لم أعثر على أية معلومات عن حياته، إلا قصيدة واحدة. وقد أدخلته في هذا الجزء من ديوان الشعر العربي، ترجيحاً مني أنه عاش في أواخر النصف الأول من القرن الثامن الميلادي. والطريف أن قصيدته هذه تروى في سياق الكلام على الملح والطرائف. وليس هناك ما يمنعنا من القول إن الرواة والمؤرخين العرب أهملوا تدوين شعر كثير من هذا النوع. وقد نما هذا الاتجاه السحري. فيما بعد، عند الصوفيين.

في قصيدة البهراني - ولم أثبتها في الديوان كلها - تشويش للنظام وعلائقه وثورة ضد ثبات الطبيعة: إنها سحر يخلق نظامه وطبيعته. إنها كيفية خالصة - وحيث تسود الكيفية، تحل المرونة والليونة والتغير محل الثبات، والإمكان محل الوجوب، والسديم محل الرابطة الطبيعية. يصير أي شيء خاضعاً لأي شيء. ويصير العالم، وإن كنا لا نملك فيه إلا شيئاً يسيراً، ملكاً لنا كله. والتغير في هذه القصيدة سحري: أعني لا نرى عالماً اصطناعياً ينتج بفعل «التخدير»، بل نرى عالماً حقيقياً، ضائعاً. مثل هذا الشعر يقودنا،

بصوفيته وسحريته، إلى أسرار الطبيعة. فهذه القصيدة شعر آخر -
صلوات وتعاويز ورقى فيما وراء الشعر.

هنا، يمتزج كل شيء بكل شيء. الموت والحياة، الجنون
والعقل، الأرض والسماء، الجسد والروح. لا شيء يظل فاعلاً،
متوتراً متفجراً، غير الجموح والهوى والضياع في مناخ من العبث
الجميل الفسيح كالعالم.

II

من القبول إلى التساؤل: هذا هو الخط الذي ترسمه الحساسية الشعرية العربية بين امرئ القيس وأبي العلاء المعري. في القبول رضى وطمأنينة ويقين؛ في التساؤل تمرد ورفض وشك. القبول فرح وغبطة، والتساؤل قلق وهم؛ القبول علامة الثبات، والتساؤل علامة التحول.

فنياً، تمثل هذا التحول في الخروج على عمود الشعر العربي. وتمثل اجتماعياً، في رفض القيم السائدة، أو على الأقل في عدم النظر إليها بوصفها كاملة، نهائية. كان داء العصر، على الصعيد الإبداعي، الشعور الطاعني عند الشاعر بالحاجة إلى الاستحداث والتجديد. وكان، على الصعيد الاجتماعي، الشعور بأن هناك هوة بين الشاعر والآخر؛ بأنه وحيد والآخر جدار في وجهه. وقد عمل التطور الاجتماعي وتزايد السكان وتكاثفهم وتجمعهم في «المدينة» على إضعاف الصلات الحميمة بين الشاعر والآخر، وبينه وبين الطبيعة. ساعد أيضاً على تنمية الصلات التي تملئها الحاجة المادية وجملة الضرورات التي تنشأ من تشابك الحياة الاجتماعية وتعقدها. ساعد هذا بدوره على زيادة التصدّع

والضياع. صار المجتمع كتلة كثيفة معتمة تحول بين الشاعر والضوء، فازداد شعوره بأنه منبوذ، محاصر، مخنوق. لكن ردود فعله كانت قوية تتراوح بين الوحدة والسخرية والتعالي والرفض. وفي هذا كله، كان يشعر أنه يعيش في «زمان القروء» كما يعبر أبو نواس، وكان في الوقت نفسه يحس أنه سابق عصره ومعاصريه. وقد رافق هذا الإحساس بالاستباق التوكيد على الاندفاع الروحي والفردية. لم تعد حركة الشعر الحقيقية، وسط الركام الكثير الموروث، مرتبطة بالسياسة أو الأخلاق والعادات العامة الشائعة، قدر ارتباطها بحركة التطور الحضاري. لم يعد الشعر، بمعنى آخر، للفائدة والمنفعة بقدر ما أصبح عملاً إبداعياً داخلياً يجد فيه الشاعر تعزيتة وخلاصه. المنفعة تفرض موضوعات تعكس اهتمامات عملية وتفرض التعبير عنها بطريقة واضحة سهلة ليفهمها العدد الأكبر: كانت تتضمن حضور الآخر وغياب الأنا. وفي مرحلة التساؤل انعكست الآية: صار الشعر يقوم على حضور الأنا وغياب الآخر، أي على الطرافة والجدة والغرابة. أصبح الشاعر على حدة: بينه وبين الآخر الهاوية. كان الآخر عدواً.

يصرخ حمّاد عجرد أنه في محنته، يستجير الحجر والتراب لأنه لا يجد بين الناس من يجيره^(١). وشك بشار في الصداقة، فهي «ثوب منخرق»؛ لذلك يشعر، وهو بين الناس، أنه يعيش في

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٤، ص ٢٠٤. (أكتفي بالإشارة إلى ديوان الشعر العربي بكلمة الديوان، وأذكر اختصاراً رقم القطعة والصفحة).

صحراء من السراب^(١). وإذا كان أبو فراس يرى الناس ذئاباً تلبس الثياب^(٢)، بل هم شر من الذئاب كما يراهم ابن لنكك^(٣)، فإن الأُخيمر السعدي يرى أيضاً أن الذئب أفضل من الإنسان، فذلك يؤنس وهذا يرعب^(٤). أما السيد الحُميري فيرى أن الناس «حمير وبقر وأنعام» ليس لهم من الإنسانية غير الشكل؛ وهم يجهلون الكلام، فإذا نطقوا جاء نطقهم أشبه بنقيق الضفادع^(٥). ويصفهم محمد بن حازم الباهلي بأنهم جميعاً «أشباه الكلاب»^(٦)؛ أما دُغبل فلا يرى إنساناً، مع أنه حين «يفتح عينيه» يرى خلقاً كثيراً^(٧).

وتكشف تجربة ابن الرومي عن إحساسه الفاجع بغربته، وعن مدى الانشقاق بينه وبين الآخرين. يتساءل مستنكراً ما إذا كانت الأرض تشكو شخصه الثقيل أو تشكو تخمتها من جفاء أخلاقه حتى يلاقي ما يلاقيه من جفاء الناس وإنكارهم إياه^(٨). وهو يستغرب كيف أنه يعيش في مجتمع لا سيادة فيه لغير «البهائم والشرطة والموظفين»؛ يعيشون سعداء حاكمين كالأرباب، وهم

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٢٦، ص ٢١٧.

(٢) الديوان، ج ٣، رقم ١، ص ١٥٩.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٢٤٥.

(٤) الديوان، ج ٢، رقم ١، ص ٢٢٠.

(٥) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٢٢٢.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٣٣١.

(٧) المصدر نفسه، رقم ٢، ص ٣٣٣.

(٨) المصدر نفسه، رقم ٥، ص ٤٢٨.

دون العبيد^(١)، ويصل، تحت وطأة حياته البائسة، إلى الغضب حتى على «حرفة» الشعر لأنها هي أيضاً «تُسفِسِف» حظه، مع أنه ارتقى بها إلى مستوى لم يعرفه الشعر قبله^(٢). وينتهي ابن الرومي في وصف غربته وبؤسه إلى هذه الصورة المغلقة: ليس الآخرون وحدهم هم الذين يسدّون عليه أبواب الدنيا، بل إن الطبيعة هي أيضاً تتعاون معهم، فإن «بلاء البر والبحر»^(٣) يلاحقه أينما سار أو أقام.

ولا شيء يُرضي ابن المعتزّ غير «السخط»، فكل ما يحيط به يولّد في نفسه الشعور بالغربة، غربة الشباب في عالم شائخ - غربة الشعرة السوداء في رأس أشيب^(٤)، لذلك لا يشعر بوجود أحد؛ فيحيا على هواه، ممارساً اللذة التي يشاء، لحظة يشاء، دون اعتبار للناس، إذ ليس في الناس إنسان^(٥).

ومنصور التميمي يرى الناس هاوية عميقة، ويرى أن البعد عنهم هو وحده سفينة النجاة، فالناس يفسدون الحياة ويجعلونها قاتمة كريهة؛ الزمن نفسه يصير معهم زمان فقر و«كدح إلى الموت»^(٦). كأن الدنيا ملك الخنازير، كما يعبرّ الأحنف

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٥، ص ٤٢٨.

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٤٣٧.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٤٢٩.

(٤) الديوان، ج ٣، رقم ٢٤، ص ٢٤.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٨، ص ٢٥.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٧.

العكبري، وكأن للعنكبوت والخنفساء حظاً فيها أكثر من الشاعر؛ فللعنكبوت بيت وإن كان واهناً، وللخنفساء سكن وصديق^(١). في مثل هذا العالم يحلو لابن الحجاج أن يقول عن نفسه، بسخرية عميقة المرارة، إنه «من ملائكة الدولة» يأكل بلا خبز، وهذه «آية» لم يحظ بها الأنبياء أنفسهم^(٢). بهذه السخرية العميقة المرارة أيضاً يبشّر أبو الرقعمق بدواء يشفي من الناس هو «إكسير الحمق»^(٣). وتصف غباء الناس وآليته نادرة بطلها كلثوم بن عمرو العتابي، تكشف عن مدى تعلقه بوحده^(٤) وازدراؤه الآخرين^(٥).

هذه الأرض التي تحمل بشراً من هذا النوع غير جديرة بأن يسكنها الشاعر. هكذا يدعو الشريف الرضي:

-
- (١) الديوان، ج ٣، رقم ٢، ص ٢١٥.
 - (٢) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٢٠.
 - (٣) المصدر نفسه، رقم ١، ٢، ٣، ص ٢٣٦ و ٢٣٧.
 - (٤) الديوان، ج ٢، رقم ٥، ص ٣٣٧.
 - (٥) جاء في الأغاني، في ترجمة حياة كلثوم بن عمرو العتابي ما يلي: «روى عنه شخص قال: رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام. فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقلت: لا. قال فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر. فقام فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل النار. فما واحد إلا أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبه أنفه، ويقدره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك بأنهم بقر؟» (الأغاني الجزء ١٣، ص ١١٤ دار الكتب المصرية ١٩٥٠).

رمى الله بي من هذه الأرض غيرها
وقطّع من هذا الأنام علائقي^(١)

بلى، إن هذا العالم عالم قرود وبقر، عالم لا يدور بغير
النذالة والجهل، وما أشد ما يحتاج الشاعر إلى أن يصرخ في
وجهه: «إلى كم تدور يا خرف؟»^(٢).

الشعور بالغربة والانفصال عن الآخرين - «صدأ العيش»^(٣)
كما يعبر أبو تمام هو النسغ الذي يجري في تجربة أبي نواس
وأبي تمام والمتنبّي وأبي العلاء، مما سنشير إليه.

هذا الشعور بالغربة والانفصال يتضمن السخرية ويستدعيها.
لولادة السخرية من هذه الناحية، في العصر العباسي، دلالة كبيرة.
وقد تناولت كل شيء، حتى القيم الدينية، أرسخ القيم في الحياة
والروح. واستخدم الشعراء مصطلحاتها وألفاظها ونقلوها إلى إطار
آخر: أضفوا صفات القداسة على اللهو. المقدّس الجديد هو، في
آن واحد، ما يناقض المقدّس الموروث وما يلبي حاجة الروح في
اللحظة الحاضرة. وتجلّى المقدّس الجديد، أكثر ما تجلّى في
الخمرة، كما نرى بشكل خاص عند أبي نواس. فللخمرة عالم
مقدس، ولهذا العالم إمامه وأذانه، وفيه يتم السجود والركوع^(٤).

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١٦، ص ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٢٤٧.

(٣) الديوان، ج ٢، رقم ١٧، ص ٣٦٠.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٤، ص ٢٣٠.

السخرية منفى: فيه يشك الشاعر بالآخر ويشك بنفسه وبالشعر، كما نرى، بخاصة، عند ابن الرومي. وبين السخرية الحزينة المرة، والسخرية التي تعكس شعوراً بالكارثة، والسخرية الضاحكة، ينسحق العالم المحيط ويتفتت. فالسخرية تترجم حاجة روحية: المجتمع يسحق الشاعر بلا مبالاته وإنكاره، فيسحقه الشاعر بأن يسخر منه ويحتقره. إن السخرية في الشعر العربي تحلّ، أحياناً، محلّ التراجيديا. وقد اتجهت عند أبي نواس إلى أن تصبح مفهوماً للعالم ونظرة، كأنما أراد لها أن تحل محل الفلسفة والأخلاق^(١).

هكذا لم تقتصر السخرية في الشعر العربي على المضحك الذي يكتفي بأن يلاحظ الخلل في عالم الظواهر ويعبر عنه، وإنما تعدّت ذلك إلى أن تلاحظ أن وراء هذا الخلل الظاهري خللاً باطنياً يهدد جوهر العالم، فهي لا تنحدّ في نقد الظواهر والعادات والأخلاق، وإنما تشك في الإنسان ذاته، وفي النظام العام الذي يسيّر العالم.

لكن، ما معنى السخرية العميق عند هؤلاء الشعراء؟ إنه الرغبة بالظفر على الأشياء، بظفر الوعي على ما يحيط به. وهي تمنح الشاعر وشعره نبرة من الجموح والحركة تُحرّر العالم، وإن وقتياً، من سباته المعتم. وفي السخرية شجاعة استثنائية تصل بالشاعر إلى أن يجرب أحياناً تأثير سخريته على نفسه، مغامراً من

(١) الديوان، ج ٢، اقرأ بشكل خاص رقم ٦٣، ص ٢٥٢.

أجل الآخرين^(١). وهي، عدا ذلك، تخبئ حنيناً عميقاً إلى الشفاء الروحي وحلماً بنظام آخر في العالم حيث يجد الضحك والبكاء، الفرح والحزن، أشكالها وإيقاعاتها الطبيعية.

غير أن المغالاة في اعتبار السخرية علاجاً كافياً للمتاعب والشورور يكشف عن خللٍ في النظر. فالسخرية لعبة ما تكاد تنتهي حتى يبرز الجانب الجدّي الذي لا لعب فيه. فالتطهر أو الخلاص بالسخرية قصير عابر: لا يشفي من عبء الدهر، وإنما يزيد ثقله. ولعل هذا هو السبب العميق في أن الشاعر الجاهلي الذي كان مجبولاً بحسّ الدهر^(٢) لم يعرف السخرية، أو قلّما عرفها. ذلك أن شعره منذورٌ للفروسية والحب والبطولة. ربما كان هذا هو السبب أيضاً في أن السخرية لم تكن عميقة الجذور في الشعر العربي كله، بل كانت ظاهرة مؤقتة، ومحدودة. لعل هذا، أخيراً، هو السبب الذي جعل السخرية تتجمع كلها في نوع جديد هو ما نسمّيه سخرية الرصانة الفاجعة، كما تمثلت في شعر أبي العلاء المعريّ.

بشار بن بُرْد هو أول من «وصف»، على الصعيد الفني، التحوّل في الحساسية الشعرية العربية.

(١) الديوان، ج ٢ و٣، اقرأ خاصةً أبا دلامة ص ٢٠٢، وأبا الشمقمق، ص ٢٢٥ والواساني، ص ٢٢٧ وأبا الرقعمق ص ٢٣٦.

(٢) راجع مقدمة ديوان الشعر العربي، الكتاب الأول، بيروت ١٩٦٣.

سُئِلَ مرة: «بِمَ فقت أهل عمرك، وسبقت أهل عصرك في حُسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه؟ فقال: لأنني لم أقبل كل ما تورده عليّ قريحتي، ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري. ونظرت إلى مغارس الفُطن ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيّد، وغريزة قوية، فأحكمت سَبْرَها، وانتقيت حُرَّها، وكشفت عن حقائقها، واحترزت من متكلّفها، ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتني به.»^(١)

من هذا الجواب نستخلص بعض علامات التحوّل. منها أن الشعر صار فناً، أي أصبح لدى الشاعر، بالإضافة إلى هاجس التعبير، هاجس جديد هو كيفية التعبير. فلم يعد الشاعر «يقبل كلّ ما يناجيه به طبعه». ومنها أن الشعر صار نظراً في الحقائق، أي صار موقفاً. ومنها أن للشعر، باعتباره فناً، خاصيّة جوهرية هي التجاوز المستمر والتطلع إلى آفاق أكثر اتساعاً وجدة، فلا يملك قياد الفنان «الإعجاب بما يأتيه».

فطن بعض النقاد العرب إلى أهميّة بشار، فقالوا عنه إنه «قائد المحدثين» وإنه «أول المولّدين». لكنهم لم يلاحظوا من «حدثته» و«توليده» إلا أنه «أغرب في التصوير»، أي جاء بتشبيهات لم تكن مألوفة عند الأوّلين. هذا يعني أنهم أدركوا بعض الشيء الأهمية الشكلية في شعره، ولم يدركوا أنه سيفتح للشعر العربي آفاقاً كبيرة جديدة. ذلك أن بشاراً يتناول في جوابه أصولية الشعر العربي،

(١) الحصري، زهر الآداب، الجزء الأول، صفحة ١١٠، القاهرة ١٩٣٥.

يعني أنه يزعزع مفهوم الطريقة الشعرية الموروثة، ويشكك في ثباتها. ولئن كان بشار يعبر عن هذا الشك من ناحية «الشكل» أو «الطريقة»، بخاصة، فإن أبا نواس عبّر عنه من ناحية «الموقف» أو «المضمون»؛ فأنكر على الشاعر أن يتحدث عن أشياء «لم يرها»، أي لم «يشعر» بها. إذ كيف يصحّ للشاعر أن «يتبع» طريقة غيره في وصف ما رآه، ليصفه بدوره وهو لم يره؟

تَصِفِ الطَّلُولَ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا
أَفْذُو الْعِيَانَ كَأَنْتِ فِي الْفَهْمِ؟
وَإِذَا وَصَفْتَ الشَّيْءَ مَتَّبِعاً
لَمْ تَخْلُ مِنْ زَلَلٍ وَمِنْ وَهْمٍ^(١).

ويكتمل التساؤل حول أصولية الشعر العربي بجواب أبي تمام حين سألهم أحدهم مرة: «لماذا لا تقول ما يُفهم؟» فردّ عليه قائلاً: «لماذا لا تفهم ما يُقال؟»^(٢).

من هذه المواقف الشعرية الثلاثة نستخلص ما يلي:

أولاً - الشعر فن يتطلّع ويتخطّى.

ثانياً - يجب أن تنشأ مع كل شاعر طريقته التي تعبر عن تجربته وحياته، لا أن يرث طريقة جاهزة. فلا طريقة عامة نهائية في الشعر.

(١) الصّولي، أخبار أبي تمام، ص ١٧، القاهرة ١٩٣٧.

(٢) المصدر السابق ص ٧٣.

ثالثاً - على القارئ أن يرقى إلى مستوى الشاعر، وليس على الشاعر أن يقدم للقارئ أفكاراً بأسلوب يعرفه الجميع. هذا يعني أن للشاعر لغة خاصة غير لغة الجمهور، مثقفين وغير مثقفين.

هذه القضايا وما يتفرع عنها ويتصل بها تلخص التحول في الشعر العربي، أي تلخص ما كان يسميه النقاد الخروج على عموده الشعري.

ولعل أوضح تحديدات العمود الشعري العربي وأشملها تحديد المرزوقي في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام. فهو يحدده في سبعة مبادئ: «(١) شرف المعنى وصحته، (٢) جزالة اللفظ واستقامته، (٣) الإصابة في الوصف، (٤) المقاربة في التشبيه، (٥) التحام أجزاء النظم والتثامها على تخيير من لذيذ الوزن، (٦) مناسبة المستعار منه للمستعار له، (٧) مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما. فهذه سبعة هي عمود الشعر». ويفسّر الآمدي هذه المبادئ السبعة بقوله: «وليس الشعر عند أهل العمل به إلا حُسن التأتّي، وقُرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه»^(١).

عمود الشعر إذن هو المعنى الذي يقبله العقل العام ويفهمه والذي يُعبّر عنه بطريقة معروفة - «باللفظ المعتاد فيه المستعمل في

(١) الموازنة، ص ٣٩١.

مثله». وإذا كان الإبداع «إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله»^(١)، فإن التمسك بعمود الشعر ينفي الإبداع، ويجعل من الشاعر صوتاً يمزج الشعر السابق ويكرره ويردده، بحيث يأتي الشعر «كسبيكة مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن»، أو «كطيب يُرْكَب من أخلاط من الطيب كثيرة»^(٢).

من هنا نعرف لماذا يقول ابن الأعرابي مشيراً إلى شعر أبي تمام: «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل»^(٣). وتكثر في كتب النقد التي تهاجم أبا تمام، خصوصاً في الموازنة، عبارات مثل «شعره لا يشبه أشعار الأوّل ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولّدة»؛ «زال عن النهج المعروف والسنن المألوف»؛ «يخرج إلى المحال»؛ «عدل عن المحجّة»، «عدل في شعره عن مذاهب العرب... إلى الاستعارات البعيدة المخرجة الكلام إلى الخطأ أو الإحالة»؛ «غرابة مذهبه».

ومثل هذا النقد يفسّر مدى الحِدّة في غضب النّقّاد على أبي تمام، حتى ليوحي بأنهم كانوا يعتبرون شعره أشبه بوباً يصيب الذهن العربي.

لكن، إذا كان أبو تمام خرج على عمود الشعر العربي، فهل خرج على روح الشعر العربي؟

(١) ابن رشيق، العمدة، جزء ٢، ص ١٧٧.

(٢) ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، ص ١٠، القاهرة ١٩٥٦.

(٣) الصّولي، أخبار أبي تمام، ص ٢٤٤.

يتمثل اتجاهه في النقاط الأربع التالية :

١ - المعنى غير المألوف .

٢ - الغموض .

٣ - الصورة الشعرية غير المألوفة .

٤ - استخدام الكلمة العربية بطريقة غير مألوفة ، أي نقل

اللفظ من معناه المعروف ، إلى معنى غير معروف .

هذا الاتجاه جديد ، لا شك ، مخالف للطريقة العربية في

كتابة الشعر آنذاك . لكنه إذا كان خروجاً على الطريقة فهو ليس خروجاً على الروح الشعرية العربية ، بل إنه أفق آخر يتفجر منها ويغنيها .

والواضح أن معظم النقاد الذين انتقدوا أبا تمام والمحدثين

إجمالاً فهموا أصولية الشعر العربي بوصفها عادة واستعادة . وإذا

كان هذا الفهم يوافق التقليد العربي فهو يناقض روح الشعر . لقد

أدرك أبو تمام والمجددون طبيعة تراثهم الشعري وجوهره ،

واحتفظوا بالقسم الأكبر من تقنيته وخصائصه . لكنهم ، شأن كل

مبدع في التاريخ ، رفضوا أن يكرروا الشعر الذي سبقهم ، لأنهم

أدركوا بحدس الخلاق أن التكرار في الشعر لا نفع منه ، على

الصعيد الفني ، ولا بقاء له . هكذا عبروا بطريقة جديدة ، دون أن

يقطعوا اتصالهم بجوهر الماضي ، فمثل هذا الانقطاع يقتل الشعر -

بل إنه مستحيل . لأن الشعر يحيا أيضاً بقوة الدفع في تراثه .

لم يفعل الخارجون على عمود الشعر إلا شيئين : لم يكتبوا

بالطريقة الماضية المعروفة السهلة ، ولم يتحدثوا عن أشياء لم

يروها رؤية ورؤيا. أما الروح الشعرية العربية - روح الأصولية - فلم يخرجوا عليها، ولا يستطيعون، لأنها تجري في دمهم وحياتهم، ولأنها تتصل بجوهر الأصالة الروحية الأخيرة لشعب ما، فهي ضميره ونسغ تاريخه.

تفهّم بعضُ النقاد القُدّامى معنى الموقف الشعري الذي وقفه أبو تَمّام فتبّئوه ودافعوا عنه. من هؤلاء أبو إسحاق الصابي الذي رأى في غموض الشعر قيمةً أساسية تميّزه عن النثر، فهو يقول: «إن طريق الإحسان في منشور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن الترسُّل هو ما وضع معناه، وأعطاك سماعه في أول وهلةٍ ما تضمّنته ألفاظه. وأفخرُ الشعر ما غمض، فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه.»^(١)

ومنهم الصولي صاحب كتاب «أخبار أبي تَمّام». والكتاب كلّهُ دفاعٌ عن أبي تَمّام، وردّ على خصومه. وقد صنّفهم صنفين: الأول قسمان: قسم «سلك سبيل غيره في أشعار الأوائِل، في تفسير واستجادة الجيّد وعيب الرديء»، والقسم الآخر ممن قصّروا في فهم شعر المحدثين «فجهلوه فعادوه». أما الصنف الثاني فهو الذي يجعل من نقده لأبي تَمّام «سبباً لنباهة واستجلاباً لمعرفة، إذ كان ساقطاً خاملاً»^(٢).

وفي كتابه هذا يستشهد على صحة «مذهب الطائي» بأقوال

(١) المثل السائر، جزء ٢، ص ٤١٤.

(٢) أخبار أبي تَمّام، ص ١٤ و ٢٨.

كثيرة لغيره فيما هو يدافع عنه. يصفه بأنه «رأسٌ في الشعر مبتدئ لمذهب سلكه كلُّ محسن بعده، فلم يبلغه فيه، حتى قيل: مذهب الطائي»^(١). ويفسّر إبداع أبي تمام قائلاً إن الشعراء قبله كانوا يبدعون في البيت والبيتين من القصيدة، أما هو فقد «أخذ نفسه وسامَ طبعه أن يبدع في أكثر شعره.. وليس أحد من الشعراء يعمل المعاني ويخترعها ويتكى على نفسه فيها أكثر من أبي تمام»^(٢).

ويتهجم على ناقيده، قائلاً: «ليت أبا تمام مُنيّ بعيب من يجلّ في علم الشعر قدره، أو يحسن به عمله، ولكنه مُنيّ بمن لا يعرف جيّداً ولا ينكر رديئاً إلا بالادّعاء»^(٣). ثم يقول إنه لا يجوز أن «يجسر على الحكم على الشعراء وتمييز ألفاظهم، والحكم بالجميل والردى لهم، مَنْ لم يكن أعلم الناس بالكلام، منظومه ومنثوره»^(٤). وبين الكلمات التي يدعم بها آراءه كلمة لعمارة بن عقيل يقول فيها عن أبي تمام: «لقد وجد ما أضلّته الشعراء، حتى كأنه كان مخبوءاً له»^(٥). ويختتم الصولي دفاعه بقوله: «لو سكت من لا يدري لاستراح الناس»^(٦).

الواقع أن من يدرس موقف النقاد الذين تهجموا على أبي تمام

(١) أخبار أبي تمام، ص ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

والشعر المحدث متسترين وراء الأصولية يتضح له أن معظمهم لا يعرفون معنى الأصولية ويجهلون معنى الشعر والآمدي مثل بارز. فهو من القائلين بخروج أبي تمام «إلى المحال»، ذلك أنه، مثلاً، يُشبهه عُتَقُ الفرس «بجذع من الأراك»، ويصف العقل بأنه ثوب رقيق، ناعم، والعرب يصفونه بالرزانة والعظم والرجحان والثقل، كما يشير الآمدي. وهو يُشبهه خلخال المرأة بالوشاح، والوشاح واسع بينما الخلخال يجب أن يكون ضيقاً حتى يوصف بأنه «يعضّ في السواعد»، وهذا كله، كما يعلّق الآمدي «ضد ما نطقت به العرب». ويستطرد الآمدي فيقول إن أبا تمام يقول عن الفُرقة بأنها «أسرت قلباً»، وهذا غير جائز، فالقلب يأسره الحب لا الفراق.

ويُلخّص الآمدي رأيه في طريقة أبي تمام قائلاً: «وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف، وأنّ له جسداً وكَبِداً، وجعل لصروف النوى قدّاً، وللأمن فرشاً، وظن أن الغيث كان دهرراً حائكاً، وجعل للأيام ظهراً يُركب، والزمان كأنه صبّ عليه ماء... وهذه استعارات في غاية القباحة والهجانة والبُعد عن الصواب. وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه، أو يدانيه، أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سبباً من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استُعيرت له، وملائمة لمعناه»^(١).

وهذا كلام لا يصحّ قوله في الشعر، فما يصفه بالقباحة

(١) الموازنة، ص ٢٣٥.

والهجانة داخلٌ في جوهر التعبير الشعري. أمّا قول الآمدي بأن الشعر الجيّد مبنيّ على «الكلام الذي يدلّ بعضُه على بعض، ويأخذ بعضُه برقاب بعض، إذا أنشدتَ صدرَ البيت علمتَ ما يأتي في عجزه... إلخ»^(١)، فإننا لو أردنا أن نحدد اللاشعر لما وجدنا تحديداً أفضل من هذا التحديد.

يصف أبو تَمّام نفسه في قصيدة يتحدث فيها عن القمر، رمز حبيبته، فيقول:

لِيَ فِي تَرْكِيبِهِ بَدْعٌ شَغَلَتْ قَلْبِي عَنِ السُّنَنِ^(٢).

هذا هو أبو تَمّام؛ هذا هو الشاعر، كل شاعر: مأخوذ بالبدعة والإبداع. أما السُنّة المشروعة، المشرّعة للجميع فمشغول عنها. ذلك أن الشعر عالم غريب من المعاني الغرائب العجائب^(٣)؛ وهو «كالنجم» بعيد قريب^(٤)؛ وهو سِحْرٌ، وبكارة، وسرابٌ مخادع^(٥).

إن شعراً كهذا يفاجئ؛ يهدم الصور المستقرة في الذهن، بتأثير العادة والوراثية، عن الشعر، وعن فهم الشعر وتذوّقه. وقد هدم شعر أبي تمام هذه الصورة، على صعيد الكلمة لأنه

(١) الموازنة، ص ٢٦٦.

(٢) الديوان، ج ٢، رقم ٧٧، ص ٣٨٣.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٥، ص ٣٥٤.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٢١، ص ٣٦١.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٣٦٢.

استخدمها استخداماً جديداً، وهدمها على صعيد المعنى، لأن القصيدة لم تعد عنده نموّاً أفقياً بخط واحد، بل أصبحت تنمو عمودياً: صارت شبكة مشعة من المعاني والأخيلة والمشاعر. لم تعد تتوالد انفعالياً وحسب، بل أصبحت تتوالد في التأمل، والوعي، والتخيّل والفكر. الموهبة طاقة بلا شكل، إن لم تدعمها ثقافة النظر، والاختيار، والمؤالفة، والتركيب؛ ثقافة العمل، فنياً، بالأذن والعين والذاكرة والقلب والجلد: ثقافة السفر في الماضي والحاضر والمستقبل، وفهم التاريخ واختراقه؛ ثقافة استقصاء العالم والكشف عنه بحيث يظل سلسلة لا نهاية لها من البدايات.

لقد خلق أبو تمام لغة جديدة تغاير لغة الحياة اليومية ولغة الحياة الشعرية السائدة. هكذا جاءت معانيه مغايرة للمعاني المألوفة، وجاءت صوره وتعاييره مغايرة للمألوف أيضاً، ومن هنا غموضه.

في مناخ الغرابة والمفاجأة يتحدث أبو تمام عن المطر مثلاً فيصف هطوله بأنه خيوطٌ تنحلُّ من ثوب السماء^(١)، وأن «المطر صحوٌ» و«الصحو ممطر»^(٢)، و«أن الشتاء جمل»^(٣). وأنه لكثرة ما يلذ ويطيب، يجعل الروض «يكشف رأسه» و«المحلّ يستسر»^(٤)، وأن الأرض تحته تشبه امرأة «تحتجب وتسفر» وأن للثرى شعراً

(١) الديوان، ج ٢، رقم ١، ص ٣٥٠.

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٦، ص ٣٥٨.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٣٥٦.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٧، ص ٣٥٥.

يدّهن بالندی»^(١). هكذا يخلق للمطر جواً غريباً، حتى كأن العالم مزيج بين يديه يلعب به، حيث كل شيء فيه ينطبق على كل شيء، وحيث تصبح العلاقات والصفات الإنسانية علاقات بين الأشياء وصفات لها. بهذه الحساسية الخلاقة يصف أيضاً الخمر بأنها «مطيّة الشوق في الأحشاء»^(٢) وبأن لها «مسافة كمسافة الهجر في صدر الحزين»^(٣)، ويتحدث عن «الظلام الذي يكتسي نوراً» وعن «الضياء المظلم»^(٤).

ويقول إن للهموم شجراً في القلب يُثمر الوسواس^(٥)، وإنه «يسافر بهوممه»^(٦). ويصف حبيته بقوله:

نظرت فالتفتُ منها إلى أحلى سواد رأيتُه في بياض^(٧).

يمكن أن نسَمّي هذا كلّهُ غموضاً. لكنّ الغموض عند أبي تمام صادر عن صفاء ذهنه ورهافته، وعن بعده التأملّي، لا عن تشوّشه الروحي أو ضعف تعبيره. وهو غموض غير مُعتم، بل شفاف يصحّ وصفه بما قاله كوكتو عن مالارميه: «غامض كالмас». كل شاعر كبير هو، بالضرورة، غامض غموضاً ماسياً.

(١) الديوان، ج ٢، رقم ١٦، ص ٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٣٥١.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١، ص ٣٥١.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٣٤، ص ٣٦٥.

(٥) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٣٦٠.

(٦) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٣٥٨.

(٧) المصدر نفسه، رقم ٢٠، ص ٣٦١.

كان الوصف قبل أبي تمام تحديداً حسيّاً للواقع، لكنه صار معه خلقاً جديداً للعالم، وقد ظهر عند شعراء كثيرين بعده، أبرزهم الشريف الرضيّ، فتجاوزوا شكل الأشياء الخارجي وذهبوا إلى جوهرها. كان الوصف عندهم أعلى من الطبيعة، لأنه لم ينقلها، وكان يتضمّن طاقة إيحائية كبيرة بحيث بدت الأشياء حيّة وصارت كلمات تُقرأ، وفعلاً يجري. الغبار مثلاً، كما يراه الشريف الرضي، «سيل يتحدّر» و«الجياد قوارب» سابحة فيه^(١)، و«للسحاب أعناق تُنحر» فوق تراب الوطن^(٢)، والعتمة سلاسل تحيط بأعناق النجوم^(٣)، والنجوم فُقاعات في نهر الليل^(٤)، والمجرّة غصن مورق بأحداق النجوم^(٥)، وقلب الشاعر وشاح لحبيته^(٦).

أبو تمام بدايةً جديدة في الشعر العربي. ربما كتب أكثر شعره بفشل كثير ونجاح قليل، لكنه في كل ما كتب خلاق، لا متأرجح يخط وراء انفعاله. إنه الشاعر العربي الأول الذي خلق لنفسه سلاسل فنية وعاش يرقص ضمنها، كما يعبر نيتشه. إنه سجين إبداعه؛ تسيّر شعره إرادةً حادّة، ويحكمه تصميمٌ آسر. إنه قبل كل

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١، ص ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٨، ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٢٥٩.

(٥) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٢٦١.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٢٦٥.

شيء مسكون بهاجس الفن، فالشعر عنده ليس أسير الحياة، بل أسرهما، يكتفيها ويختارها ويخلقها على مثال فني خاص. إنه خبير جمال: ينام مع صورته ومعانيه نومه مع حبيبته^(١). وهو بغموضه الغني الشفاف، وصورته لا يوجه النظر إلى القصيدة فحسب، بل أيضاً إلى كلفتيتها: شكلها وصناعتها. ولقد خلق في هذا كله طقساً جديداً هو طقس الإبداع حيث لا مجال للسهولة، وحيث يكون الشاعر شجرة تثمر ثمراً غريباً نادراً وإن كانت تثمر بصعوبة: حيث لا يكون مديناً لأحد غير نفسه، «فهو وحده جنس»^(٢).

وهو بهذا كله يمهد للشعر الرمزي والشعر الصافي. إنه حد فاصل: كان الشعر قبله قدرة على التعود والألفة، فصار بعده قدرة على التغرب والمفاجأة.

حرر أبو تمام الشعر من «الشكل الجاهز»، أما أبو نواس فحرره من «الحياة الجاهزة»، مستلهماً «جدة الزمان»، بحسب تعبيره. فشعره شهادة على التغير وتعبير عنه في آن. كانت صرخته الأولى «ديني لنفسي». هذه نفسها صرخة العالم الحديث منذ بودلير.

(١) والشعر فرج ليست خصيصته طول الليالي إلا لمفترعه (الديوان، ج ٢، رقم ٢٤ ص ٣٦٢).

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٣٥٩.

«ديني لنفسي» تعني انقطاع الشاعر إلى عالمه الداخلي الخاص، حيث يضيئه صوت الأعماق، ويصير الشعر فاعلية مستقلة عن الخارج وأوضاعه وأخلاقه وعاداته؛ ويصير مطهراً، وتعزية، ووسيلة خلاص.

أدرك أبو نواس، شأن أسلافه، أن الزمن تيار يجرف ويمحو. لكنه قرن هذا الإدراك بمعرفة ثانية هي أن الزمن أيضاً يمنح الأشياء حضورها وقوتها، ويرينا عمق حياتنا الماضية، وأفق حياتنا الآتية، وكثافة حياتنا الحاضرة. الزمن يأخذنا، لكنه يأتي بنا ويستبقنا في العالم ويتركنا، لأجل قريب أو بعيد، وجهاً لوجه مع الطريق وأبعادها. دور الشاعر إذن هو أن يشارك بطاقة كلها في تكامل الإنسان خلال الزمن - بين شهوة الحياة وغبار العالم. فللشاعر ميزة مزدوجة: عالق بالتاريخ ملتصق به حتى الانصهار، منفصل عنه، بعيد حتى الغربة. إنه لا يؤخذ بالحياة إلا فيما هو يبحث عن حياة ثانية وراءها.

شعر أبي نواس مصابيحُ تضيء الزمن: الزمن حاضراً. الحاضر هو وحده، الكثيف، المليء، اليقيني. فيه يمتلك الإنسان نفسه ويسيطر، لأنه يريد ويختار، وما يريده ويختاره يعوِّض عن السقوط في المستقبل. لذلك لا يخاف العقاب. بل يفعل ما يؤدي فعله إلى العقاب^(١).

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٢٥، ص ٢٣٩:
إن كنتما لا تشربان معي خوف العقاب شربتها وحدي

في الحاضر خلاص الإنسان الذي تتقاذفه رياح الموت .
و حين يستحضر الشاعر الموت الغريب ويحيا في حضرته ، يدجنه ؛
يجعله أليفاً ، ويُفرغه مما فيه من رهبة الوعيد والسقوط . إنه يلقيه
إرادة لا استسلاماً ؛ ويعيش نهايته بدل أن يظل شاعراً بتهديدها
الدائم . إنه «يتداوى بالداء» .

من هنا انفتاح أبي نواس ، وهو الكائن الوقتي المهدّد ، على
الفرح والسعادة واللذة . تخلص من سراب الذهن المنطقي ، موقناً
أن المسألة ليست في أن نهرب ، بل في أن نواجه المجهول ونبقى
في مواجهته ، بعمق ورحابة . هذا هو الزمن العمودي ؛ هذا هو
حاضر الروح ؛ هذا ما يتيح لنا أن نستبق الوجود نفسه ، ونكون ما لا
يقدر أن يكونه : البدء والنهاية ، الحياة والموت في لحظة واحدة .

المسألة ، بالنسبة إلى أبي نواس ، هي العيش بامتلاء ، هي
تحويل كمّية الوجود إلى نوعيّة ، وتحويل كتلة الزمن ، إلى قيمة .
فليست الحياة هي التي تهتمّ ، بل قيمتها . هكذا يبدّل الذاكرة
بالحلم ، والغيبة بالشهادة ، والتذكّر والحنين بالمغامرة وطلب
اللذة . إن شعره هو فنّ يجعل الزمن كلّ حاضرّاً يتطاوّل ويشعّ ؛
زمنّاً ثانياً ، رديفاً آخر للزمن ، هو زمن الهيام والنشوة : الزمن
النواسي بامتياز .

الهيام يغمر الزمن ويتجاوزه . إنه جنة التراب ، في سماء
الانخطاف ، وفي وقت سحري لا يعرف الوقت . هكذا تتغيّر
وظيفة الزمن : هو عادة آلة الموت ؛ لكنه يصير في هذه الجنة آلة
اللذة .

تتم التجربة النواسية في مناخ من الرمز، حيث يبدو العالم والطبيعة «مجتمعا» آخر تتحقق فيه، بقوة الشعر، أحلام الشاعر ولقاءاته مع نفسه. هناك تشابه بين الإنسان والطبيعة؛ ومن هذا التشابه يستمد الشاعر مجازاته واستعاراته وكنياته وصوره؛ فشعره اكتشاف للأشياء والنظائر بين الإنسان وصفاته والعالم وصفاته. الطبيعة في شعر النواصي غير موجودة بحد ذاتها ومن أجل ذاتها؛ إن وجودها وظيفي: فهي خزان لا نهاية له من الأشباه والنظائر. فلكل شكل أو حركة أو لون أو رائحة في النفس ما يقابله في الطبيعة ويشابهه. هكذا تسيطر الروح على العالم. يصير كل شيء فيه ظلاً لها ووسيلة. لا تعود الطبيعة أشياء وموضوعات، بل تصبح رموزاً وكلمات وصوراً. تبطل الأشياء أن تكون امتداداً للطبيعة، لتصير امتداداً للإنسان.

برزت هذه النظرة القائمة على إدراك مبدأ الأشباه والنظائر عند شعراء كثيرين جاؤوا بعد أبي نواس. وتكشف تجربة هؤلاء، خصوصاً في شكلها العاطفي الشخصي عند أبي فراس، عن تعلق بالأرض وأشياء الأرض، نلمح فيه بوادر الرومنطيقية. ويمكن أن نعدّ قصيدة أبي فراس التي يناجي بها، وهو في سجنه، جارتة الحمامة^(١)، أول قصيدة عربية رومنطيقية بالمعنى الحديث لهذا المصطلح. بل إن معظم شعره، من حيث إنه مراثية للشباب الضائع^(٢)، ذو نسغ رومنطريقي.

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١٩، ص ١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، اقرأ خاصة رقم ٥، ص ١٦١.

الحياة في هذا الشعر مزيج من الحلم والتشوق والحنين .
والشعراء هنا، إذ يصفون الطبيعة إنما يعيدون اكتشافها؛
يؤنسونها، ولا يرون فيها غير الإنسان وأشباحه وظلاله . السحابة
فتاة^(١)، والأرض امرأة^(٢)، وأشجار السرو غوان عاريات
الأفخاذ^(٣) . فليست الأرض في هذا الشعر موطن قسوة، بل موطن
جمال، بل هي الموطن الذي يستحيل هجرانه في نظر أبي فراس
كما يقول، في صورة رائعة مشيراً إلى حلب :

أسيرُ عنها، وقلبي في المقام بها
كأنَّ مهري لثقلِ السيرِ محتبَسُ
مثل الحصاة التي يُرمى بها أبداً
إلى السماء، فترقى ثم تنعكسُ...^(٤)

الخمرة، مثلاً، عند أبي نواس ينبوع تحولات تتقمّص الشكل
الذي يتطلع إليه هوى الشاعر وجموح خياله . فهي مصباح
وصباح^(٥)، وهي نار تلتهب ولغة أولى^(٦)، وهي عجوز وجنين في

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٦، ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه، اقرأ خاصة رقم ١٩، ص ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ١٨٧. (اقرأ خاصة، علي بن الجهم،
وابن المعتز، والصنوبري).

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٣، ص ١٦٦.

(٥) الديوان، ج ٢، رقم ١، ص ٢٢٨.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٤، ص ٢٣٠ ورقم ١٨، ص ٢٣٦.

آن^(١)؛ وللخمرة عَيْنَان^(٢)، وهي معرفة^(٣)؛ الكؤوس نفسها التي تُصَبّ فيها نجوم جارية والأيدي بروجها^(٤). والخمرة، لهذا كله، زمن غريب آخر: زمن من الضوء والشمس لا يعرف الليل^(٥).

ليست الخمرة ينبوع تغير فحسب، وإنما هي أيضاً ينبوع تغير؛ «فليلُ شرايها نهار»^(٦)، كأنها تمنحهم السيطرة على الزمن «فلا يصيبهم إلا بما شاؤوا»^(٧)؛ وهي تبدل القيم في العالم فتجعل القبيح جميلاً والسقيم صحيحاً^(٨)؛ وتُغيّر أجل الحياة، فتبسط الأمل و«ترك الطويل من العيش قصيراً»^(٩)؛ والخمرة روح ثانية في الجسد^(١٠)، وهي سحر يلعب بالزمن، فتترك من يذوقها «يرى الجمعة كالسبت وكالليل النهار»^(١١).

هذه الطاقة المغيّرة المتغيّرة هي طاقة الروح. من أجلها يتمرد الشاعر على الله نفسه^(١٢)، أما الناس فكلما زاد لومهم ازداد

-
- (١) الديوان، ج ٢، رقم ٦، ص ٢٣١.
 - (٢) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٢٣٢.
 - (٣) المصدر نفسه، رقم ٢٥، ص ٢٣٨.
 - (٤) المصدر نفسه، رقم ٩، ص ٢٣١.
 - (٥) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٢٣٥.
 - (٦) المصدر نفسه، رقم ١٥، ص ٢٣٥.
 - (٧) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٢٣٠.
 - (٨) المصدر نفسه، رقم ٧، ص ٢٣١.
 - (٩) المصدر نفسه، رقم ١٤، ص ٢٣٤.
 - (١٠) المصدر نفسه، رقم ١٦، ص ٢٣٥.
 - (١١) المصدر نفسه، رقم ٢١، ص ٢٣٧.
 - (١٢) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٢٣٥.

شهوة، فعييهم ثناء^(١). فالخمرة عنده مقدسة، وهو لذلك يشربها، في هالة من الطقوس الدينية الاحتفالية، فينقل تقاليد الأسرار والطقوس الدينية إلى مجالسها، فهي كريمة «يجل اللئيم عنها» ولا يشرك بين نداماه إلا المختارين وحدهم^(٢).

أبو نواس شاعر الخطيئة لأنه شاعر الحرية، فحيث تنغلق أبواب الحرية تصبح الخطيئة مقدسة. بل إن النواصي يأنف أن يقنع إلا بالحرام ولذيذه^(٣). وإذا تمنحه الخطيئة الراحة يغالي في تمجيدها، فلا يعود يرضى بالخطايا العادية، وإنما يطلب الخطايا الأكثر خرقاً وجمالاً التي يستطيع أن يتباهى بها على الخطايا الأخرى، ويتيه^(٤). فالخطيئة ضرورة روحية، لأنها رمز الحرية، رمز التمرد والخلاص.

هذه الخطيئة الضرورية الممّجدة تنقلب عند ديك الجنّ إلى جريمة ممّجدة وضرورية، كتوكيد أعلى ومطلق، للحرية والشرف، جوهر الشخص. ولا يدفع لمثل هذه الجريمة الكره، بل الحب. فلقد قتل ديك الجنّ حبيبته بمحبة تصل إلى التقديس، لا تقدر أن تقبل الخطأ مهما كان بسيطاً. إن حبّه لا يعترف بالسقوط، لذلك حين يسقط لا يرى ما يُبقي على نقائه إلا قتله. هكذا قتل حبيبته التي أخطأت^(٥).

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٥٠، ص ٢٤٩.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٥٦، ص ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٧٥، ص ٢٦٠.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٥١، ص ٢٤٩.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٣٩٧.

ديك الجن أيضاً شاعر خطيئة؛ شاعر الآن واللحظة. يؤمن بالحب الجديد لا الماضي^(١)؛ والبعث عنده خرافة^(٢). إنه يؤمن بنار اللحظة، وفي سبيل ذلك يوطّن نفسه، قاصداً مختاراً، على دخول نار الأبدية^(٣).

هكذا يؤسّس أبو نواس فصل الشعر عن الأخلاق والدين، رافضاً حلول عصره، معلناً أخلاقاً جديدة هي أخلاق الفعل الحر والنظر الحر: أخلاق «الخطيئة». فالنواسية استقلال يثير ويحرّك؛ وقوف على حدة، يغري ويشجّع، مقابل المجتمع وأخلاقه، ضمن المجتمع وخارجه في آن. والإنسان النواسي هو الإنسان العائش مع ذاته، المتخذ من العالم كله وسيلة لذاته، الساخر من القيم العامة النهائية، ومن القائلين بها والقيّمين عليها. إنه الإنسان الذي لا يواجه الله بدين الجماعة، وإنما يواجهه بدينه هو، ببراءته هو، وخطيئته هو. إنه أكمل أنموذج في تراثنا الشعري لإنساننا العربي الحديث في شعرنا الحديث.

لأبي نواس نظر آخر يحيل الظواهر إلى صور ورموز، ويرى عبرها ملامح وانعكاسات عالم آخر فيما وراء الحس. الطبيعة في شعره مرآة للروح؛ مكان يتجلّى فيه الخيالي والغيبى. الأشخاص الذين يحبهم والأشياء التي يؤثرها عائلة واحدة تعيش في بيت واحد. إن شعره سير نحو تحقيق حلم عميق بكونٍ سحري لا

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٢٠، ص ٣٩٦.

(٢) المصدر السابق، رقم ١٣، ص ٢٩٣.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١٤، ص ٢٩٤.

يشعر فيه الإنسان أنه متميز عن الأشياء، لكنه كَوْنٌ تبقى فيه السيادة للروح. هذا الإحساس العميق بالعلاقة الوثيقة بين المادي والروحي، بين العقل والغريزة، بين الصحو والغيوبة، بين الخمرة والفرح، بين الحب الجسدي ونشوة الروح، هو شعور بوحدة الحياة النفسية وهو من أهم الكشوفات الشعرية. إن في العالم نعمة ورحمة ولطفاً، مهمتها أن تخلق في الأشياء طاقة العطاء. هذا اللطف المحيط هو أحد ينباع النشوة النواسية التي تخلق حول أكثر الأشياء عتمة ومادية صفاءً رائعاً يضيء شفافيتها الداخلية، ويملؤها بالمعاني الجديدة.

الشعر عند أبي نواس يجيب عن ضرورة ملحة هي ضرورة السفر إلى أقاصي الكيان البشري والعيش في حالات روحية نادرة، حيث يتلاقى الزمان والأبدية وينفي كل من الخير والشر الآخر، وحيث لا يتميز الذاتي عن الموضوعي، وحيث يصبح الوهم الذي تخلقه القصيدة أكثر الحقائق يقيناً: حكماً على كل ما يحدّ حرية الإنسان. كل قصيدة نواسية بشارة تجرف الحدّ والعتمة، معلنة نهاية ضيق روحي؛ فللشعر عنده وظيفة مقدسة.

هكذا يحقق الشعر مهمته: السحر^(١)؛ حيث يصير العالم كله حباً: السحاب، والسيل، والمدينة؛ حيث لا يبقى حول الشاعر إلا الحب ورياح الحب^(٢).

(١) الديوان، ج ٢، رقم ٨١، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٦١، ص ٢٥٢.

في شعر المتنبي، يأخذ تمرّد الشاعر على المجتمع بُعداً أكثر تألقاً وشخصانية. المتنبي يفرز نفسه ويعرضها عالماً فسيحاً من اليقين والثقة والتعالي في وجه الآخرين وضدهم. وهو في ثنايا شعره كله، يحتضن ذاته ويناجيها، ويحاورها بنبرة عبادة أسرة. إن شعره كتاب في عظمة الشخص الإنسانية، يسيّره جدل اللانهاية والمحدودية: الطموح الذي لا يعرف غاية ينتهي عندها^(١)، والعالم الهرم الذي لا يقدر أن يتحرك ويساير هذا الطموح^(٢). بل إن المتنبي يريد من الزمن ما لا يستطيع الزمن أن يبلغه^(٣). شعره وهو يتجهان صعوداً، في آفاق العظمة، دون أن يبلغا عظمة أخيرة يرتاحان إليها ويقفان عندها. هكذا تبقى الحياة، بالنسبة إليه، شروعاً دائماً.

لكن، إذا كان المكان ضيقاً عليه والزمن هرماً، فإن له زماناً ومكاناً خاصين وهما طليقان واسعان بلا تخوم. ذلك أنه مسكون بهاجس وحيد: ببداية أعمق أصلاً، وبكارة أكثر عذرية.

يعرف أن الممكن المباشر سرعان ما يصير آسناً، فالوقوف عنده دلالة العجز. ولكي ينقذه من التعنُّن يصله بالمستحيل: ينفخ فيه الروح اللينة، المرنة، المتطاولة، المطاوعة التي تجعل منه مهد

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٢١، ص ٦٩، رقم ٣٥ ص ٨٣، رقم ٤٤ ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٤٦، ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٥٠، ص ١٠٤.

المستقبل . وليس شعره إلا أغنيات تتصاعد وتتموج حول هذا المهد، حيث نلمس تجاعيد العالم والناس، وحيث يتعانق موكب الكلمات وموكب الأرض .

لقد خلق المتنبي طبيعة كاملة من الكلمات، في مستوى طموحه، تهز، تتقدم، تجرف، تهجم، تقهر، تتخطى . . . كأنها جواب كيانه الداخلي وامتداده وتكاملته . هذه الكلمات تخلق بدورها من خيال المتنبي وطموحه المعجز كوناً أسطورياً تعبّرهُ الأصدا والأصوات، ويملؤه الضجيج والصراخ، ويملؤه الصمت الأمير .

المتنبي روح جامحة، تياهة، تتلاقى فيها أطراف الدنيا . إنه وحيد^(١)، بل الوحيد، فوحده قدر محتوم لأن الإنسان «خليل» نفسه^(٢) . كل متفرّد وحيد . كل وجود خلّاق وحيد . الريح وحدة هائلة . الأرض وحدة صامتة . السماء وحدة متألّثة معتمة . المتنبي وحدة غاضبة لا يرضيها شيء . لكنّ وحدته ليست هرباً من العالم، ليست وحدة اللجوء إلى الراحة والهدوء، ليست مملكة مغلقة . إنها وحدة المجابهة - مجابهة العالم، واللعب به والسخرية منه . وحدة الألم الكبير: فمن لا يملك غير آفاق لا يصل إليها تمتلئ أعماقه بالمهاوي الأليمة . فآلية العظمة تنقلب إلى آلية الفاجعة حين يُراد القبض على اللهب الأول . وحدة الصداقة مع

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١٩، ص ٦٧ .

(٢) المصدر نفسه، رقم ٤٢، ص ٩٤ .

الأطراف القصية: الانتصار أو الموت. وحدة التعالي والمطالب الكبرى والاتصال بينابيع القوة والسيطرة على العالم وتغييره. إنها الوطن الأرحب.

سيختار الغربة^(١) مؤمناً ألا عظمة إلا في نفسه، صديق القلق والريح^(٢)، غنياً عن الوطن^(٣)، غير الناس كأنه ليس منهم^(٤)، فكلهم صغار^(٥)، وغنم للراعي العبد^(٦)، الجدير بأن يُضرب رأسه كالوثن^(٧). أما المرأة فلها ساعة وحسب وهي ساعة النصيب الحيواني^(٨)، فكيفانه مرهون بما لا نهاية له، بما يجلّ عن التسمية^(٩)، بالمدى المتطاوّل الذي يقصر، مع ذلك، في عينيه^(١٠).

قد يرهق جسده، قد يشيب، لكنّ فيه روحاً لا تعرف الهرم^(١١)، حتى كأن له روحاً ثانية^(١٢). الموت نفسه رعاها

-
- (١) الديوان، ج ٣، رقم ٤٤، ص ٩٧.
 - (٢) المصدر نفسه، رقم ٣٧، ص ٨٦.
 - (٣) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٦٦.
 - (٤) المصدر نفسه، رقم ٤٢، ص ٩٤.
 - (٥) الرقم ذاته، ص ٩٤.
 - (٦) المصدر نفسه، رقم ٤١، ص ٩٢.
 - (٧) المصدر نفسه، رقم ٤٨، ص ١٠٢.
 - (٨) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٦٦.
 - (٩) المصدر نفسه، رقم ٤٤، ص ٩٧.
 - (١٠) المصدر نفسه، رقم ٣٥، ص ٨٣.
 - (١١) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٦٥-٦٦.
 - (١٢) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٧٢.

واحتضنه فصار أنيساً، حلواً^(١)، بل صار دواء هو وحده يشفيه من نفسه^(٢). منذ هذه اللحظة «هان على قلبه الزمان»^(٣) فاستوى لديه الغياب والحضور، الموت والحياة، الفرح والحزن. كوني إذن، أيتها الطرق ما شئت. . كوني النجاة أو الموت، لا فرق^(٤).

إنسان المتنبي موجة لا شاطئ لها - دائماً على حركة. إنه أول شاعر عربي يكسر طوق الاكتفاء والقناعة، ويحوّل المحدودية إلى أفق لا يحد. شعره للحركة، للحرارة، للطموح، للتجاوز. إنه جمرة الثورة في شعرنا، جمرة تتوهج بلا انطفاء. إنه طوفان من هدير الأعماق، والموت هو أول شيء يموت في هذا الطوفان.

الحنين إلى النشوة، إلى الانتقال، إلى الانخفاف، شكل آخر من أشكال التمرد على المجتمع. فهذه وسائل لتمزيق ستائر الواقع اليومي، والدخول إلى العالم الخفي. لهذا الحنين مرتكز في الطبيعة الإنسانية. فالإنسان يتوق إلى أن يتخطى ظواهر الأشياء إلى ما وراءها، ومهمة الشعر هي أن يفتح دروباً إلى ذلك العالم الخفي وراء العالم الظاهر، ويتيح للإنسان أن يتخلص من العوائق، ويصير أشبه بوسائل روعي يتمدد في العالم.

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٣٨، ص ٨٧.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٥٢، ص ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٣٦، ص ٨٤.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٢٩، ص ٧٧.

سيكون الشعر في هذه الحالة مفاجئاً، غريباً، عدو المنطق والحكمة والعقل. هكذا ندخل معه إلى حرم الأسرار. نتحد بالأسطوري، العجيب، السحري. نمزج بين الغريب والأليف، الوضوح والسر، النظام والفوضى، الحقيقة والوهم، الداخل والخارج، الذات والموضوع، الليل والنهار، الواقع والحلم. نعدّ العالم الداخلي وعجائبه الواقع الوحيد، ونعلن أن العالم ليس إلا «هوى» الروح وجموحها. نجعل «الهوى ربّاً»^(١) كما يعبر ابن بابك.

هذا الشعر القائم على هوى التخيل والتوهم رأينا بعض نماذجه عند البهراني^(٢)، ويمكن أن نصفه بأنه سفر في فضاء الأعماق، يواكبه الخيال واليأس من الحياة، ورجاء الخلاص. ليس ابن بابك يائساً، بل هو «ابن اليأس»^(٣). منذ البداية يرفض العالم. اليأس يحب ويحنو فهو «أخ شفيق»^(٤)، واليأس يفرح ويظلل ويُمَتِّع، فهو «سُرادق منصوب في كل مكان»^(٥). قد يحاول بعضهم أن يجد في الحياة ما يروي، فيصرخ به الشاعر: هذا غرور^(٦)، والوطن ضيق كالصحن^(٧)، لا مُتَّسع فيه. بلى، إن

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١١، ص ٢٧٢.

(٢) راجع الديوان، ج ١، ص ٤١، وج ٢، ص ١٤٥.

(٣) الديوان، ج ٣، رقم ٤، ص ٢٦٨.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٩، ص ٢٧٠.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٣١، ص ٢٨٠.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٧، ص ٢٦٩.

(٧) المصدر نفسه، رقم ٢٧، ص ٢٧٨.

الجفاف والقحط عبرة الأرض^(١).

ماذا يفعل الشاعر إذن، وليس أمامه غير الخيبة؟ يلجأ إلى خلق عالم آخر. يؤمن بالعجيب. يبني بيوتاً أخرى، ويسلك دروباً ثانية. يبحث عما «يطير» العقل حتى يصبح البحر جرعة وتصير الجبال كرة^(٢). ها هو إذن يتخطى الأرض «ويبلغ السماء»^(٣) دون أن يتعب. وكيف يتعب وله «خطو كالموج»^(٤). والحياة ذاتها تحمله كالموجة^(٥). لكنه أحياناً يسافر إلى عالمه الآخر، بطريقة ثانية. يسافر ممتطياً الخيل التي تخبئها له «مساحب الريح»^(٦). وفي ذلك العالم يحدث النجوم وتحادثه^(٧)، بل يصير شبيهاً لها حتى لا يعود هناك فرق بينه وبينها^(٨)، إذ يصير كوكباً يدخل في النظام الشمسي^(٩). وهنا يصير جزءاً من عالمه: نجماً في جدول المجرة، وطريقاً على شعرة الصراط^(١٠). هناك الوجود الحقيقي الذي اشتراه بالمعدوم في عالم الناس^(١١). وهناك يجد المتعة في

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٩، ص ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٥، ص ٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٦، ص ٢٦٩.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٨، ص ٢٧٠.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٠، ص ٢٧٥.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٢٧٧.

(٧) المصدر نفسه، رقم ٢٦، ص ٢٧٨.

(٨) المصدر نفسه، رقم ٢٣، ص ٢٧٦.

(٩) المصدر نفسه، رقم ٢٩، ص ٢٧٩.

(١٠) المصدر نفسه، رقم ٢٤، ص ٢٧٧.

(١١) المصدر نفسه، رقم ١١، ص ٢٧١.

العيش، ويجد الصبوة، حتى إنه ليقدر أن يغرّد ولو لم يكن غرّيداً^(١). يصبح هو نفسه سحراً يغيّر ويخلق ما يشاء، حتى إنه ليستطيع أن يخلق سواداً للضوء^(٢).

ماذا يشكو؟ ضياع شعره بين الناس؟ لا بأس. ليكن شعره برقاً يستهل على الحجر^(٣). فهو يعرف أنه منزّه عن العيب. عيبه الوحيد أنه شقي بالشعر، أنه «يدمى من الشعر»^(٤)، دون أن يشعر. لكنه يشكو أمراً واحداً: كونه من رجال هذا الزمن^(٥).

هذا الاتجاه نحو العجب، المدهش، اللامعقول هو ردة فعل ضد يباس الحياة، وهو تفجير لأرض الألم المعتمدة، حيث ننقذ حريتنا الداخلية ونشفي من داء العيش في مجتمع ليس إلا حشداً من «البقر» و«القروء».

بهذه الخيالية نصف عالماً نتخيّله بحيث إن وصفنا له يوهمنا أننا بلغناه وأننا عشنا فيه ولو لحظات قليلة. والعجب هنا ليس مستمداً من الأسطورة أو من الذهنية الفولكلورية، بل هو داخلي نفسي مستمد من خاصية الشعر السحرية، حيث يسيطر على الشعر هذان هادئ رصين، ويصبح السر أليفاً كالهواء. وينقل الشريف الرضيّ هذا الهذيان في الروح إلى هذيان في المكان، فيقول:

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١١، ص ٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٨، ص ٢٧٠.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١٣، ص ٢٧٢.

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٢٧٤.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٢٥، ص ٢٧٨.

ستسمعُ بي شاردًا في البلادِ لأمر، أغيرُ إنسانِيه
عليقُ جِيادِي شَمَّ النسيمِ والظَّمُّ سائقُ أذوايَةِ^(١).

هذا هو مناخ الجنة الضائعة، مناخ الطفولة الأولى، الذي سِرَدَ عليه، فيما بعد، الشريف العقيلي بالدعوة إلى المدينة وعالم المدينة.

«آخر الحيوان الموت»^(٢)، كما يعبرُ أبو تَمَام؛ الموت يطارد الإنسان؛ الحياة موت فوق الأرض، أو هي «غيمة الموت»، كما يقول أبو العلاء المعري: هذه حقائق، فماذا يفيد نسيانها أو تجاهلها؟ من هذا التساؤل تنطلق تجربة أبي العلاء.

لم يصل أبو نواس إلى أطراف المأساة. بقي في حدود الحوار بين الروح والخطيئة، بين حاضر اللذة، ومستقبل النجاة. أبو العلاء المعري حُضِنَ الأطراف وتجاوزها. الحياة، كما يراها أبو نواس، تبدأ اليوم والآن؛ وهي عند أبي العلاء تبدأ بعد الموت. إنه يفتح في أعماقه جحيماً يهبط فيه؛ يحاور الموت ويصادقه ويتمناه ويدعوه حتى الموت.

انفعاله المباشر الأول، إزاء الحياة هو الزهد. لذلك يأنس بالوحدة وتوحشه الجماعة^(٣). والبعد عن الناس يتضمن الملل

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٢٤، ص ٢٦٥.

(٢) الديوان، ج ٢، رقم ٦٢، ص ٣٣٧.

(٣) الديوان، ج ٣، رقم ٣٣، ص ٣١٦.

والتعب منهم. فالحياة «تعب كلها»^(١). وإذا كان هناك ما يدعو إلى العجب فهو الرغبة في إطالة الحياة. إذ بقدر ما يطول عمر الإنسان يطول شقاؤه^(٢).

لكنّ أبا العلاء لا يقدّم جديداً في ما يتعلق بالدعوة إلى الزهد. سبقه إليها أبو العتاهية، بشكل خاص، وعبر عن دعوته بنبرة باروقية مشحونة بالرهبة. الإنسان «يسقط» كما يقول وحيداً إلى الدنيا و«يمضي» عنها وحيداً^(٣)، دون أن يظفر بشيء منها إلا بحفنة التراب التي تغطيه بعد نزوله في القبر^(٤). والقبر هو مكان التحوّل المرعب: يتعفّر الوجه البشري، وتنتن رائحة الإنسان العطرة، ویتفتت الجسد الناعم، ولا يبقى غير الجمجمة العارية والأعظم النخرة^(٥). لماذا إذن يغترّ الإنسان بالدنيا ويرفعها «من تحت رجله على رأسه؟»^(٦) لماذا، والقبر مسكنه الوحيد؟^(٧) بلى إن الأرض هي «ديار التزعزع»^(٨)، والخلاص الحقيقي هو في الخلاص منها، في بناء كون مقدس على الأرض يصلنا باللّه والآخرة، عبر انتظارنا الموت الحق.

(١) الديوان، ج ٣، رقم ١، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه، رقم ٣، ص ٣٠٦.

(٣) الديوان، ج ٢، رقم ٦، ص ٣١٣.

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٣، ص ٣١٥.

(٥) المصدر نفسه، رقم ١٠، ص ٣١٤.

(٦) المصدر نفسه، رقم ١٢، ص ٣١٤.

(٧) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٣١٦.

(٨) المصدر نفسه، رقم ٢٢، ص ٣١٧.

لكن إذا كان أبو العتاهية قد خلق هذا الكون المقدس بدءاً من الزهد بالدنيا، فإن أبا العلاء يخلقه بدءاً من الموت، فالموت هو الأكسير الوحيد الذي يطهر ويشفي وينقذ. إنه يتحسر لكونه إنساناً يعيش سجين موته الذي يتقطر نقطة نقطة. فهو ميت قبل أن يقبر، وليست الحياة إلا موتاً يسعى: الثوب الذي يلبسه الإنسان هو الكفن، والمنزل قبره، وعيشه موته، والموت بعثه، وهو حياته الأصلية^(١). إذن لماذا لا يتوق الإنسان إلى الموت الفعلي؟ لماذا يعيش وهمياً؟ موجود غير موجود: عرضياً هنا والآن، جوهرياً هنالك في أبدية السديم. وفوق ذلك يعيش مع الآخر. الآخر الذي «صاغه ربه من الوسخ»^(٢)، فهو دنس محض حتى إن الأرض لا يمكن أن تتطهر «إلا إذا زال عن آفاقها الإنس»^(٣). إن الإنسان لعنة اغتراب: غريب بين الناس وغريب بعد أن يموت^(٤). فالحق أن شر أنواع الشجر وأخبثها هو الشجر الذي يثمر الناس^(٥).

الصخرة، لذلك، أفضل من أفضل الناس: ألا سحقا للحياة ولا بورك في كل ما هو حي^(٦). الوطن سجن والموت تسريح

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٢٠، ص ٣١٣.

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٨، ص ٣١٣.

(٣) المصدر نفسه، رقم ٣٠، ص ٣١٧.

(٤) المصدر نفسه، رقم ١٢، ص ٣١١.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٣٢، ص ٣١٧.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٢٩، ص ٣١٧.

والقبر وحده حصن الإنسان. وخير له أن يموت اقتلاعاً كالشجرة دون أن يترك وراءه غصوناً أو أصولاً^(١).

ما أعذب الموت وما أوسع: فيه يستريح الإنسان عائداً إلى أصله، فيتطهر^(٢) ويشفى، فالعيش عِلَّةٌ دواؤها الموت^(٣). الموت عيد الحياة^(٤)، فالفناء يغني الإنسان، شأن المسك الذي يزيده السحق غنى وطيباً^(٥). بل إن الموت غريزة النفس؛ فهي في شهوة دائمة لتصبح زوجة له^(٦).

إن أبا العلاء يموت من كونه لا يموت؛ فأسرع، أيها الموت:

جسدي خِرْقَةٌ تُخَاطُ إِلَى الْأَرْضِ
فِيَا خَائِطَ الْعَوَالِمِ خِطْنِي^(٧).

هذا هو الإنسان: خرقه تذوب في النسيج الكوني، وزجاجة تتكسر ولا تُسبك مرة ثانية^(٨). أغلب «الظن» إذن، أن هذا الزمان، بكونه وفساده معاً، ليس إلا عبثاً ولهواً^(٩).

(١) الديوان، ج ٣، رقم ٢٢، ص ٣١٤، رقم ٤٥، ص ٣٢١.

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٧، ص ٣١٢.

(٣) المصدر نفسه، رقم ١٩، ص ٣١٣.

(٤) المصدر نفسه، رقم ٢٦، ص ٣١٥.

(٥) المصدر نفسه، رقم ٣٨، ص ٣١٩.

(٦) المصدر نفسه، رقم ٣١، ص ٣١٧.

(٧) المصدر نفسه، رقم ٥٠، ص ٣٢٣.

(٨) المصدر نفسه، رقم ٣٩، ص ٣١٩.

(٩) المصدر نفسه، رقم ٢١، ص ٣١٤.

هذا هو العبث ومناخه، حيث لا يجد الإنسان أساساً راسخاً لكيانه، لا في نفسه ولا خارج نفسه. الحياة فاسدة أصلاً: وولادة الإنسان هي أيضاً خطيئة أصلية.

يكشف شعر أبي العلاء المعري عن الغياب الأصلي في الحياة. فالحياة غائبة جوهرياً - لا الآن وحسب، بل أمس وغداً. فليس العالم والتاريخ إلا سلسلة من الغياب الدائم الحضور، وليس الإنسان إلا سقوطاً متتابعاً ينتظر نهايته. هكذا يستعجل أبو العلاء الموت، كأنه يرفض وجوداً يحدده الانتظار.

إن أبا العلاء هو أول شاعر ميتافيزيائي في تراثنا الشعري، من حيث إنه مأخوذ بالعودة إلى حضن الأم - الأرض، مأخوذ بالمطلق: بالزمن، والموت، والفناء، والأبدية... إنه شاعر ميتافيزيائي، وليس شاعراً فيلسوفاً، ذلك أن الفكر الميتافيزيائي تأمل في العالم، أما الفلسفة فتتضمن أكثر من التأمل: تتضمن طريقة ومنهجاً في تأمل العالم. ولا طريقة لأبي العلاء: إنه يثير مشكلات ذات طبيعة ميتافيزيائية، ويتحدث عنها ويستلهمها في سبيل تأكيد الحقيقة التي يشعر أنها تملأ يقينه. وهو في شعره يتحدث بنبرة أليفة، نبرة الذي يعلم الحقيقة. لذلك يتوجه إلى الفكر أكثر مما يتوجه إلى الشعور. فالمعنى هو ما يهيمه في المقام الأول. ولعل هذا ما يفسر السبب في أنه لم يترك تقليداً فنياً يمكن التأثير به، كما ترك مثلاً أبو تمام أو أبو نواس. إنه عالم وحده، لا يتميز عمّن تقدّموه من الشعراء وحسب، بل يتميز أيضاً عن معاصريه.

كان أبو العلاء بُرجاً يرتفع وحيداً، عالياً، في مفازة البشر،
وفي الجهات كلها يُرى ويتلأأ.

هكذا تبرز الملامح الرئيسية لحركة التحول في الشعر العربي .
يتجاذب هذه الحركة طرفان متناقضان: قوة التقليد وقوة التجديد .
الأولى تريد أن يكون الشعر شهادة للماضي: تكراراً لنماذج
الشهادات السابقة . وتريده الثانية شهادة للحاضر القائم . الحياة في
الأولى، تجريدات ومصطلحات ترزح تحت سلطان التقليد وليست
قيمة الشعر، بالنسبة إليها، كامنة في تمجيد الحياة، بل في تمجيد
النموذج، وليست في صدوره عن التجربة، بل عن المثال، ولا
عن الحاضر والتطور، بل عن الماضي والتاريخ .

ولقد عزز الصراع الاجتماعي آنذاك بين عناصر المجتمع
المتنافرة المطالبة بالنموذج والماضي، من جهة - وعزز من جهة
ثانية الإلحاح على التجربة الحيّة . كان صراعاً بين العتيق والطريف،
بين التذكر والنسيان، بين الشيخوخة والفتوة . كانت عناصر
الشيخوخة تتمسك بالمثال، بالماضي . بالنماذج، وتحارب التمسك
بالحياة والطرافة والتغير . وإذا أدركنا أن مثل هذا الصراع يحدث في
المجتمع الواحد، المتجانس، ويحدث قوياً ويغيّر، فكم يكون
عنيفاً في مجتمع غير متجانس لا في عناصره ولا في طبقاته
ومستوياته - كالمجتمع العربي آنذاك . وإذا عرفنا أن السلطة هي
مظهر السيادة في الدولة، أدركنا كيف كان ذلك الصراع الثقافي،

ولا يزال حتى يومنا هذا، يكتسي شكلاً سياسياً، حيث تمتزج الثقافة بالسياسة، ويحكم على الثقافة بقيمتها بروح السياسة وقيمتها.

كانت القوى المحافظة في المجتمع العربي، وهي عادة قوى السلطة، ترى أن الحياة هي المحافظة على ما هو أصلي وقديم. وترى أن التقدم يجب أن يكون سبيكة جديدة من معادن قديمة، وفقاً لتعبير ابن طباطبا العلوي، أي أن التقدم نوع من تحويل الموروث وصياغته من جديد، وليس فهماً للحياة الجديدة وتلاؤماً معها وتعبيراً عنها. كأن الزمن عامل تشويه، وكأن المثال الأعلى هو الفطرة الأولى، وكلما ابتعدنا عنها ازداد تخلفنا. وهذه نظرة مثالية لا تطورية، تترك أصحابها يدورون في عالم مغلق من الأفكار والمثل. وقد ساعد على ترسيخ هذه النظرة الدين، بوصفه وحياً، وليس في مقدور الذين يرثونه أن يناقشوه أو يشكّوا فيه: موقفهم الوحيد هو قبوله حقيقة مطلقة.

وهذه النظرة تؤدي إلى التقليد والانصراف عن الإبداع: كمال العالم في الماضي، والإبداع الأشمل والأغنى هو الإبداع الأول الذي تحقق في الماضي.

كان الشاعر الجاهلي يمثل يقظة الحرية في نظام قبائلي صارم، أما الشاعر العباسي فيمثل اليقظة الفردية في مجتمع يحكمه التقليد والخليفة - دون أي دستور مدني ينظم شؤون الفرد والجماعة.

من هنا يتضح لنا كيف أن خصائص الحركة الشعرية والروحية في القرنين الميلاديين الأولين وما قبلهما تختلف تماماً عن

خصائص الحركة الشعرية في القرنين الثالث والرابع والنصف الأول من القرن الخامس. هناك التلاحم بين المثال والواقع، بين النظر والعمل، بين الفرد والمجتمع، وهنا التنافر والتناقض. هناك القبول بالسلطة، سياسية وغير سياسية، وهنا رفض لقوى السلطة الأبوية والدينية والأخلاقية، وحتى السياسية، والخروج منها إلى حالة مبهمة - متمردة وشبه ثورية، واقعية ووهمية، عملية وطوباوية. هناك يخضع العقل للعاطفة، وهنا تنفلت العاطفة وتستسلم للغموض بلا نظام مفروض، مع محاولة السيطرة على العقل. هناك القواعد والنماذج مقبولة كقيم عليا، وهنا النقد الصارم للقيم الثابتة، وتعميق التناقضات. هناك يخضع الممكن للواقع، وهنا ينقلب الممكن والمستحيل على الواقع: خروجاً إلى المحال. هناك التقليد هو السيد: الأدنى يقلد الأعلى، والمتأخر يقلد السابق، وهو تقليد يتحوّل إلى منهج عقلي وفني وأخلاقي. وهنا السعي وراء الطرافة والغرابة والجدة. هناك التوازن والقبول بالآخرين والمجتمع والنظام الكوني، والانضواء. وهنا الاحتجاج، والخروج، وعدم الانضواء، والسخرية من النظام. هناك النظام والوضوح، والرؤية، والاتزان - وهنا الحماسة، والتمجيد، والرفض، والتمرد.

III

من القبول إلى التساؤل، إلى الصنعة. الصنعة هي المدار الذي يتحرك فيه الشعر العربي طول تسعة قرون (١٠٠٠ - ١٩٠٠)، وهي الهاجس المسيطر.

الصنعة، وما يرافقها من تأثق وتصنيع وزخرفة، ظاهرة تسود حيث البطالة واللهو والترف، وحيث تترسخ الحياة الحضرية. لذلك يمكن أن نصف الشعر العربي في هذه القرون التسعة بأنه كان شعراً مدينيّاً. الصنعة، من هذه الناحية، لا تميّز الشعر، بقدر ما تميّز الحياة والمرحلة التاريخية، ذلك أنّها تنشأ وتنمو في ظروف وأوضاع اجتماعية وتاريخية معيّنة، هي غالباً ظروف توقّف، وأوضاع انحلال. فقلّما تنشأ الصنعة في أوضاع الثورة. الصنعة لعب، لذلك تنشأ في الهدوء والراحة، لا في التفجير والتغيّر.

ولقد تقلّصت الحياة العربية في هذه القرون التسعة. أصبحت عالماً يضيق بعد اتساع، وينغلق بعد انفتاح، وابتفت بعد تماسك. وكما أن الحياة في المدن أصبحت زياً، كذلك القصيدة لم يعد معناها هو الذي يهّم الشاعر أو السامع أو القارئ، بل زيّها، أعني صنعتها. وكما أن الحياة في المدن نقيض الحياة في البداوة،

كذلك كان الشعر المصنوع نقيضاً للشعر المطبوع. في الصنعة إتقان وتأنق يصلان أحياناً إلى درجة التصنع. وفي الطبع تفجر وفيض يصلان أحياناً إلى درجة السهولة.

ولئن كانت الكلمة في شعر الطبع شرارة أو موجة أو حركة عاصفة تتواكب مع غيرها في هدير كالنهر، فإن الكلمة في الشعر المصنوع لعبة، حصة مزوّقة ملساء تُقرن إلى غيرها في نسق كالعقد.

وإذا كان «الكلام يفتح بعضه بعضاً» كما يقول ابن رشيق، فإن الشعر كما فهمته تلك القرون التسعة هو صناعة الكلمات على نحو بارع بحيث يفتح بعضها على بعض، ويفتح بعضها بعضاً، وبحيث أصبح الناس آنذاك يأخذون بقول ابن رشيق: «المصنوع أفضل من المطبوع». وفي هذا يقول ابن رشيق مستطرداً، موضحاً: «ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة، ثم وقع معناه في بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمّل، كان المصنوع أفضلهما».

الشعر إذن هو، بحسب هذا الاتجاه النقدي، فن صناعة الكلام. لكن الكلمة هنا تظل وسيلة. تبقى لونا، عنصر تزيين وزخرفة وليست غاية بحد ذاتها.

ومن هنا كان مقياس الشعر هو أن يساير العصر وأهل العصر. ويعبر عن هذا ابن رشيق فيقول إن الشعر صار «أليق بالوقت وأمس بأهله». وفي تعبير آخر يقول «أشكل بأهله». وكان حين يمتدح شاعراً يقول عنه إنه «يختار للأوقات ما شاكلها».

هذه المشاكلة قادت إلى أن تصبح القصيدة نسيجاً مترفاً من

«الكلام المأنوس» أو المعاني السهلة، وإلى أن يصبح الشاعر «كصاحب الصوت المطرب يستميل الناس» كما يعبر ابن وكيع التّيسّي. هكذا أخذت القصيدة تتجه إلى أن تصبح أغنية.

والصنعة لعب شكلي. لهذا تطوّر الشكل الشعري في هذه القرون التسعة. فقد سادت الأوزان الخفيفة المجزوءة لكي توافق إيقاع الحياة المدنية السريعة المتحرّكة المتغيّرة. واستُخدمت كذلك اللغة العاميّة، خصوصاً في الموشّح والدّوبيت. وأخذ الشعراء يكتبون باللغة العاميّة ذاتها أنواعاً شعرية مثل الكان وكان، والقوما، والزجل. واستُخدمت إيقاعات مختلفة من أوزان مختلفة في قصيدة واحدة، أي في الموشّح. ونشأت أشكال جديدة هي المخمّسات والمسمّطات. ووصل تطور الشكل الشعري في هذه المرحلة إلى أوجه في التجربة التي حاولها القاضي الفاضل. فقد كتب قصيدة مزج فيها بين النثر والوزن، فجعل صدور الأبيات كلها نثراً، وجعل أعجازها كلها وزناً. وقد أثبتّ القصيدة في ما اخترته له من شعر، لأهميتها التاريخية الكبيرة.

إلى هذا كله نما الشعور بضرورة الموضوع في القصيدة. فحين جمع أسامة بن مُنقذ ديوانه جزءاً القصيدة الواحدة ذات الموضوعات المتعددة إلى أجزاء، ووضع كل جزء في الباب الذي يناسبه. أي أنه خلق جواً للقصائد ذات اللون الواحد.

والصنعة اتجه إلى العالم الخارجي كأشياء مفردة، مستقلة، حيث يحاول الشاعر أن يصنع بالكلمات كياناً يماثلها. وهكذا تمخّور الشعر العربي في هذه الفترة على وصف الأشياء بحد ذاتها، على وصف الأحداث والتغيّرات. فوصفها من حيث هي كائنة، لا

من حيث هي موجودة إن استخدمنا المصطلحات الفلسفية . كان ينظر إليها كماهيات ثابتة . وكان يعنى بأشياء الطبيعة ، كالأزهار والأنهار ، وأشياء الحياة اليومية بدءاً من أكثرها بساطة وانتهاء بأكثرها تعقيداً . وكانت عنايته الأولى منصبّة على جسد المرأة .

صار الحب في هذه المرحلة جسداً ، أي صار جنساً .

اللغة في التعبير عن هذا الحب تحتلّ المكان الأول . الكلمات وسائل الاتصال ، وبها يتمّ . اللغة هنا تمتدح وتمجد . القصيدة تفعل ، تؤثر ، بشكلها أولاً . فالطريقة التي يتوجّه بها إلى عشيقته أكثر فعالية من عشقه . فحين يتوجّه إليها يريد أن يكون شكل توجّهه مرآة له ، صورة عنه . لذلك يجهد في أن يأتي شكل توجّهه متقناً بارع التفنّن . والقلب لا يهمّ . يهمّ اللعب البارع . لكي نسرّ لا بدّ من أن نلمع . ولا نلمع إلا بصنعة ما . هكذا أصبحت الصنعة ، هي كذلك ، وسيلة الحب وخادمتها .

لكن الصنعة انحطّت حين أصبحت مدرسة . حين أخذ الشعراء يتعلمونها كأمثولة مدرسية . انحطت لذلك اللغة الشعرية . وانحطت صورها . صارت التشابيه علاقات مصطنعة تقوم على المبالغة . الحبيبة زنبقة ، وردة ، كوكب ، شمس . الشمس تمحو جميع الأضواء ، كذلك الحبيبة تمحو كل جمال ، غيرها . نجمة الصباح تستيقظ عارية . كذلك الحبيبة وهي تستيقظ . أما عيناها فتتكلمان وتأمران وتخطبان وتحرمان وتحللان ، وهما رسولها إلى العاشق ، والعاشق دائماً مريض يتوق إلى الشفاء ، وشفاءه حنان حبيبته . إنها في آن نار تشعله وماء تطفئه .

هكذا يبدو أن الصنعة في هذه القرون التسعة لم تكن ظاهرة

فردية بل ظاهرة جماعية، وأنها ترتبط بهاجس الأداء المتقن . فقد كانت الفكرة تأخذ قيمتها من زيتها وزيتها .

وفي هذا ما يُوضح أن الصنعة لا تنظر إلى اللغة بوصفها وسيلةً للفكر، بل تنظر إليها بوصفها مادةً فنية مهمتها أن تجعل العالم الخارجي عالماً جمالياً، أنّ تحوِّله إلى منظر أو إلى صورة سمعية - بصرية .

ولم يفد كثيراً دور البارودي في نقل الشعر العربي من عالم الألفاظ والمحسنات البديعية إلى عالم الواقع . لقد رجع إلى الأصول القديمة، لكنه لم يفد من تطوّر الشكل الشعري، واللغة الشعرية في عصر الصنعة، الذي سُمّي، خطأً، بعصر الانحطاط . لقد أحيا نماذج قديمة بتقليد بارع، وفي هذا تابع البناء خطأً على الأصول . وهذه المتابعة شاركت في إبقاء الدفعة الشعرية حيصة داخل معتقل شكلي . فكان الأحرى به أن يُكمل ما بدأه القاضي الفاضل وبعض الوشّاحين، فيتابع تحرير الشعر من معتقلاته الشكلية، وتحطيم جميع المعتقلات الأخرى .

كان هذا العالم الشعري يموت متجرجراً مع أنقراض الحرب العالمية الأولى . وكان لا بدّ، لبعثه، من أن يبدأ بهذه الطفولة، غير الناضجة، لكن الساحرة، التي أُسمّيها: جبران خليل جبران .

أدونيس

(بيروت، ١٩٦٤)

إشارات :

- * هناك أبيات رويت بأشكال وألفاظ مختلفة، انتقيت منها ما رأيته أفضل وأجمل دون الإشارة إلى الروايات التي أهملتها.
- * هناك أبيات تنسب إلى أكثر من شاعر؛ وقد أشرت إلى ذلك حيثما أمكنني. إلا أنني لم أدقق كثيراً، لأن ما يهمني في الدرجة الأولى هو الشعر لا قائله. ثم إن عملي ليس تحقيقاً بالمعنى المدرسي المعروف لهذه الكلمة.
- * قد تكون هناك أخطاء في تقدير الفترة التي عاش فيها الشاعر وزمن موته أو ولادته، ولما لم تكن غايتي تأريخ حياة الشعراء، اكتفيت بأن آخذ التاريخ المتفق عليه بعامة، أو أن أذكر القرن الذي عاش فيه الشاعر.
- * لم أتقيد، أحياناً، بتسلسل بعض الأبيات في القصيدة. فلجأت إلى التقديم والتأخير ليستقيم بناء الأبيات وتتابع أفكارها وصورها. لكنني لم ألجأ إلى ذلك، إلا نادراً وحيث تقتضي الضرورة الشعرية البالغة.
- * أثرت أن أثبت في هذا الجزء القطع أو الأبيات التي لا يعرف قائلوها وآثرت أن يشمل الشعراء الذين لم يترجم لهم المؤرخون ويرجح أنهم عاشوا قبل ١٣٠هـ والشعراء الذين اتفق المؤرخون على أنهم ماتوا في حدود ١٣٠هـ وما دون هذا التاريخ (حوالي ٧٥٠م).

قبيل الموت

الْيَوْمَ يُبْنَى لِدَوَيْدَ بَيْتُهُ:
يَا رَبِّ نَهَبِ صَالِحَ حَوِيَّتُهُ
وَرَبِّ قِرْنِ بَطَلٍ أُرْدِيَّتُهُ
وَمِعْصَمٍ مَخْضَبِ ثَنِيَّتُهُ.

لو كانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلِيَّتُهُ
أو كانَ قِرْنِي واحداً كَفِيَّتُهُ.

شاعر لا يعرف تاريخ موته. وهو من المعمرين. قال هذه الأبيات حين حضره الموت. ويروى أنه قال لأبنائه وهو يموت: «أوصيكم بالناس شراً».

رسالة

... يا لهف نفسي، إن كانت أموركم
شئت، وأُحْكَمَ أمرُ النَّاسِ فاجتمعَا
ألا تخافون قوماً، لا أبا لكم
أمسوا إليكم كأمثالِ الدِّبَا سرَّعَا؟
في كلِّ يومٍ يستون الحِرَابَ لكم
لا يهجعون إذا ما غافلٌ هَجَعَا
خُزِرَ عيونُهُمْ - كأنَّ لحظَهُمْ
حريقٌ غابٍ ترى منه السَّنا قِطْعَا...

قوموا قياماً على أمشاط أزجلكم
ثمَّ افزعوا - قد ينالُ الأَمْنُ مَنْ فزعَا.

كان كاتباً في ديوان كسرى، سابور ذي الأكتاف. رآه ينوي غزو إياد،
فكتب إليهم رسالة - قصيدة وقعت بيد كسرى، فقطع لسان لقيط وغزا إياداً.
عاش قبل الإسلام، ولا يعرف بدقة تاريخ موته.

السقف الواقف

عبرتُ بقومي البحرَ أنزف ماءهُ

وهل ينزفنَ البحرَ يا قوم نازِفُ؟

... وظلّ لها يومٌ يجمّع هَبْوَةً

بها يُبْتَنَى سَقْفٌ من الأفقِ واقِفُ.

اسمه البراق. من الشجعان وذوي السيادة في الجاهلية. عاش قبل الإسلام.

أُحَيْحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ

مليكة

يَشْتَاقُ قَلْبِي إِلَى مَلِيكَةٍ
لَوْ أُمْسَتْ قَرِيباً مِمَّنْ يُطَالِبُهَا،
يَا لَيْتَنِي، لَيْلَةً إِذَا هَجَعَ النَّاسُ
وَنَامَ الْكِلابُ، صَاحِبُهَا
فِي لَيْلَةٍ لَا يُرَى بِهَا أَحَدٌ
يَسْعَى عَلَيْنَا، إِلَّا كَوَاكِبُهَا.

من الدهاة الشجعان . كان مرابياً كثيراً المال . عاش قبل الإسلام .

رَهَانُ

رُدُّوا عَلَيَّ الْخَيْلَ إِنِ أَلَمَّتِ

إِنْ لَمْ أَنْجِزْهَا، فَجُزُّوا لِمَتِي

قَدْ عَلِمْتَ وَالِدَةُ مَا ضَمَّتِ

مَا لَفَفْتُ فِي خَرَقٍ وَشَمَّتِ

إِذَا الْكُمَاءُ بِالْكُمَاءِ التَّفَّتِ

أَمْخَدَجٌ فِي الْحَرْبِ، أَمْ أَتَمَّتِ.

١ - صورة شخصية

أقيموا، بني أمِّي، صدورَ مطيِّكم
فإني إلى قوم سواكم لأَمِيلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ، واللَّيلُ مُقَمَّرٌ
وشُدَّتْ لِطَيَّاتٍ مطايا وأَرْحُلُ...

وفي الأرض مَنأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القِلَى مُتَعَزِّلُ
لعمرك ما بالأرض ضيقٌ على امرئٍ
سَرَى راغِباً أو راهِباً، وهو يَعْقِلُ.

... ولي دونكم أهلون: سَيِّدُ عَمَلَسٌ
وأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيَّالٌ(*)

اسمه عمرو. ابن أخت تأبط شرأ. من الصعاليك العدائين. كان فارساً شجاعاً. توفي، كما يقال، نحو ٥٢٥م.

(*) السيد العملس: الذئب الأسود الأبيض، السريع. الأرقط الزهلول: النمر الأملس. الجيَّال العرفاء: الضبع الطويل العرف.

هُمُ الْأَهْلُ - لَا مُسْتَوْدِعُ السَّرِّ ذَائِعٌ
لديهم، ولا الجاني بما جرَّ يُخَذَلُ
وَكُلُّ أَبِيِّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنِّي
إِذَا عَرَضْتَ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ...
وَأِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِمْ، إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِسُطَّةٍ عَنْ تَفْضُلٍ
عليهم، وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمَتَفَضِّلُ.

أَدِيمٌ مِطَالُ الْجُوعِ حَتَّى أُمَيْتَهُ
وَأَضْرَبُ عَنْهُ الذِّكْرَ صَفْحاً فَأَذْهَلُ
وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الْأَرْضِ كَيْ لَا يُرَى لَهُ
عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوَّلٌ...

وَأَعْدَمُ أَحْيَاناً وَأَغْنَى، وَإِنَّمَا
يَنَالُ الْغِنَى ذُو الْبُعْدَةِ، الْمَتَبَذَّلُ
فَلَا جَزَعٌ مِنْ خَلَّةٍ، مَتَكَشَّفٌ
وَلَا مَرَحٌ تَحْتَ الْغِنَى أَتَخَيَّلُ...

... فِدَقْتُ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرْتُ وَأُكْمِلْتُ

فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ

فَبِئْسَ كَأَنَّ الْبَيْتَ حُجَّرَ فَوْقَنَا

بِرِيحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتِ.

١ - الحياة المعارة

... وصار الليلُ مشتملاً علينا

كأنَّ اللّيلَ ليس له نهارُ

وبِتُّ أراقِبُ الجوزاءَ حتّى

تقاربَ مِن أوائلها انحدارُ

أَصْرَفُ مقلتي في إثر قوم

تَبَايَنت البلادُ بهم فغاروا.

دعوتكَ يا كُليبُ فلم تُجبنني

وكيف يُجيبني البلدُ القفارُ-

سقاكَ الغيثُ، إنك كنتَ غيثاً

ويُسراً، حين يُلتَمَسُ اليسارُ،

كأني إذ نعى النَّاعي كُليباً

نَطَايِرَ بين جَنَبَيَّ الشَّرارُ

اسمه عدي خال امرئ القيس. كان يلقب «زير النساء». يظن أنه توفي نحو ٥٢٥ م.

أرى طول الحياة وقد تَوَلَّى
كما قد يُسَلَبُ الشَّيْءُ الْمُعَارُ.

٢ - لعب الحرب

ونبكي، حين نذكركم، عليكم
ونقتلكم كأننا لا نُبالي.

٣ - نعي

نَعَى النُّعَاةُ كُلَّيْبًا لِي، فقلتُ لهم:
مالت بنا الأرضُ أو زالت رواسيها
ليت السَّمَاءَ على مَنْ تحتها وَقَعَتْ
وَحَالَتِ الأرضُ فأنْجَابَتْ بمن فيها.

الحرب (*)

يا بُؤْسَ للحرب التي
والحربُ لا يبقى لجاحِمها
إلاّ الفتى الصبَّارُ في التَّجَدَّاتِ
والكَرُّ بعدَ الفَرِّ إذْ كُرَّة
كَشَفَتْ لَهُم عن ساقِها
فَالَهُم - بَيَضَاتُ الخُدُورِ
مَنْ صَدَّ عن نيرانِها
هِيَهَاتَ حَالُ المَوْتِ دُونَ
كَيْفَ الحَيَاةِ إِذَا خَلَتْ
أَيْنَ الأَعَزَّةِ والأَسِنَّةِ

وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَا حُوا
التَّخْيُّلُ والمِرَاحُ -
والفَرَسُ الوَقَّاحُ
التَّقَدُّمُ والنُّطَاحُ،
وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ
هَنَّاكَ، لَا النَّعْمُ المُرَاحُ،
فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ -
الْفَوْتُ وَانْتِضِي السِّلَاحُ
مِنَّا الظُّوَاهِرُ والبَطَاحُ
عِنْدَ ذَلِكَ والسَّمَّاحُ؟

من الشعراء الفرسان. جد طرفة بن العبد. يقال إنه توفي حوالي ٥٣٠م.

(*) قيلت هذه الأبيات في حرب البسوس نحو ٤٩٠م.

بشر بن أبي خازم الأسدي

١ - أنصار

... وينصرُنا قومٌ غضابٌ عليكم
متى ندُّعُهم يوماً إلى الحرب يركبوا،
.. وخيلٌ تُنادى من بعيدٍ، وراكِبٌ
حَثِيثٌ بأسبابِ المنيَّةِ يضربُ.

٢ - قبيل الموت

ثوى في مُلْحَدٍ لا بُدَّ منه
كفى بالموت نأياً واغتراباً -
رهينَ بلى، وكلَّ فتى سَيْبلى
فَأَذْري الدَّمَعَ وانتَحِبي انتحاباً.

كان فارساً شجاعاً عرف حياة الأسر. مات في إحدى غاراته، نحو
٥٣٣م، كما يرجح الرواة.

٣ - العين

إذا اخْتَلَجْتَ عَيْنِي أَقُولُ: لَعَلَّهَا
فَتَاةُ بَنِي عَمْرٍو، بها العينُ تلمعُ.

٤ - الحبيبة

... وَغَيَّرَهَا مَا غَيَّرَ النَّاسَ قَبْلَهَا
فَبَانَتْ وَحَاجَاتِ الْفُؤَادِ تُصِيبُهَا
أَلَمْ يَأْتِهَا أَنَّ الدَّمْعَ نَطَافَةٌ
لِعَيْنٍ يُوَافِي فِي الْمَنَامِ حَبِيبُهَا؟

١ - بنات الدهر

فأوردتهم ماءً على حين وِردِهِ،
عليه خليطٌ من قطاً وحمَامِ
وأهونُ كفٍّ لا تضيركُ ضيرةٌ
يَدُ بين أيدي في إناء طَعَامِ،
كأنِّي، وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً
خلعتُ بها عني عِذارَ لجامي
رمّني بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى
فكيف لمن يُرمى وليس برامٍ؟
فلو أنّها نَبْلٌ، إذنْ لا تَقَيُّثُها
ولكنّني أرمى بغير سِهامِ

نشأ يتيماً. سافر مع امرئ القيس إلى كسرى، فمات في الطريق - فللقب «الضائع». مات، كما يروى، نحو ٥٤٠م.

وأُفْنِي وما أُفْنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً
وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ
وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ.

٢ - الشَّباب

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ
أَفْقِدْ بِهِ، إِذْ فَقَدْتُهُ، أَمَّما
قَدْ كُنْتُ فِي مَيْعَةٍ أُسْرُ بِهَا
أَمْنَعُ ضَيْمِي وَأُهْطِطُ الْعُضْمَا
وَأَسْحَبُ الرِّيطَ وَالْبُرُودَ إِلَى
أَدْنَى تَجَارِي وَأَنْفُضُ اللَّمَمَا
لَا تَغْبِطِ الْمَرْءَ أَنْ يُقَالَ لَهُ:
أَمْسَى فَلَانٌ، لِعَمْرِهِ، حَكَمَا
إِنْ سَرَّهُ طَوْلُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ
أَضْحَى عَلَى الْوَجْهِ طَوْلُ مَا سَلِمَا.

٣ - امْرَأَةٌ

يُوفَانِي مَعَ اللَّيْلِ مِيعَادُهَا
وَيَأْبَى مَعَ الصُّبْحِ إِلَّا زِيَالَا،

كَأَنَّ الذَّوَائِبَ فِي فَرْعِهَا
حَبَالٌ تُوصَّلُ فِيهَا حَبَالًا
وَوَجْهُهُ يَحَارُّ لَهُ النَّظَرُونَ
يَخَالُونَهُمْ قَدْ أَهْلُوا هِلَالًا.

١ - امرأة

ألم تَرياني، كلَّما جِئْتُ طارقاً
وجدتُ بها طيباً، وإن لم تَطِيبِ...

٢ - وجودية

أرانا مُوضِعِينَ لأمر غيبٍ
ونُشَحِرُ بالطَّعامِ وبالشُّرابِ
عَصَافِيرُ وَذَبَّانُ وَدَوْدُ
وأَجْرًا من مُجْلَحَةِ الذَّنَابِ...
إلى عِرْقِ الثَّرى وَشَجَتْ عروقي
وهذا الموت يَسْلُبُنِي شَبَابِي
وقد طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى
رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ.

اسمه حندج. يلقب «الملك الضليل». مات، كما يرجح، نحو ٥٤٢م.

فَلَمَّا بَدَتْ حُورَانِ فِي الْآلِ دُونَهَا

نَظَرْتُ، فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِكَ مَنْظَرًا

تَقْطَعُ أَسْبَابَ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى

عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةً وَشَيْزَرًا

... فَدَعُ ذَا، وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ

ذُمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

عَلَيْهَا فَتَى لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضُ مِثْلَهُ

أَبْرَ بِمِثَاقٍ، وَأَوْفَى، وَأَضْبَرَا

وَلَوْ شَاءَ كَانَ الْغَزْوُ مِنْ أَرْضِ حِمِيرٍ

وَلَكِنَّهُ عَمْدًا إِلَى الرُّومِ أَنْفَرَا

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ

وَأَيَقُنُ أَنَا لِأَحْقَانٍ بِقِيصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكُ عَيْنُكَ، إِنَّمَا

نُحَاوِلُ مُلْكًا، أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا

... إِذَا قُلْتُ: هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيْتُهُ

وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ، بُدِّلْتُ آخَرَا

كَذَلِكَ جَدِّي، لَا أَصَاحِبُ صَاحِبًا

مِنَ النَّاسِ، إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا.

٤ - الجن

تُخَيِّرُنِي الْجِنُّ أَشْعَارَهَا
فَمَا شِئْتُ مِنْ شِغْرِهِنَّ، اصْطَفَيْتُ.

■ - امرأة

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصُوبَ الْغَمَامِ
وَرِيحَ الْخُزَامَى وَنَشْرَ الْقُطْرُ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا
إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمُشْتَحِرُ
فَبِتُّ أَكَابِدُ لَيْلَ التَّمَامِ
وَالْقَلْبُ، مِنْ خَشْيَةٍ، مُقْشَعِرُّ.

٦ - حسرة

... فَيَا رَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وَرَاءَهُ
وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفُسَا

وَمَا خِلْتُ تَبْرِيحَ الْحَيَاةِ كَمَا أَرَى
تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعَةً
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا.

٧ - تقول وقد جردتها

تقول، وقد جَرَدْتُهَا من ثيابها

كما رُغِتَ مكحولاً من العينِ أثْلَعَا

وجَدَّكَ لو شيءٌ أَتَانَا رسوله

سواكَ... ولكن لم نجد لك مَدْفَعَا،

فَبِئْسَنَا تَصُدُّ الوحشُ عَنَا كَأَنَّا

قتيلانٍ لم يعلم لنا النَّاسُ مَصْرَعَا

إذا أَخَذَتْهَا هِرَّةُ الرَّوْعِ أُمْسَكَتْ

بمنكبٍ مِقْدَامٍ على الهولِ أروَعَا

تَصُدُّ عن المأثور بيني وبَيْنَهَا

وتُذْنِي عليَّ السَّابِرِيَّ المَضْلَعَا.

٨ - تشرّد

يجولُ بِآفاقِ البلادِ مُغْرِباً

وتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبَا كُلِّ مَسْحَقٍ.

٩ - أشتات

كَأَنِّي غداةَ البينِ يومَ تحمَّلُوا

لدى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفٌ حَنُظَلٍ

وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ
 يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكْ أَسَى، وَتَجَمَّلِ
 وَإِنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ إِنْ سَفَحْتُهَا
 وَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ؟
 ففَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً
 عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي مِخْمَلِي.
 ... وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعِذَارَى مَطِيَّتِي
 فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمَتَحَمَّلِ
 فَظَلَّ الْعِذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا
 وَشَحْمِ كَهْدَابِ الدَّمْقُسِ الْمَفْتَلِ
 وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِذْرَ، خِذْرَ عُنَيْزَةٍ
 فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
 تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بَنَا مَعًا
 عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلِ
 فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَزْخِي زِمَامَهُ
 وَلَا تُبْعِدْنِي عَنْ جَنَّاكِ الْمَعْلَلِ،
 فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعُ
 فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحُولِ

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشوقٍ وتحتي شِقُّها لم يُحوَّلِ

أفاطم مهلاً بعضَ هذا التَّدليلِ
وإن كنتِ قد أزمَعْتَ صَرَمِي فَأَجْمِلِي
أغرَّك مني أَنَّ حَبَّكَ قَاتِلِي
وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
وما ذرفت عيناك إِلَّا لتضربي
بسهميك في أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ .

وبيضة خِذِرٍ لا يُرام خِباؤها
تَمَتَّعْتُ من لهُوِّ بها غير مُعْجَلِ
تجاوزتُ أَحْرَاساً إليها ومِعْشِراً
عَلَيَّ حِرَاصاً لو يُسْرُونَ مَقْتَلِي
إذا ما الثريَّا في السَّماءِ تعرَّضتِ

تعرَّضَ أثناء الوشاحِ المِفْصَلِ
فجئتُ وقد نَضَّتْ لنومِ ثيابها
لدى السُّتْرِ، إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ
خَرَجْتُ بها أَمْشِي تَجُرُّ وَرَاءَنَا
على أَكْرَيْنَا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحِّلِ

فقالت يمينَ الله ما لك حيلة
 وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
 إذا التفتت نحوي تَضَوُّعَ ريحها
 نسيمَ الصِّبا جاءت برياً القرنفلِ
 ... هَصَرْتُ بِفَوْدِي رَأْسَهَا فَمَا يَلْتُ
 عَلَيَّ هُضِيمَ الْكَشْحِ رَيَّا الْمُخْلَخِلِ
 مُهْفَهَفَةً بِيضَاءَ غَيْرِ مُفَاضَةٍ
 تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنَجَلِ
 تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا
 مَنَارَةٌ مُنْسَى رَاهِبٍ مَتَبَتِّلِ
 تَسَلَّتْ عَمَايَاتِ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا
 وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاهَا بِمُنْسَلِ .
 وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُذُولُهُ
 عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِي
 فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
 وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكُلِّكِلِ
 أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِ
 بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجُومَهُ
بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ .

... وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ
بِهِ الذُّبُّ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمَعِيلِ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إِنَّ شَأْنَنَا
قَلِيلُ الْغِنَى، إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلَ
كِلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ
وَمَنْ يَخْتَرِثَ حَرْثِي وَحَرْثَكَ يَهْزُلِ .

... وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا
بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هِيَكَلِ
مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا
كَجَلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِي .

١٠ - لَيْلَةُ حَب

وَيَا رَبِّ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ وَلَيْلَةٌ
بِأَنْسَةٍ كَأَنَّهَا خَطٌّ تَمْثَالِ
يُضِيءُ الْفَرَاشَ وَجْهَهَا لَضَجِيعِهَا
كَمَصْبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ دُبَالِ

ومثلك بيضاء العوارض طفلة

لعوب تنسيني إذا قمت سربالي

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها

تميل عليه هونة غير مجبال

تنورتها من أذرعَات، وأهلها

بيثرب، أدنى دارها نظر عال

نظرت إليها والنجوم كأنها

مصايح رهبان تشب لُقْفال

سموت إليها بعدما نام أهلها

سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حال

فقلت: سباك الله، إنك فاضحي

أست ترى السمار والناس أحوالي؟

فقلت: يمين الله أبرح قاعداً

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي .

... فلما تنازعنا الحديث وأسمحت

هصرت بغضن ذي شماريخ، ميال

وصرنا إلى الحسنى، ورق كلامنا

ورضت فذلت، صعبة، أي إذلال

فأصبحثُ معشوقاً وأصبحَ بعْلِها
عليه القَتَامُ، سيِّئَ الظنِّ والبالِ
يَغِطُّ غَطِيظَ الْبَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ
لِيَقْتُلَنِي، والمرءُ ليس بِقَتَّالِ
أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي
وَمُسْنُونَةُ زُرْقُ كَأَنِيَابِ أَغْوَالِ؟
وقد علمت سلمى، وإن كان يعلِّها
بأنَّ الفتى يهذي وليس بفَعَّالٍ...

... وماذا عليه أن ذكرْتُ أو أنسا
كَغَزْلَانِ رَمَلٍ فِي مُحَارِبِ أَقْيَالِ
صرفتُ الهوى عنهنَّ من خشية الرَّدَى
ولستُ بِمَقْلِي الْخِصَالِ وَلَا قَالَ،
كَأَنِّي لَمْ أُرْكَبْ جَوَاداً لِلذَّةِ
وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خُلْخَالِ

ولم أسبأ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ ولم أقل
لِخَيْلِي: كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ...

... فلو أَنَّنِي أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ

كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

وَلَكِنِّي أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ

وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي.

١ - الوداي

تَبَطَّنَتْهُ بِالْقَوْمِ، لَمْ يَهْدِنِي لَهُ
دَلِيلٌ، وَلَمْ يُثَبِّتْ لِي النَّعْتَ خَابِرُ
بِهِ سَمَلَاتٌ مِنْ مِيَاهٍ قَدِيمَةٍ
مَوَارِدُهَا مَا إِنْ لَهْنَ مَصَادِرُ.

٢ - الاسم

... فَهَبْهُ تَسْمَى اسْمِي، وَسَمَّانِي اسْمَهُ
فَأَيْنَ لَهُ صَبْرِي عَلَى عِظَمِ الْخَطْبِ؟
وَأَيْنَ لَهُ بَأْسٌ كَبَائِسِي وَسَوْرَتِي
وَأَيْنَ لَهُ فِي كُلِّ فَادْحَةٍ قَلْبِي؟

اسمه ثابت. من الصعاليك الفرسان المغيرين. عرف بسرعة العدو وسبقه الخيل. يظن أنه مات نحو ٥٤٠م.

٣ - صورة شخصية

قليلُ التَّشْكِي للهموم تُصِيبُهُ
كثيرُ الهوى، شَتَّى النُّوى والمسالِكِ
يَظَلُّ بِمَوْمَاءٍ وَيُمَسِّي بِغَيْرِهَا
جَحِيشًا*، وَيَعْرِوْرِي ظُهور المِهالكِ
وَيَسْبِقُ وَفَدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ يَنْتَحِي
بِمَنْخَرِقٍ مِنْ شَدَّةِ المِتْدَارِكِ...
إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومِ، لَمْ يَزَلْ
لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانٍ، فَاتِكِ.
وَيَجْعَلُ عَيْنِيهِ سَبِيئَةً قَلْبِهِ
إِلَى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أَخْضَرَ بَاتِكِ
إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمِ قَرْنٍ تَهَلَّلَتْ
نَوَاجِذُ أَفْوَهِ المَنَايَا الضَّوَاحِكِ...
يَرَى الوَحْشَةَ الأَنْسَ الأَنْيسَ وَيَهْتَدِي
بَحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ
تَكِلَّ مَتُونُ الصَّافِنَاتِ إِذَا جَرَتْ
تَبَارِيهِ، أَوْ تَدْمَى نُسُورُ السَّنَابِكِ.

(*) الجحيش: الوحيد المنفرد.

فرشتُ لها صدري، فزَلَّ عن الصِّفا
 به جُوجُوْ عِبْلٌ وَمَثْنٌ مُخَصَّرٌ
 فخالَطَ سَهْلَ الأرض، لم يَكُدَحِ الصِّفا
 به كَذْحَةٌ - والموت خَزِيَانٌ يَنْظُرُ.

٤ - صداقة

ولا أقولُ إذا ما خُلِّتُ صَرَمْتُ
 يا ويح نفسي، مِنْ شَوْقٍ وَإِشْفَاقِ
 لَكُتْمَا عَوْلِي، إِنْ كُنْتُ ذَا عَوِلٍ
 على بصيرٍ بِكَسْبِ الْحَمْدِ سَبَّاقِ
 حَمَّالِ أَلْوِيَةِ شَهَادِ أَنْدِيَةِ،
 قَوَالِ مُحْكَمَةٍ، جَوَابِ آفَاقِ.

٥ - الغول

... فقلتُ لها: كِلَانَا نِضُوْ أَيْنِ
 أَخُو سَفَرٍ، فَخَلِّي لي مَكَانِي
 فَشَدَّتْ شَدَّةً نَحْوِي، فَأَهْوَى
 لها كَفِّي بِمِصْقُولِ يَمَانِي

فَقَالَتْ: عُدْ، فَقُلْتُ لَهَا: رَوِيداً
مَكَانَكَ، إِنِّي ثَبْتُ الْجَنَانَ
فَلَمْ أَنْفَكْ، مُتَّكِئاً عَلَيْهَا
لَأَنْظُرَ، مُضْبِحاً، مَاذَا أَتَانِي
إِذَا عَيْنَانِ فِي رَأْسِ قَبِيحٍ
كَرَأْسِ الْهَرِّ، مَشْقُوقِ اللِّسَانِ.

٦ - الغول، أيضاً

فَأَصْبَحْتُ وَالْغُولُ لِي جَارَةً
فَيَا جَارَتَا، أَنْتِ مَا أَهْوَلَا
وَطَالَبْتُهَا بُضْعَهَا، فَالْتَوَتْ
بِوَجْهِ تَهَوَّلٍ، فَاسْتَغْوَلَا
فَقُلْتُ لَهَا: يَا أَنْظُرِي كَيْ تَرَيِ
فَوَلَّتْ، فَكُنْتُ لَهَا أَغْوَلَا.

١ - رؤيا

رُبَّ ثَوْرٍ رَأَيْتَ فِي جُحْرِ نَمْلِ
وَقَطَاةٍ تُحَمِّلُ الْأَثْقَالَا.

٢ - الإبل

لَا أَعُدُّ الْإِقْتَارَ عُذْمًا، وَلَكِنْ
فَقْدُ مَنْ قَدْ رُزِئَتْهُ الْإِعْدَامُ

إِبْلِي الْإِبْلُ، لَا يُحَوِّزُهَا الرَّاعُونَ - مَجَّ النَّدى عَلَيْهَا الْمَدَامُ
فَإِذَا أَقْبَلْتَ تَقُولُ: إِكَامُ
مُشْرِفَاتُ، فَوْقَ الْإِكَامِ إِكَامُ.

٣ - الناس والموت

رَبِّ هَمِّ فَرَجْتُهُ بِعَزِيمٍ
وغيوبٍ كَشَفْتُهَا بِظُنُونِ،
... إِنَّمَا النَّاسُ، فَأَعْلَمَنَّ، طَعَامُ
خَبَلٍ خَابِلٌ لَرِيبِ الْمُنُونِ
عطف الدهرُ بالفناء وبالموتِ عليهم - يدور كالمجنونِ.

٤ - سؤال

أَكُلُّ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا
وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ، نَارًا؟

٥ - اعتبار

... والمرء يكسب ماله
والعبد يُقَرَّعُ بِالْعَصَا
والشُّحُّ يُورِثُهُ الْكِلَالَةَ
والحرُّ تكفيه المقالة.

١ - نساء

سَكَنَ ببلدٍ وسكنتُ أخرى
وقُطِّعت الموائقُ والعهودُ
فما بالي أفي، ويُخان عهدي
وما بالي أَصَادُ ولا أَصِيدُ؟

... أناسُ كلِّما أَخْلَقْتُ وصلاً
عَنائي منهم وَضَلُّ جديداً.

٢ - أَشتات

ومنزِلُ ضُنْكِ لا أريدُ مبيته
كَأَنِّي به مِنْ شِدَّةِ الرَّوعِ أَنِسُ،

اسمه عوف وقيل عمرو. عم المرقش الأصغر. اشتهر بحبه لابنة عمه أسماء. زوجها أبوها وهو غائب، ثم قيل له حين عاد إنها ماتت. وكان إخوته قد ذبحوا كبشاً ودفنوه في قبر قالوا له إنه قبر أسماء. فأخذ يزوره دائماً. ثم تبين الخبر الصحيح، فذهب يبحث عن أسماء، إلا أنه مات بعد أن رآها بقليل، نحو ٥٥٠م.

وَدَوِيَّةٍ غُبْرَاءٍ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا
 تَهَالِكُ فِيهَا الْإِبِلُ وَالْمَرْءُ نَاعِسُ
 قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا
 بِعَيْهَامَةٍ تَنْسَلُّ، وَاللَّيْلُ دَامِسُ
 تَرَكْتُ بِهَا لَيْلًا طَوِيلًا وَمَنْزِلًا
 وَمَوْقِدَ نَارٍ لَمْ تَرْمُهُ الْقَوَابِسُ
 ... وَتَسْمَعُ تَرْقَاءً مِنَ الْبُومِ حَوْلَنَا
 كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوءِ النَّوَاقِسُ .

وَلَمَّا أَضْأْنَا النَّارَ عِنْدَ شَوَائِنَا
 عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ بَائِسُ
 نَبَذْتُ إِلَيْهِ حُزَّةً مِنْ شَوَائِنَا
 حَيَاءً، وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أُجَالِسُ
 فَآبَ بِهَا جَذْلَانِ يَنْفَضُ رَأْسَهُ
 كَمَا آبَ بِالنَّهْبِ الْكَمِيُّ الْمَحَالِسُ (*).

وَأَعْرَضَ أَعْلَامٌ كَأَنَّ رُؤُوسَهَا
 رُؤُوسُ رِجَالٍ فِي خَلِيجٍ تَغَامَسُ

(*) المحالس، الذي يثبت في الحرب.

إِذَا عَـلَمَ خَلَّفَتْهُ يُهْتَدَى بِهِ
بَدَا عَـلَمٌ فِي الْآلِ أَغْبَرُ طَامِسُ.

٣ - امرأة

أَيْنَمَا كُنْتَ أَوْ حَلَلْتَ بِأَرْضٍ
أَوْ بِلَادٍ، أَحْيَيْتَ تِلْكَ الْبِلَادَا.

الأخنس بن شهاب التغلبي

صورة شخصية

... وقد عشتُ دهرًا والغواة صحابتي
أولئك خلصاني الذين أصاحبُ
فأدَّيتُ عني ما استعرتُ من الصِّبا
وللمالِ عندي اليوم راعٍ وكاسبُ.

اسمه أبي. كان يسمى «فارس العصا»، والعصا اسم فرسه. من الشعراء
الفرسان. يظن أنه مات نحو ٥٥٥م.

القدر الأمّ

فلا تَسأليني، واسألني عن خَلِيقتي

إذا رَدَّ عافي القِدر من يَسْتَعِيرُها

تَري أنّ قِدري لا تَزال كائِنها

لذي الفَرَوَة المقرورِ، أمّ يزورُها -

مُبرَزَة، لا يُجعلُ السُّتُر دونَها

إذا أُخمد النِّيرانُ، لاحَ بِشِيرُها.

وَإِنِّي لَتَرَأُكَ الضَّغِينَة قد بَدَا

ثَراها من المَولى فلا أَستَثيرُها

مَخافَة أن تَجنّي عَلَيَّ وإِنما

يَهيجُ كَبيراتِ الأُمورِ صَغيرُها.

كان سيداً في قومه. وهو ابن عم الطفيل، والد عامر بن الطفيل. يُقال إنه توفي نحو ٥٥٥ م.

١ - سيرة ذاتية - قبلية

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عِرْضُهُ

فَكُلَّ رَدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا

فَلَيْسَ إِلَى حَسَنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ

وَمَا قَلٌّ مَن كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا

شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا

عَزِيزٌ، وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ

لَنَا جَبَلٌ يَخْتَلُّهُ مَن نُجِيرُهُ

مَنْعِيْعٌ - يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ

اشتهر بوفاته . مات « كما يروى ، نحو ٥٦٠ م .

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
إِلَى النَّجْمِ، فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ.

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطْوُلُ
تَسِيلٌ عَلَى حَدِّ الظُّبَاةِ نَفُوسُنَا
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاةِ تَسِيلُ.
صَفَوْنَا وَلَمْ نَكْذُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا
إِنَاثُ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفُحُولُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا
لَوْقَتِ، إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ، نَزُولُ
فَنَحْنُ كَمَا الْمُزْنِ مَا فِي نَصَابِنَا
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بِخَيْلُ
وَنُنْكِرُ، إِنْ شِئْنَا، عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ
وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ.
إِذَا سَيِّدٌ مَنَا خَلَا، قَامَ سَيِّدُ
قَوْوُلُ لَمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ
وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقِ
وَلَا ذَمَّنَا فِي التَّازِلِينَ نَزِيلُ

وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ
مُعَوَّدَةٍ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا
فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
سَلِي، إِنَّ جَهْلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنَهُمْ
فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالِمٍ وَجَهْلُولٍ.

٢ - الرِّزْق

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ الْقَلِيلُ مِنَ الرِّزْقِ،
وَلَا يَنْفَعُ الْكَثِيرُ الْخَبِيثُ
وَأَتَتْنِي الْأَنْبَاءُ عَنْ مُلْكِ دَاوُدَ،
فَقَرَّتْ عَيْنِي بِهِ وَرَضِيْتُ.

٣ - الموت الحياة

مَيِّتًا خُلِقْتُ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا
شَيْئًا يَمُوتُ، فَمُتُّ حَيْثُ حَيْثُ.

عَمِيرَةُ بَن جَعِيلِ التَّغْلَبِيِّ

صور

... يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ التُّرَابِ عَلَيْهِمَا
قَمِيصَيْنِ أَسْمَاطاً وَيَرْتَدِيَانِ -
فَلَا تُوعِدَانِي بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّمَا
جَمَعْتُ سِلَاحِي، رَهْبَةً الْحَدَثَانِ
جَمَعْتُ رُدَيْنِيَّ كَأَنَّ سَنَانَهُ
سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ.

يُظَنُّ أَنَّهُ مَاتَ نَحْوَ ٥٦٢ م.

١ - صورة شخصية

... وَتَبَسُّمٌ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مَنْوَرًا

تَخَلَّلَ حَرَّ الرَّمْلِ دِغْصٌ لَهُ نَدِي

وَوَجْهِ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا

عليه، نَقِيَّ اللَّوْنِ، لَمْ يَتَّخِذْ

وَإِنِّي لِأَمْضِي الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ

بِعَوْجَاءِ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

لَهَا فَخْذَانِ أَكْمَلَ النَّحْضُ فِيهِمَا

كَأَنَّهُمَا بَابًا مُنِيفٌ مُمَرَّدٌ

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي، إِذَا قَالَ صَاحِبِي:

أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

نشأ يتيمًا. عاش حياة لهو. قيل قطعت يده ورجلاه ودفن حيًا. يلقب «الغلام القتيل» فقد مات وهو في السادسة والعشرين نحو ٥٦٤م، على الأرجح.

إذا القومُ قالوا: مَنْ فتى؟ خِلْتُ أَنِّي
عُنَيْتُ، فلم أَكْسَلْ ولم أَتَبَلَّدِ
ولستُ بِحلالِ التَّلَاعِ مخافَةً
ولكن متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ
فإنَّ تَبْغِييَ في حَلَقَةِ القومِ تَلْقِي
وإن تَلْتَمِسْنِي في الحوانيتِ تَضْطِدِ
نداماي بيضُ كالنَّجومِ، وقَيْنَةٌ
تَروُحُ علينا بين بُرْدٍ ومُجَسَّدِ
متى تأتيني أَضْبَحُكَ كأساً رويَّةً
وإن كنتَ عنها ذا غِنَى؛ فاغْنِ وارْزُدِ...

وما زال تَشْرابي الخمرِ ولذَّتِي
وبَيْعِي وإنفاقي طَريفِي ومُثْلَدِي
إلى أن تَحامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَا
وأُفَرِدْتُ إِفرادَ البعيرِ المَعْبُودِ...
ألا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي أَحْضَرَ الوغَى
وأن أَشْهَدَ اللِّذاتِ، هل أنتَ مُخْلِدِي؟
فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي
فَدَعْنِي أَبادِزُها بما ملكْتَ يَدِي.

وَظَلُمْتُ ذِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً
 عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمَهْدِ
 أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
 خَشَاشُ كِرَاسِ الْحَيَّةِ الْمَتَوَقَّدِ
 فَالَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بِطَانَةً
 لِعَضْبٍ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنْدِ
 لِعَمْرِكَ مَا أَمْرِي عَلَيَّ بِغُفْمَةٍ
 نَهَارِي، وَلَا لَيْلِي عَلَيَّ بِسَرْمَدِ
 أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ الثُّفُوسِ وَلَا أَرَى
 بَعِيداً غَداً - مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدِ
 سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلاً
 وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ.

٢ - أيام الصبا

غَنِينَا وَمَا نَخْشَى التَّفَرُّقَ، حَقَبَةً
 كِلَانَا غَرِيرٌ نَاعِمُ الْعَيْشِ بِاجِلُهُ
 لِيَالِي أَقْتَادُ الصَّبَا وَيَقْوُدُنِي
 يَجُولُ بِنَا رِيْعَانُهُ وَنُجَاوُلُهُ.

٣ - أوجاع دفينه

خَلِيلِي! لَا وَاللَّهِ مَا الْقَلْبُ سَالِمٌ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مِنِّي شَمَائِلُ صَاحٍ

وِإِلَّا، فَمَا بَالِي وَلَمْ أَشْهَدِ الْوَعَى

أَبَيْتُ كَأَنِّي مُثْقَلٌ بِجِرَاحٍ؟

٤ - صداقة

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتْهُ

لَا تَرَكَ اللَّهَ لَهُ وَاضِحَهُ

كَلَّهُمْ أَزَوْغٌ مِنْ ثَعْلَبٍ

مَا أَشَبَّهُ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ.

٥ - قسمة

لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ

تَطِيرُ الْبَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ

فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمَ نَخْسِ

تُطَارِدُهُنَّ، بِالْحَدَبِ، الصُّقُورُ

وَأَمَّا يَوْمُنَا - فَنَظِلُّ رُكْبَاءَ

وَقُوفَاءَ: مَا نَحِلُّ وَمَا نَسِيرُ.

١ - الذل

ولا يُقيم على خَسَفٍ يُرادُ به
إِلَّا الْأَذْلَانِ: عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هذا على الخَسَفِ مَعْقُولٌ بِرُمَّتِهِ
وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ.
وفي البلادِ، إِذَا مَا خِفَتْ نَائِرَةٌ
مَشْهُورَةٌ، عَنْ وُلاَةِ السُّوءِ، مُبْتَعَدٌ.

٢ - سهيل

وقد أضاء سُهَيْلٌ بعدما هَجَعُوا
كَأَنَّهُ ضَرَمَ بِالْكَفِّ مَقْبُوسٌ.

اسمه جرير. خال طرفة بن العبد. مات في بصرى (سورية) نحو
٦٥٩م، كما يقال.

٣ - الهجران

كَأَنِّي شَارِبٌ يَوْمَ اسْتَبَدُّوا
وَحَتٌّ بِهِمْ، وَرَاءَ الْبَيْدِ، حَادِي
عَقَاراً عُتِّقْتَ فِي الدَّنِّ حَتَّى
كَأَنَّ حَبَابَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ.

٤ - هم

فَإِنْ يُقْبِلُوا بِالْوَدِّ نُقْبِلُ بِمِثْلِهِ
وَلَا، فَإِنَّا نَحْنُ أَبِي وَأَشْمَسُ.

الحارث بن حِلْزَة اليشكري

١ - اليأس

فحبستُ فيها الرُّكْبَ أَحَدِسُ فِي

كُلِّ الْأُمُورِ، وَكُنْتُ ذَا حَدْسٍ

وَيُسْتُ مِمَّا كَانَ يُطْمَعُنِي

فِيهَا، وَلَا يُسْلِيكَ كَالْيَاسِ

... لَا مُمَسِّكَ لِلْمَالِ - يُهْلِكُهُ:

سَعْدُ النُّجُومِ لَدِيهِ كَالنَّحْسِ.

٢ - رحيل

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَشْمَاءُ

رُبَّ ثَاوٍ يُمَلِّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْبَاءِ

خَطْبٌ نُعْنَى بِهِ وَنُسَاءُ

ليس هناك اتفاق على تاريخ موته قيل توفي نحو ٥٧٠م وقيل ٥٨٠م.

أَنَّ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُون
عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِخْفَاءُ
يَخْلُطُونَ الْبَرِيءَ مِنَّا بِذِي الذَّنْبِ
وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخِلَاءُ
... أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا
أَصْبَحُوا، أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَضْهَالٍ خَيْلٍ،
خِلَالِ ذَاكَ رُغَاءُ.

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ
وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ.

عمرو بن حِلْزَة اليشكري

مرثية أخ

رَبِّمَا قَرَّتْ عَيُونُ بِشَجَا
مُرْمِضٍ قَدْ سَخَنْتَ مِنْهُ عَيُونُ
وَالْمَلَمَّاتُ - فَمَا أَعْجَبَهَا
لِلْمَلَمَّاتِ ظُهُورٌ وَبَطُونُ.

لا يعرف تاريخ موته.

١ - الحق

وَإِنِّي لَأَعْطِي الْحَقَّ مَنْ لَوْ ظَلَمْتُهُ
أَقَرَّ وَأَعْطَانِي الَّذِي أَنَا طَالِبُ
وَأَخَذَ حَقِّي مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ
وَإِنْ كَرُمْتَ أَعْرَاقَهُمْ وَالْمُنَاسِبُ.

٢ - بعد الأرض

فِينَا مَعَاشِرُ لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِمْ
وَإِنْ بَنَى قَوْمُهُمْ مَا أَفْسَدُوا عَادُوا
لَا يَرشُدُونَ وَلَنْ يَزْعُوا لِمُرْشِدِهِمْ
فَالْعَيُّ مِنْهُمْ مَعًا وَالْجَهْلُ مِيعَادُ،
لَا يَصْلَحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَّ لَهُمْ سَادُوا

اسمه صلاة. يقال إنه مات نحو ٥٧٠ م.

كَيْفَ الرَّشَادُ إِذَا مَا كُنْتَ فِي نَفَرٍ
لَهُمْ عَنِ الرَّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ
أَعْطُوا غُوتَهُمْ جَهْلًا مَقَادَتَهُمْ
فَكَلَّهِمْ فِي حِبَالِ الْعَيِّ مُنْقَادُ،

حَانَ الرَّحِيلُ إِلَى قَوْمٍ، وَإِنْ بَعْدُوا
فِيهِمْ صَلاَحٌ لِمُرتَادٍ وَإِرْشَادُ
فَسَوْفَ أَجْعَلُ بُغْدَ الْأَرْضِ دُونَكُمْ
وَإِنْ دَنْتَ رَحِمٌ مِنْكُمْ وَمِيلَادُ.

٣ - الحِياة والحرب

إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٍ مُتَعَةً
وَحِياةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ،
... كَشْهَابِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ
فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارُ
فَارِسٌ صَغْدَتُهُ مَسْمُومَةٌ
تَخْضِبُ الرُّمَحَ إِذَا طَارَ الْغُبَارُ
مُسْتَطِيرٌ لَيْسَ مِنْ جَهْلٍ، وَهَلْ
لِأَخِي الْجِلْمِ عَلَى الْحَرْبِ وَقَارُ؟

يَحْلُمُ الْجَاهِلُ لِلسَّلَامِ، وَلَا
يَقِرُّ الْحِلْمُ إِذَا الْقَوْمُ أَغَارُوا.
جَحْفَلُ أَوْزَقٌ، فِيهِ هَبْوَةٌ
وَنَجْوَمٌ تَتَلَطَّى وَشَرَارُ
تَرَكَ النَّاسَ لَنَا أَكْنَافَهُمْ
وَتَوَلَّوْا لَا تَلَمُ يُغْنِ الْفِرَارُ،
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا
رَأَيْ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ
عَنكُمُ فِي الْأَرْضِ! إِنَّا مَذْجُجٌ
وَرَوِيداً يَفْضَحُ اللَّيْلَ النَّهَارُ.

٤ - الموت

فَرَمُوا لَهُ أَثْوَابَهُ وَتَفَجَّعُوا
وَرَنَ مُرْنَاتٍ وَسَارَ بِهِ النَّفَرُ
إِلَى حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَيْهَا بِسَغِيهِ
فَذَلِكَ بَيْتُ الْحَقِّ، لَا الصُّوفُ وَالشَّعْرُ،
وَهَالُوا عَلَيْهِ التُّرْبَ رَطْباً وَيَابِساً
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا سِوَى ذَاكَ يُجْتَبَرُ،

وقال الذين قد شَجَوْتُ وسَاءَهم
مَكَانِي، وما يُغْنِي التَّأْمُلُ والنَّظَرُ؟ :
قِفُوا سَاعَةً فَاسْتَمْتِعُوا مِنْ أَخِيكُمْ
بِقُرْبِ وَذِكْرِ صَالِحٍ حِينَ يُدْكَرُ.

١ - فم الحبيبة

وما قهوة صهباء كالمِسْك ريحها
تُعَلُّ على النَّاجود طوراً وتُنزَحُ
ثوت في سَوَاءِ الدَّنِّ عِشْرِينَ حِجَّةً
يُطَانُ عَلَيْهَا قَرْمَدٌ وَتُرَوَّحُ،
بَأَطِيبٍ مِنْ فِيهَا، إِذَا جِئْتَ طَارِقاً
مِنَ اللَّيْلِ، بَلْ فُوهَا أَلَذُّ وَأَنْضَحُ.

٢ - ذكرى الحبيبة

صحا قلبه عنها، على أَنَّ ذِكْرَهُ
إِذَا خَطَرَتْ، دَارَتْ بِهِ الْأَرْضَ قَائِماً -

اسمه ربيعة. عم طرفة بن العبد. اشتهر بحبه لفاطمة بنت المنذر،
وبجماله. مات، كما يروى، نحو ٥٧٠ م.

أَلَا حَبَّذا وَجْهُ تَرِينَا بِيَاضَهُ
وَمَنْسَدَلَاتٍ كَالْمِثَانِي فَوَاحِمَا،
أَفَاطِمَ لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ بِبِلْدَةٍ
وَأَنْتِ بِأُخْرَى، لَا تَبْعُثُكِ هَائِمَا.

عبد الله بن عجلان النهدي

١ - امرأة

وَحُقَّةٌ مِثْلُكَ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسْتُهَا
شَبَابِي، وَكَأْسٍ بَاكَرْتُني شَمُولُهَا
جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا
سَقِيَّةٌ بَرْدِيٍّ نَمَتْهَا غُيُولُهَا،
كَأَنَّ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ
عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُهَا.

٢ - حياء

أشارت إلينا في حياءٍ ورَاعِهَا
سَرَاةَ الضُّحَى مِنِّي عَلَى الْحَيِّ مَوْقِفُ
وقالت: تَبَاعَدْ يَا بَنَ عَمِّي فَإِنِّي
مُنِيَتْ بِذِي صَوْلٍ يَغَارُ وَيَعْنُفُ.

يُقال إنه الشاعر الوحيد الذي مات عشقاً. مات، كما يروى، حوالى ٥٧٤هـ.

عبد المسيح بن عَسَلَةَ الشيباني

١ - الجواد والوحش

لا يَنْفَعُ الْوَحْشَ مِنْهُ أَنْ تُحَذِّرَهُ
كَأَنَّهُ مُغْلَقٌ مِنْهُ بِخُطَافٍ
إِذَا أُوْضِعَ مِنْهُ مَرٌّ مُنْتَحِيًّا
مَرًّا الْآتِيَّ عَلَى بَرْدِيهِ الطَّافِي.

٢ - حرب

غَدُونَا إِلَيْهِمُ وَالسُّيُوفُ عَصِيْنَا
بِأَيْمَانِنَا نَفْلِي بِهِنَّ الْجَمَاجِمَا
وَمُسْتَلَبٍ مِنْ دِرْعِهِ وَسِلَاحِهِ
تَرْكْنَا عَلَيْهِ الذُّبَابَ يَنْهَسُ قَائِمَا.

مات بحسب الرواية نحو ٥٧٥ م.

١ - حب وفروسية

... يُضيء لها البيتُ الظليلُ خصاصه

إذا هي ليلاً حاولت أن تبسّما

إذا انقلبت فوق الحشية مرةً

ترنّم وشواس الحليّ ترنّما...

وليلٍ بهيمٍ قد تسرّبت هوله

إذا الليلُ بالنكسِ الجبانِ تجهما

ولن يكسب الصعلوكُ حمداً ولا غنى

إذا هو لم يركب من الأمر معظما

ولم يشهد الخيلَ المغيرةَ بالضحي

يثرن عجاجاً بالسّنا بك أقتما

عليهنّ فتیان كجنة عبقر

يهزّون بالأيدي وشيخاً مقوماً،

اشتهر بكرمه وفروسيته، يُقال إنه مات نحو ٥٧٨م.

لَحَى اللَّهَ صُעْلُوكاً مُنَاهُ وَهَمُّهُ
 مِنْ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوساً وَمَطْعَماً
 يَنَامُ الضُّحَى حَتَّى إِذَا نَوْمُهُ اسْتَوَى
 تَنَبَّهَ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مَوْرَماً .
 وَلِلَّهِ صُعْلُوكٌ يُسَاوِرُ هَمَّهُ
 وَيَمْضِي، عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالذَّهْرِ، مُقَدِّماً
 فَنَفْسَكَ أَكْرِمُهَا، فَإِنَّكَ إِنْ تَهُنْ
 عَلَيْكَ فَلَنْ تُلْفِي لَكَ الذَّهْرَ مُكْرِماً .

٢ - أَخُو الْحَرْبِ (*)

رَأْتَنِي كَأَشْلَاءِ اللَّجَامِ، وَلَنْ تَرَى
 أَخَا الْحَرْبِ إِلَّا سَاهِمَ الْوَجْهِ أَغْبِراً
 أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضُّهَا
 وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّراً .

٣ - إِلَى عَبْد

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ
 وَالرَّيْحُ يَا مَوْقِدُ رِيحٌ صَرٌّ

(*) يروى أيضاً هذان البيتان لزيد الخيل الطائي .

عسى يرى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ -
إِنْ جَلَبَتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ.

٤ - حياة

وَإِنِّي لِأُسْتَحْيِي مِنَ الْأَرْضِ أَنْ أَرَى
بِهَا النَّابَ تَمْشِي فِي عَشِيَّاتِهَا الْغُبْرِ.

٥ - مجد السَّبي

وَمَا أَنْكَحُونَا، طَائِعِينَ، بَنَاتِهِمْ
وَلَكِنْ خَطَبْنَاهَا بِأَسْيَافِنَا قَسْرًا
فَمَا زَادَهَا فِينَا السُّبَاءُ مَذَلَّةً
وَلَا كُلفَتْ خَبْرًا وَلَا طَبَخَتْ قِذْرًا
وَلَكِنْ خَلَطْنَاهَا بِخَيْرِ نِسَائِنَا
فَجَاءَتْ بِهِمْ بَيْضًا وَجُوهُهُمْ زُهْرًا.

٦ - أخلاق

بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي عَفْلَةً
وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقُرًّا.

٧ - كرم

إذا ما صَنَعْتَ الزَّادَ، فَالْتَمِسِي له
أَكِيلاً، فَإِنِّي لست أَكُلُهُ وَحْدِي،
أَخاً طَارِقاً، أَوْ جَارَ بَيْتٍ، فَإِنَّنِي
أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً
وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ.

٨ - سلوك

أَشَاوِرُ نَفْسَ الْجُودِ حَتَّى تُطِيعَنِي
وَأَتْرُكُ نَفْسَ الْبُخْلِ لَا أَسْتَشِيرُهَا
وَلَيْسَ عَلَيَّ نَارِي حِجَابٌ يَكْثُهَا
لِمُسْتَوْبِصٍ لَيْلاً، وَلَكِنْ أُنِيرُهَا
وَمَا تَشْتَكِينِي جَارَتِي غَيْرَ أَنَّهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَا أَزُورُهَا.

٩ - عاذلة

... تَلُومُ عَلَيَّ إِعْطَائِي الْمَالَ، ضِلَّةً،
إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ الْبَخِيلُ وَصَرَّدَا

ذَرِينِي وَحَالِي إِنَّ مَالَكِ وَافِرٌ
وَكُلَّ امْرِيَّ جَارٍ عَلَى مَا تَعُودَا
أَعَاذِلَ، لَا آلُوكِ إِلَّا خَلِيقَتِي
فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكِ مِبْرَدَا.
... يَقُولُونَ لِي: أَهْلَكْتَ مَالَكِ، فَاقْتَصِدْ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا يَقُولُونَ، سَيِّدَا.

١٠ - اختلاف

وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ، مُشْتَرِكُ الْغِنَى
وَوُدَّكَ شَكْلٌ لَا يُوَافِقُهُ شَكْلِي
وَأَجْعَلُ مَا لِي دُونَ عِرْضِي جُنَّةً
لِنَفْسِي، فَأَسْتَغْنِي بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِي.

قبيل الموت

... فيا راكباً، إمّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ

ندامايَ مِنْ نَجْرَانْ أَنْ لَا تَلَاقِيَا،

ولو شِئْتُ نَجَّثْنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً

تَرَى خَلْفَهَا الْحُوَّ الْجِيَادَ تَوَالِيَا.

أَقُولُ، وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَشْعَةٍ

أَمْعَشَرَ تَيْمٍ، أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بِي سَيِّدَا

وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا.

... وَظَلَّ نِسَاءَ الْحَيِّ حَوْلِي رُكَّدَا

يُرَاوِذْنَ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا

من الشعراء الفرسان. حين أسر، خير كيف يرغب أن يموت، فاختار أن يشرب الخمر ويقطع عرقه الأكحل ويموت نزفاً. مات على الأرجح نحو ٨٥٤م.

وقد علّمت عِزِّي مُلَيْكَةً أَنَّنِي
أَنَا اللَّيْتُ مَعْدُواً عَلَيَّ وَعَادِيَا
وقد كنتُ نَحَّارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلَ الْمَطِيِّ،
وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا
وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِيَّتِي
وَأَصْدُعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رَدَائِيَا.

عمرو بن كلثوم التغلبي

صورة «قومية»

أَلَا هُبِّي بِصَخْنِكَ فَاصْبَحِينَا
وَلَا تُبْقِي خَمُورَ الْأَنْدَرِينَا
مُشْغَشَعَةً، كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا
إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
تَجُورُ بِذِي اللَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ
إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلِينَا.
وَلِنَّا سَوْفَ تُذَرِكُنَا الْمَنَايَا
مُقَدَّرَةً لَنَا، وَمُقَدَّرِينَا
وَلِإِنَّ غَدًا وَإِنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ
وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا
... تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ
وَقَدْ أَمِنْتَ عِيُونَ الْكَاشِحِينَا

كان فاتكاً شجاعاً مشهوراً بعزة النفس. قتل الملك عمرو بن هند. مات في الجزيرة (سورية) نحو ٥٨٤م.

ذِرَاعِي عَيْطِلِ أَذْمَاءِ بِكْرِ
هَجَانِ اللَّوْنِ، لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
وَتَدِيًّا مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخْصًا
حَصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَّامْسِينَا
وَمَأْكَمَةً يَضِيقُ الْبَابُ عَنْهَا
وَكَشْحًا قَدْ جَنَنْتُ بِهِ جُنُونَا

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا
وَأَنْظِرْنَا نَخْبِرْكَ الْيَقِينَا
بِأَنَّا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضًا
وَنَصْدْرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا
وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَالٍ
عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا
يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
نَعُمُّ أَنْاسَنَا وَنَعِفَّ عَنْهُمْ
وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا
وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غَشِينَا،

... وَإِنَّ الضُّعْنَ بَعْدَ الضُّعْنَ يَبْدُو
عَلَيْكَ، وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينَا.

كَأَنَّ سَيُوفَنَا مِثْلًا وَمِنْهُمْ
مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَا
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِثْلًا وَمِنْهُمْ
خُضْبُنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طُلِينَا
أَلَا لَا يَعْلَمُ الْأَقْوَامُ أَنَّ
تَضَعُضْعُنَا وَأَنَا قَدْ وَنِينَا
أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا،
بِأَيِّ مَشِيئَةٍ، عَمَّرَوْ بَنَ هَنَدٍ
تُطِيعُ بِنَا الْوُشَاةَ وَتَزُدُّرِينَا؟
تَهْدِدُنَا وَتُوعِدُنَا، رَوِيدًا
مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتَوِينَا؟
فَإِنَّ قَنَاتِنَا يَا عَمْرُو أَغِيثْ
عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
عَلَى آثَارِنَا بِيَضِّ حِسَانٍ
نُحَازِرُ أَنْ تُقَسِّمَ أَوْ تَهُونَا

أَخْذُنْ عَلَى بُعُولْتِهِنَّ عَهْدًا
إِذَا لَاقُوا كِتَابَ مُعَلِّمِينَا،
لَيْسَتْ لِبَنِّ أَفْرَاسًا وَبِإِضًا
وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَا.
إِذَا مَا رُحْنٌ يَمْشِيْنَ الْهُوَيْنَى
كَمَا اضْطَرَبْتُ مَتُونُ الشَّارِبِينَا
يَقُتْنُ جِيَادَنَا وَيَقْلُنْ: لَسْتُمْ
بُعُولَتَنَا، إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا...

كَأَنَّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلَاتٌ
وَلَدْنَا النَّاسَ طَرًّا أَجْمَعِينَا
وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ
إِذَا قُبَبْتُ بِأَبْطَحِهَا بَنِينَا
بَأَنَّا الْمُطْعَمُونَ إِذَا قَدَرْنَا
وَأَنَّا الْمَهْلُكُونَ إِذَا ابْتُلِينَا
وَأَنَّا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا
وَأَنَّا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِينَا
وَأَنَّا التَّارِكُونَ إِذَا سَخَطْنَا
وَأَنَّا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا

وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا
وَأَنَا الْعَازِفُونَ إِذَا عُصِمْنَا
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا
وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا.

١ - النساء والرحيل

أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكَ، مَتَّعِينِي
وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ، كَأَنْ تَبِينِي
... فَلَا تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ
تَمَرَّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي
فَإِنِّي لَوْ تَخَالَفَنِي شِمَالِي
خِلَافَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي.

ظَهَرَ بِكَلَّةٍ وَسَدَلْنَ أُخْرَى
وَتَقَبْنَ الْوَصَاوِصَ لِلْعَيُونِ
أَرَيْنَ مُحَاسِنًا وَكُنْنَ أُخْرَى
مِنَ الْأَجْيَادِ وَالْبَشَرِ الْمَصُونِ
وَمَنْ ذَهَبَ يَلُوحُ عَلَى تَرِيْبٍ
كُلُّونَ الْعَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونٍ...

اسمه عائذ. يقال إنه مات نحو ٥٨٨م.

إذا ما قمتُ أَرْحَلُها بليلاً

تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ -

تقولُ إذا درأتُ لها وضيئاً

أهذا دِيئُهُ أبداً وديني؟

أكلَ الدَّهْرِ حِلٌّ وارتحالٌ

أما يُبقي عليَّ وما يقيني؟

... إلى عَمْرٍو، وَمِنْ عَمْرٍو أَتتني

أخي النَّجْدَاتِ والحِلْمِ الرِّصِينِ

فإِما أن تكونَ أخِي بِحَقٍّ

فأعرفُ مِنْكَ غَثِّي أو سَمِينِي

وإلا فَاطْرَحْنِي وَاثْخِذْنِي

عدوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَّقِينِي

وما أدري، إذا يَمَّمْتُ أمراً

أريدُ الخَيْرَ، أَيُّهما يَلِينِي:

أَلْخَيْرُ الَّذِي أنا أَبْتَغِيهِ

أمِ الشَّرُّ الَّذِي هو يَبْتَغِينِي؟

٢ - حكم

لَا تَقُولَنَّ، إِذَا مَا لَمْ تُرِدْ
أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ، نَعَمْ
حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا
وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا، بَعْدَ نَعَمْ.
إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَضْحَكُ لِي
حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمَ
وَلَبَّغُصُ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ
ذِي الْخَنَاءِ، أَبْقَى، وَإِنْ كَانَ ظَلَمَ.
أَجْعَلِ الْمَالَ لِعَرْضِي جُنَّةً
إِنَّ خَيْرَ الْمَالِ مَا أَدَّى الذَّمَّ.

٣ - حزن

فَبِتُّ أَضْمُّ الرِّكْبَتَيْنِ إِلَى الْحَشَا
كَأَنِّي رَاقِي حَيَّةٍ أَوْ سَلِيمُهَا.
وَيَعْمَلَةٌ أَرْمِي بِهَا الْبَيْدَ فِي السَّرَى
يُقَطِّعُ أَجْوَازَ الْفَلَاقَةِ رَسِيمُهَا

أَمْضِي بِهَا الْأَهْوَالَ فِي كُلِّ قَفْرَةٍ
يُنَادِي صَدَاهَا آخِرَ اللَّيْلِ بُومُهَا
أَنْصُ السُّرَى فِيهَا بِكُلِّ هَجِيرَةٍ
تَغَيِّرُ أَلْوَانَ الرِّجَالِ سَمُومُهَا.

١ - نشيدٌ لِلزَّوالِ

ويقول العُدَّةُ: أودَى عَدِيّ
وعَدِيّ بِسُخْطِ رَبِّ إِسِيرُ
أيُّها الشَّامِتُ المَعِيْرُ بالدَّهْرِ
أأنتَ المَبْرَأُ المَوْفُورُ؟
أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَيَّامِ،
بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
إِنْ يُصِيبُنِي بَعْضُ الهَنَاتِ،
فَلَا وَإِنْ ضَعِيفٌ وَلَا أَكْبُ عَثُورُ
مَنْ رَأَيْتَ المَنُونِ خَلَدَنْ؟
أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ؟

عاش في بلاط الأكاسرة بالمدائن، وجعله كسرى أبرويز ترجمانه وكتابه بالعربية. وهو العربي الأول الذي كتب بالعربية في ديوان كسرى. زار دمشق وقال فيها أول شعره. دعاه النعمان بن المنذر لزيارته، وما إن وصل حتى أمر بحبسه ثم قتله كما يروى نحو ٥٩٠ م.

أَيْنَ كِسْرَى، كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشُرُوان،
 أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ؟
 وَتَذَكَّرُ رَبَّ الْخَوَزَنْقِ،
 إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا، وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
 سَرَّهُ حَالَهُ وَكَثْرَهُ مَا يَمْلِكُ
 وَالْبَحْرُ مُغْرَضًا وَالسَّيْدِيرُ
 ... فَارْعَوِ قَلْبَهُ، فَقَالَ: وَمَا غِبْطَةُ
 حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
 ... ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ
 فَالَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ.

٢ - بكر العاذلون

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ
 يَقُولُونَ لِي: أَمَا تَسْتَفِيقُ؟
 لَسْتُ أُدْرِي إِذْ أَكْثَرُوا الْعَذْلَ فِيهَا
 أَعْدَوْ يَلُومَنِي أَمْ صَدِيقُ؟
 وَدَعُوا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ
 قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ

قَدَّمْتَهُ عَلَى عُقَارِ كَعِينِ الدِّيكِ
صَفَّى سِلَافَهَا الرَّاوِقُ
... وطفًا فوقها فقايعُ كالياقوت
حُمُرٌ يزينها التَّضْفِيقُ
ثم كان المزاجُ ماءً سحابٍ
لا صدىَّ آجِنٌ ولا مَطْرُوقُ.

٣ - نسيان

لم أرَ مِثْلَ الْفِثْيَانِ فِي غَبَنِ الْأَيَّامِ
يَنْسُونُ مَا عَوَاقِبُهَا
يَنْسُونُ إِخْوَانَهُمْ وَمَصْرَعَهُمْ
وكيف تَعْتَافُهُمْ مَخَالِبُهَا
ماذا تُرَجِّي النَّفُوسُ مِنْ طَلَبِ الْخَيْرِ
وَحُبِّ الْحَيَاةِ كَارِبُهَا
تَظَنَّ أَنَّ لَنْ يُصِيبَهَا عَنَتُ الدَّهْرِ
وَرَيْبُ الْمُنُونِ صَائِبُهَا.

٤ - عاذلة

... وعاذلةٌ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تِلْوَمْنِي
فَلَمَّا غَلَّتْ فِي اللَّوْمِ قَلْتُ لَهَا أَقْصِدِي

أَعَاذِلُ، إِنَّ الْجَهْلَ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى
وإنَّ الْمَنَايَا لِلرَّجَالِ بِمَرْصَدِ
أَعَاذِلُ، مَا يُذْرِيكَ أَنَّ مَنِيَّتِي
إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضُحَى الْغَدِ
ذَرِينِي، فَإِنِّي إِنَّمَا لِي مَا مَضَى
أَمَامِي مِنْ مَالِي إِذَا خَفَّ عُودِي
كَفَى زَاجِرًا لِلْمَرْءِ أَيَّامُ دَهْرِهِ
تَرَوُّحُ لَهُ بِالْوَاعِظَاتِ وَتَغْتَدِي
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ، وَسَلُّ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَفْتَدِي.

الأسود بن يعفر النهشلي

١ - صورة شخصية

... وكان له، فيما أفاد حلائلُ

عجلنَ، إذا لاقينَه - قلنَ مَرحباً

فأصبحنَ لا يسألنَ عنه لما بهِ

أَصَعَّدَ في عُلُوِّ الهوى أم تصوَّباً

طوامح بالأبصار عنه كأنما

يَرينَ عليه جُلٌّ أذهَمَ أجرباً.

٢ - الذئب

مَعَصَّبٌ من صباحٍ لا طعامَ لَهُ

ولا رعيَّةَ إلاَّ الطَّوفُ والعَسَسُ.

٣ - أرض...

وسَمِحةِ المَشْيِ شِمْلَالٍ قطعتُ بها

أرضاً يَحَارُ بها الهادون ديموما

هو أعشى بني نهشل. كان ينادم النعمان بن المنذر. مات، على الأرجح

نحو ٦٠٠ م.

مَهَامِهَا وَخَرَوْقاً لَا أَنْيَسَ بِهَا
إِلَّا الضَّوَابِحَ وَالْأَصْدَاءَ وَالْبُومَ.

٤ - ميعاد

أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا فِطَالَ بِنَاؤُهُمْ
وَتَمَتَّعُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ؟
جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادٍ.

١ - ريقة امرأة

... وكأنَّ ريقَتَهَا إِذَا نَبَّهَتْهَا
كَأَنَّ يُصَفَّقُهَا لِشُرْبِ سَاقِ
... يَنْسَى لِلذَّتِّهَا إِصَالَةَ حِلْمِهِ
فِيظِلُّ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْإِطْرَاقِ.

٢ - خيل الحرب

كَأَنَّ الْمَذَاكِي حِينَ جَدَّ جَمِيعُنَا
رَعِيلٌ وَعَوِلٌ خَلْفَهُنَّ وَعَوِلٌ
كَأَنَّ عَلَى فُرْسَانِهَا نَضَحَ عِنْدَمِ
نَجِيعٍ وَمِسْكٌ بِالنُّحُورِ يَسِيلُ
إِذَا خَرَجَتْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ رَدَّهَا
إِلَى الْمَوْتِ صَغْبُ الْحَافَتَيْنِ ظَلِيلُ.

من الشعراء الفرسان. يروى أنه مات حوالي ٦٠٠م.

١ - صورة شخصية

إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ
عَنِ الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُنْطَلِقٍ
بِالْفَاحِشَاتِ، وَلَا فَتْكِي بِمَأْمُونٍ.
... عَفَّ يَوْوُسٌ، إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ
هُوناً، فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهُونِ،
وَاللَّهِ لَوْ كَرِهْتَ نَفْسِي مَصَاحِبَتِي
لَقُلْتُ، إِذْ كَرِهْتَ قُرْبِي، لَهَا: بَيْنِي.

اسمه حرثان من الشعراء الفرسان، اشترك في غارات كثيرة. مات، كما
يقال، نحو ٦٠٠م.

٢ - صورة شخصية

أَكْرَمُ الضَّيْفِ وَالتَّزِيلِ وَإِنْ بَتَّ
خَمِيصاً، يَضُمُّ بَعْضِي بَعْضِي،
أَطْعُنُ الْفَارِسَ الْمَدَجَّجَ بِالرُّمَحِ،
فَأُلْقِيهِ لِلْيَدَيْنِ، وَأَمْضِي.

١ - المنزل البغيض

وَحَنَّتْ قُلُوصِي بَعْدَ وَهْنٍ وَهَاجَهَا
مَعَ الشَّوْقِ يَوْمًا بِالْحِجَازِ وَمِيضُ
فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَضْجَرِي، إِنَّ مَنْزِلًا
نَأْتِنِي بِهِ هِنْدٌ إِلَيَّ بَغِيضٌ.

٢ - زوجة

... زَعَمْتَ أَنَّني كَبَرْتُ وَأَنِّي
قَلَّ مَالِي وَضَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي
وَصَحَا بَاطِلِي وَأَصْبَحْتُ كَهَلًا
لَا يَوَاتِي أَمْثَالُهَا أَمْثَالِي

عاش ومات فقيراً. سجنه النعمان بن المنذر وقرر أن يقتله. سأله أن يمدحه، قبل قتله، ليعفو عنه، فرفض عبيد قائلاً: «أما أنا وأسير لديك، فلا». فقال له: «نردك إلى أهلِكَ ونلتزم رِفْدَكَ». فأجابه: «أما على شرط المديح، فلا». ثم رواه من الخمر، تلبية لطلبه، وقطع له عرقه الأكلحل فأخذ دمه يسيل حتى مات. مات كما يرجح، نحو ٦٠٠ م.

أَنْ رَأَيْتَنِي تَغَيَّرَ اللَّوْنُ مِنِّي
وعلا الشَّيْبُ مفرقي وقذالي،
... فَاتْرُكِي مَطَّ حَاجِبِيكِ وَعِيشِي
مَعَنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّأْمَالِ
وَبِحَظِّ مِمَّا نَعِيشُ، وَلَا تَذْهَبِ
بِكِ التُّرَّهَاتُ فِي الْأَهْوَالِ.

٣ - نساء

... وَمِلْنِ إِلَيْنَا بِالسَّوَالِفِ وَالْحَلَى
وبالقولِ فيما يَشْتَهِي المَرَحُ الخالي
كَأَنَّ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيحٍ لَطِيْمَةٍ
من المِسْكِ - لَا تُسْطَاعُ بِالثَّمَنِ الغالي.

٤ - امرأة

تُدْفِي الضَّجِيعَ إِذَا يَشْتُو، وَتُخَصِرُهُ
في الصَّيْفِ، حِينَ يَطِيبُ البَرْدُ لِلصَّاحِي
تَخَالِ رِيْقَ ثَنَايَاهَا إِذَا ابْتَسَمَتْ
كَمِزْجِ شَهْدٍ بِأَثْرُجٍّ وَتُفَّاحٍ
كَأَنَّ سُنَّتَهَا فِي كُلِّ دَاجِيَةٍ
حِينَ الظَّلَامُ بِهِيْمٌ، ضَوْءُ مَصْبَاحٍ.

فَلَا تَجْزَعُوا لِجَمَامِ دَنَا
فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةُ.

٦ - تأملات

تَضْبُو فَأَنَّى لَكَ التَّصَابِي
أَنَّى، وَقَدْ رَاعَكَ الْمَشِيبُ
وَكُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَخْلُوسُ
وَكُلَّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبُ
وَكُلَّ ذِي إِبِلٍ مَوْرُوثُ
وَكُلَّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ
وَكُلَّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوُبُ
وَعَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوُبُ
أَعَاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ رَحِمٍ
أَمْ غَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ
سَاعِدُ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ فِيهَا
وَلَا تَقُلْ إِنَّنِي غَرِيبُ.

إلى خزاعة

قَاتِلِي الْقَوْمَ يَا خُزَاعَ وَلَا
يَدْخُلُكُمْ مِنْ قِتَالِهِمْ فَشَلُّ
الْقَوْمِ أَمْثَالَكُمْ - لَهُمْ شَعْرٌ
فِي الرَّأْسِ، لَا يُنْشَرُونَ إِنْ قُتِلُوا،
أَكَلَّمَا حَارَبْتَ خُزَاعَهُ
تَحْدُونِي كَأَنِّي لَأُمَّهُمْ جَمَلٌ؟

١ - فروسية

أثني عليّ بما علّمت، فإنني
 سَمَحُ مُخَالَقَتِي، إذا لم أُظْلَمِ
 وإذا ظَلَمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي بِاسِلٌ
 مُرٌّ مَذَاقُهُ كَطْعَمِ الْعَلَقَمِ
 وإذا شَرِبْتَ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ
 مالي، وَعِرْضِي وَإِفْرٌ لَمْ يُكَلَمِ
 وإذا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرَ عَنْ نَدَى
 وكما علّمتِ شمائلي وتكرّمي
 هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ بِأَبْنَةِ مَالِكٍ
 إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي
 يُخْبِرُكَ مِنْ شَهِدِ الْوَقِيعَةِ أَنَّنِي
 أَغْشَى الْوَغَى وَأَعْفُ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

اشتهر بفروسيته، اجتمع في شبابه بامرئ القيس. مات نحو ٦٠٠م، كما يرجح.

وَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السَّيُوفِ لَأَنْهَا
لَمَعَتْ كِبَارِقِ ثُغْرِكَ الْمَتَبَسِّمِ
وَمُدَجِّجِ كَرِهَةِ الْكِمَاءِ نِزَالَهُ
لَا مُنْعِنِ هَرَباً وَلَا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَغْنَةٍ
بِمُثَقِّفِ صَدْقِ الْكَعُوبِ، مُقَوِّمِ
فَشَكَّكْتُ بِالرَّمْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ
يَدْعُونَ عَنَتَرَ وَالرَّمَاخُ كَأَنَّهَا
أَشْطَانُ بئِرٍ فِي لَبَانِ الْأَذْهِمِ
مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ
وَلَبَانِهِ، حَتَّى تَسْرَبَلَ بِالدِّمِ
فَازَوْرَ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا، فَزَجَرْتُهُ
فَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمَحِمِ -
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَحَاوِرَةُ اشْتَكَى
وَلَكَانَ، لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ، مُكَلِّمِي،
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سَقَمَهَا
قِيلُ الْفَوَارِسِ: وَيْكَ، عَنَتَرَ، أَقْدِمِ.

٢ - ثياب

وَلَمَّا تَجَاذَبْنَا السَّيُوفَ وَأَفْرَغْتَ
ثِيَابُ الْمَنَايَا، كُنْتُ أَوَّلَ لَابِسٍ.

٣ - شجرة الموت

إِنَّ الْمَنِيَّةَ، يَا عْبِيلَةَ، دُوْحَةٌ
وَأَنَا وَرَمَحِي أَصْلُهَا وَفِرْعُوعُهَا -
يَا عَبْلَ، لَوْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ صُوِّرَتْ
لَغَدَا إِلَيَّ سَجُودُهَا وَرُكُوعُهَا.

٤ - حب الجبان(*)

أَحْبُكَ، يَا ظَلُومُ، فَأَنْتَ عِنْدِي
مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ: مَكَانَ رُوحِي،
خَشِيتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ.

٥ - تخويف

بَكَرْتَ تُخَوِّفُنِي الْحَتُوفَ كَأَنِّي
أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحَتُوفِ بِمَعَزِلٍ

(*) يروى كذلك هذان البيتان لأبي دلف العجلي (توفي ٢٢٥هـ).

فأجبتُها: إِنَّ المنيّةَ مِنْهَلٌ
 لا بُدَّ أن أُسْقَى بِكأسِ المَنْهَلِ
 وإذا حُمِلْتُ على الكريهةِ لم أَقلُ
 بعد الكريهةِ ليتني لم أَفْعَلِ
 ولقد لقيتُ الموتَ يومَ لقيتُهُ
 مُتَسَرِّباً، والسَّيفُ لم يَتَسَرَّبَلِ.

٦ - بكاء

كيف السَّلَوُ، وما سمعتُ حَمائماً
 يَنْدُبْنَ، إلّا كنتَ أوَّلَ مُنْشِدٍ؟
 ولقد حبستُ الدَّمْعَ، لا بُخْلاً بِهِ
 يومَ الوداعِ على رسومِ المَعْهَدِ
 وسألتُ طَيْرَ الدَّوْحِ، كم مثلي شَجَا
 بأنينه، وحنينه المَترَدِّدِ
 نَاديئُهُ، ومَدَامَعي مُنْهَلَّةٌ:
 أين الخَلِيُّ مِنَ الشَّجِيِّ المُكَمَدِ؟
 رَفَعُوا القِبابَ على وجوهِ أَشْرَقَتْ
 فيها، فغَيَّبَتِ السُّهّا في الفَرْقَدِ

وَاسْتَوْكَفُوا مَاءَ الْعَيُونِ بِأَعْيُنٍ
مَكْحُولَةٍ بِالسَّحَرِ، لَا بِالْإِثْمِ
وَالشَّمْسِ بَيْنَ مُضَرَّجٍ وَمُبَلَّجٍ
وَالْغُصْنِ بَيْنَ مُوشَّحٍ وَمُقَلَّدٍ
يَطْلَعْنَ بَيْنَ سَوَالِفٍ وَمَعَاطِفٍ
وَقَلَائِدٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ
قَالُوا: اللَّقَاءُ غَدًا بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
وَأُطُولَ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ إِلَى غَدٍ.

قسّ بن ساعدة الإياديّ

الشمس

تجري على كبدِ السَّماءِ كما
يجري حِمَامُ الموتِ في النَّفسِ . . .

كان أسقف نجران. يُعدّ أحكم حكماء العرب. اشتهر بالخطابة. مات
كما يقال نحو ٦٠٠ م.

١ - امرأة

... فحدّثتُ نفسي أنّها أو خيالها
أتانا عشاء حين قمنا لِنَهجِعا
فقلتُ لها: بيتي لدينا وعَرُسي
وما طرقت بعد الرّقادِ لِتَنفَعَا...

أهيمُ بها، لم أقضِ منها لُبَانَةً
وكنْتُ بها، في سالفِ الدَّهرِ، مُوزَعَا
كَأَنَّ جَنَى الكافور، والمسكَ خَالِصَا
وَبَرْدَ النَّدَى والأقحوانَ المنزَعَا
وَقَلَّتَا قَرَّتْ فِيهِ السَّحَابَةُ مَاءَهَا
بَأَنْيَابِهَا، والفارسيَّ المُشْعَشَعَا.

كان يلقب «مفزع الخيل». عاش في القرن السادس الميلادي.

يرى دَرَجَاتِ المجد لا يَسْتَطِيعُهَا
ويَقْعُدُ وَشَطَّ القوم لا يَتَكَلَّمُ.

١ - الظلم العادل

أَتَسْأَلُنِي السَّوِيَّةَ وَشَطَّ زَيْدٍ
أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا
فَجَارُكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمٌ ظَبْيِي
وَجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لَا يُرَامُ.

٢ - فرار

أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِي رَخْوَةٍ
فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبَ؟

١ - صورة شخصية

أودهم وداً، إذا خامر الحشا
أضاء على الأضلاع، والليل دامس.

٢ - فراسة

فما نطفة من حب مزن تقاذفت
به جنبتا الجودي، والليل دامس
بأطيب من فيها - وما ذقت طعمه
ولكنني، في ما ترى العين، فارس.

مرثية أخ

... مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكَذِّرُهُ
عَلَى الصَّدِيقِ، وَلَا فِي صَفْوِهِ كَذْرُ
يَمْشِي بَبِيدَاءَ لَا يَمْشِي بِهَا أَحَدٌ
وَلَا تُحَسُّ بِهَا عَيْنٌ وَلَا أُثَرُ
كَأَنَّهُ بَعْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ
بِالْبَاسِ، يَلْمَعُ مِنْ أَقْدَامِهِ الشَّرَرُ
وَلَيْسَ فِيهِ، إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ، عَجَلٌ
وَلَيْسَ فِيهِ، إِذَا يَاسَرْتَهُ، عُسْرُ،
... وَرَّادُ حَرْبٍ، شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
كَمَا يُضِيءُ سَوَادُ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَاءَهُ وَمُضْبَحَهُ
فِي كُلِّ فَجٍّ، وَإِنْ لَمْ يَغْزُ، يُنْتَظَرُ.

اسمه عامر، عاش في القرن السادس الميلادي.

يلومون... .

يلومونَ في حُمُقِهِ بِاقِلًا
كَأَنَّ الحِمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا العِذْلَ فِي عَيْهِ
فَلَلْعِيُّ أَجْمَلُ بِالْأَحْمَقِ
خُرُوجُ اللِّسَانِ وَفَتْحُ البَنَانِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ المُنْطِقِ .

يقال «أعيا من باقل». عاش في القرن السادس الميلادي .

١ - العدو

وإن يَلْقَني بعدها، يَلْقَني
عليه من الذلِّ، ثوبٌ قَشِيبٌ.

٢ - سؤال

أَمِنْ حَذِرٍ آتِي المَهَالِكِ سَادِرًا
وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مَتَالِفُ؟

ألا عللاني

ألا عللاني، قبل نوح النّوادرِ
وقبل بُكاءِ المُغولاتِ القرائبِ
وقبل ثوائي في ثرابٍ وجندلِ
وقبل نُشوزِ النَّفسِ فوق التّرائبِ،
فإن تَأْتِنِي الدُّنيا بِيَوْمِي فُجَاءَةً
تَجِدُنِي، وقد قَضَيْتُ مِنْهَا مَآرِبِي.

من الشعراء الصعاليك. عداء يسابق الخيل. عاش في القرن السادس الميلادي.

عبيد بن ماوية الطائي

صورة شخصية

... فلأنني لَذُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ
إذا رَكِبْتَ حَالَةً حَالَهَا
أَقْدَمَ بِالزَّجْرِ قَبْلَ الْوَعِيدِ
لِتَنْهَى الْقَبَائِلُ جُهَّالَهَا،

وقافيةٍ مثلِ حَدِّ السَّنَنِ
تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا
تَجَوَّدْتُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ
قَرَاهَا... وَتَسْعِينِ أَمْثَالَهَا.

عاش في القرن السادس الميلادي.

قُرَيْطُ بْنُ أُنَيْفٍ الْعَنْبَرِي

صورة وصفية

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ
طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ
فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا.

عاش في القرن السادس الميلادي .

١ - بعد الغزو

وَأُبْنَا بِإِبْلِ الْقَوْمِ تُحْدَى، وَنِسْوَةَ
يُبْكِينَ شِلْوَا، أَوْ أُسِيرَا مَجْرَحَا، -
غَدَاةً سَقِينَا أَرْضَهُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ
وَأُبْنَا بِأُذْمٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ وَضَحَا
لَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءُ بَكْرِ بْنِ عَامِرٍ
بِأَنَّا نَذُودُ الْكَاشِحَ الْمَتَزَحِّحَا
وَأَنَا بِلَا مَهْرٍ، سَوَى الْبَيْضِ وَالْقَنَا،
نُصِيبُ بِأَفْنَاءِ الْقِبَائِلِ مَنْكَحَا.

٢ - الحب والرحيل

بَكَتْ مِنْ حَدِيثِ بَثِّهِ وَأَشَاعَهُ
وَرَصَّعَهُ وَاشِيَّ مِنَ الْقَوْمِ رَاصِعُ -

كان شجاعاً كثير الغارات، ماجناً خليعاً. تبرات منه قبيلته، وتعهدت في سوق عكاظ ألا تحتمل جريرة له ولا تطالب بجريرة عليه. عاش في القرن السادس الميلادي.

وكيف يَشِيعُ السِّرُّ مِنِّي ودونه
حِجَابٌ، ومن دون الحِجَابِ الْأَضَالِعُ!
فَلَا يَسْمَعُنْ سِرِّي وسِرِّكَ ثَالِثُ
أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعُ
وما رَاعَنِي إِلَّا الْمُنَادِي: أَلَا اظْعَنُوا
وَالْأَرْوَاعِي، غُدُوَّةً، وَالْقَعَائِعُ
فَجِئْتُ كَأَنِّي مُسْتَضِيفٌ وَسَائِلُ
لَأَخْبِرَهَا كُلَّ الَّذِي أَنَا صَانِعُ
فَقَالَتْ: تَرْحُزْ، مَا بِنَا كُبْرُ حَاجَةٍ
إِلَيْكَ، وَلَا مِنَّا لِفَقْرِكَ رَاقِعٌ...

كَأَنَّ فَوَادِي بَيْنَ شِقَاقَيْنِ مِنْ عَصَا
حِذَارٍ وَقُوعِ الْبَيْنِ، وَالْبَيْنُ وَاقِعُ
وَقَالَتْ، وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عِبْرَةً
بِأَهْلِي، بَيْنَ لِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: تَاللَّهِ يَذْرِي مُسَافِرُ
إِذَا أَضْمَرْتُهُ الْأَرْضُ، مَا اللَّهُ صَانِعُ؟
فَشَدَّتْ عَلَى فِيهَا اللَّثَامَ وَأَعْرَضَتْ
وَأَقْبَلَ بِالْكُحْلِ السَّحِيقِ، الْمَدَامِغُ

وَأَتِي لِعَهْدِ الْوَدِّ رَاعِ، وَأُنْنِي
بِوَضْلِكَ، مَا لَمْ يَطُونِي الْمَوْتُ، طَامِعٌ.

٢ - أم مالك

وَبُدِّلْتُ مِنْ جَذْوَالِكِ، يَا أُمَّ مَالِكِ
طَوَارِقَ هَمٍّ يَحْتَضِرْنَ وَسَادِيَا
وَأَصْبَحْتَ بَعْدَ الْأُنْسِ لَا بَسَ جُبَّةٍ
أُسَاقِي الْكُمَاءَ الدَّارِعِينَ الْعَوَالِيَا، -
فَيَوْمَايَ: يَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ مُسْرَبَلًا
وَيَوْمٌ مَعَ الْبَيْضِ الْأَوَانِسِ لَا هِيَا
فَلَا مُذْرِكًا حَظِّي لَدَى أُمَّ مَالِكِ
وَلَا مُسْتَرِيحًا فِي الْحَيَاةِ فَقَاضِيَا.

الْمُتَنَخِّلُ الْهُذَلِيُّ

١ - الهوان

إِنَّ الْهُوَآنَ - فلا يكذبكما أحدٌ -
كَأَنَّهُ فِي بِيَاضِ الْجِلْدِ تَحْزِيرُ.

٢ - صورة وصفية

كَأَنَّ مَزَاحِفَ الْحَيَّاتِ فِيهِ
قُبَيْلَ الصُّبْحِ، آثَارُ السَّيَاطِ.

٣ - أبو مالك

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ
عَلَى نَفْسِهِ، وَمُشِيعٌ غِنَاهُ.

اسمه مالك . عاش في القرن السادس الميلادي .

الْمُتَلَّمُ بْنُ رِيَّاحِ الْمَرْيِّ

صورة وصفية

تَصِيحُ الرَّدِينِيَّاتِ فِينَا وَفِيهِمْ
صِيَاخُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوعًا
لَفَفْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا
بَنِي عَمَّنَا، مَنْ يَزُمُهُمْ يَزُمُنَا مَعًا.

عاش في القرن السادس الميلادي .

تمتع

... وَخَيْلٍ كَأَسْرَابِ الْقَطَا قَدْ وَزَعَتْهَا
لَهَا سَبَلٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ
شَهِدْتُ، وَغْنِمٍ قَدْ حَوِيْتُ وَلَذَّةٍ
أَتَيْتُ - وَمَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا التَّمَتُّعُ؟

... وَعَائِرَةٌ يَوْمَ الْهُيَيْمَى رَأَيْتُهَا
وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ الْقَلْبِ مَجْزَعُ
تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ حَلِيلِهَا
تَعَسْتُ كَمَا أَتْعَسْتَنِي يَا مُجَمَّعُ.

مُحَرِّزُ بْنُ الْمَكْغَبِرِ الضُّبِّي

دنانير

وَإِنِّي لَرَاغِيكُمْ، عَلَى بَطْءِ سَعِيكُمْ
كَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءً،

فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةٍ مَازِنٍ
وَهَلْ كُفَلَّائِي فِي الْوَفَاءِ سَوَاءٌ
لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا
وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءٌ
كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ
وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجْهَ لِقَاءً.

عاش في القرن السادس الميلادي .

الهذلول بن كعب العنبري

المرأة والفارس (*)

تقولُ وصَّغتُ نحرَها بيمينِها

أبغلي هذا بالرحى، المتقاعسُ؟

فقلتُ لها: لا تَعْجَبِي وتبيَّني

بَلائِي، إذا التَّقْتُ عليَّ الفوارسُ

أَلَسْتُ أَرَدَ القِرْنَ، يركبُ رَدْعَهُ (**)

وفيه سِنَانٌ ذو غَرَارَيْنِ، يابِسُ

وأُقْرِي الهمومَ الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً

إذا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الوسائِسُ،

إذا هَابَ أَقْوَامٌ، تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا

يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلَدُ المُدَاعِسُ.

عاش في القرن السادس الميلادي .

(*) تنسب أيضاً هذه الأبيات لأعرابي من بني سعد، وكان قد تزوج امرأة

رأته يوماً يطحن لضيوفه؛ فضربت صدره قائلة باستغراب: أهذا زوجي؟

فرد بهذه الأبيات. وتنسب كذلك لأبي محلم السعدي.

(**) يركب رده: يخر صريعاً لوجهه.

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ، إِنِّي لَخَادِمٌ
لِضَيْفِي، وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ
وَإِنِّي لِأَشْرِي الْحَمْدَ أَبْغِي رَبَّاحَهُ
وَأَتْرُكُ قِرْنِي وَهُوَ خَزِيَانُ نَاعِسُ.

١ - امرأة

مُنْعَمَةٌ، لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا

عَلَى بَابِهَا، مَنْ أَنْ تُزَارَ، رَقِيبٌ

إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفَشِّ سِرَّهُ

وَتَرْضِي إِيَابَ الْبَعْلِ، حِينَ يُؤُوبُ.

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي

بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبٌ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهَنْ نَصِيبٌ

يُرَدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمْنَهُ

وَشَرُخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ.

...

كان صديقاً لامرئ القيس ومنافساً له . فضلت مرة زوجة امرئ القيس
علقة في وصف الخيل ، فغضب وطلقها فتزوجها علقمة . توفي كما يظن
نحو ٦٠٣ م .

تَخْشَخْشُ أَبْدَانِ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ

كَمَا خَشَخَشْتَ يَبْسُ الْحَصَادِ جَنُوبُ -

تَجُودُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا

وَأَنْتَ بِهَا، عِنْدَ اللَّقَاءِ، خَصِيبُ

وَأَنْتَ الَّذِي آثَارُهُ فِي عَدُوِّهِ

مِنَ الْبُؤْسِ وَالنَّعْمَى، لَهْنٌ نُدُوبُ.

٢ - خمرة

قَدْ أَشْهَدُ الشَّرْبَ، فِيهِمْ مِزْهَرٌ رَنَمٌ

وَالْقَوْمُ تَصْرَعُهُمْ صَهْبَاءُ خُرْطُومُ

تَشْفِي الصَّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا

وَلَا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ

عَانِيَّةٌ، قَرَقَفٌ، لَمْ تُطْلَعْ سِنَّةٌ

يُجِنُّهَا مُدْمَجٌ بِالطَّيْنِ، مَخْتَوْمُ.

٣ - كَأَنِّي

كَأَنَّنِي لَمْ أَقْلُ يَوْمًا لِعَادِيَّةٍ:

شُدُّوْا، وَلَا فِتْيَةَ فِي مَوَكِبٍ: سِيرُوْا.

١ - يوم المنخل

ولقد دخلتُ على الفتاة الخدر في اليوم المطير
ألكاعب الحسنة ترفل في الدمقس وفي الحرير،
فدفعتها فتدافعت مشي القطاة إلى الغدير،
وعطفتها فتعطففت كتعطف الظبي الغرير،
فدنت وقالت: يا منخل ما بجسمك من حرور

ما شف جسمي غير حبك فاهدئي عني وسيري...
وأحبها وتحبني وحب ناقتها بعيري.

... يا رب يوم للمنخل، قد لها فيه، قصير
ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير

اتهمه النعمان بن المنذر بامرأته المتجردة، فأغرقه أو دفنه حياً، أو أخفاه، ويضرب به المثل لمن هلك ولم يعرف له خبر. مات كما يروى نحو ٦٠٣ م.

ولقد شربتُ الخمرَ بالخيلِ الإناثِ وبالذكورِ
ولقد شربت الخمرَ بالعَبْدِ الصَّحِيحِ وبالأَسِيرِ،
فإذا انتشيتُ فإنني ربُّ الخوزَنَقِ والسَّديرِ
وإذا صحوْتُ فإنني ربُّ الشُّوْهَةِ والبَعيرِ...

٢ - امرأة

ديارٌ للتي قَتَلْتُكَ غَضَباً
بلا سِيفٍ يُعَدُّ، ولا نِبالٍ
بِطَرْفٍ مِيَّتٍ في عَيْنِ حَيٍّ
له خَبَلٌ يزيد على الخَبالِ.

٣ - قتل

جَرَدَ السَّيْفَ ثائِراً بِأَخِيهِ
يَقْتُلُ الكَهْلَ مِنْهُمْ والغُلَامَا
فَمَلَأْنَا الدَّلَاءَ حَتَّى عُرَاهَا
عَلَقاً بَرَدَ القُلُوبَ السَّقَامَا.

١ - فرسان

كَلِّينِي لِهَمٍّ يَا أُمِيمَةً، ناصبٍ

وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيئِ الْكَوَاكِبِ

تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ: لَيْسَ بِمُنْقَضٍ

وَلَيْسَ الَّذِي يَزْعَى النُّجُومَ بِأَيِّ

وَصْدَرٍ أَرَاخَ اللَّيْلِ عَازِبَ هَمِّهِ

تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ، حَلَّقَ فَوْقَهُمْ

عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ

إِذَا مَا التَقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبٍ.

فَهُمْ يَتَسَاقُونَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ

بِأَيْدِيهِمْ بِيضُ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ

اسمه زياد. أقام في بلاط المناذرة والغساسنة. ردّ عليه شعره مالا كثيرا. كان حكما في الشعر، في سوق عكاظ. مات كما يرجح نحو ٦٠٤ م.

ولا عيبَ فيهم، غير أنَّ سيوفهم
بِهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ...
يصونون أجساداً قديماً نعيمها
بِخالصة الأردانِ خُضرِ المناكبِ
ولا يحسبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدهُ
ولا يحسبونَ الشرَّ ضربةً لازِبٍ.

٢ - امرأة

نظرت بِمُقلّة شادين مُترَبِّبِ
أُخوى، أَحَمَّ المقلتين، مُقلِّدِ
مُخطوطة المَثْنَيْنِ، غيرُ مُفَاضةِ
رِيا الرّوادفِ، بَضَّة المتجرّدِ
قامتُ تراءى بين سِجْفِي كِلَّةِ
كالشَّمس يومَ طلوعها بالأُسْعَدِ
أو دُرّة صَدْفِيّة غَوَاضِها
بَهْجٍ، متى يَرها يَهْلٍ وَيَسْجُدِ
سَقَط النَّصيفُ، ولم تُردِ إسقاطُهُ
فَتَنّاوَلْتُهُ واتَّقَتْنَا باليدِ -

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بِنَانَهُ
عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يَعْقُدِ،
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا
نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وُجُوهِ الْعُودِ
كَالْأُقْحَوَانِ، غَدَاةً غِيبٌ سَمَائِهِ
جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي
زَعَمَ الْهُمَامُ بَأَنَّ فَاهَا بَارِدٌ
عَذْبٌ مُقَبَّلُهُ شَهِيٌّ الْمِوَرِدِ
زَعَمَ الْهُمَامُ، وَلَمْ أَذْقْهُ، أَنَّهُ
عَذْبٌ إِذَا مَا ذُقْتَهُ، قُلْتُ: ازْدَدِ
زَعَمَ الْهُمَامُ، وَلَمْ أَذْقْهُ، أَنَّهُ
يُشْفَى بِرِيَا رِيْقِهَا الْعَطَشُ الصَّدي
أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهَا فَنَظَّمْنَهُ
مِنْ لَوْلُو مُتَتَابِعٍ مُتَسَرِّدِ
لَوْ أَنَّهَا عَرْضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبِ
عَبَدَ الْإِلَآهَ، صَرُورَةٌ(*)، مُتَعَبِّدِ

(*) صَرُورَةٌ: عازب.

لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا
وَلِخَالِهِ رُشْدًا، وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ.
فَإِذَا لَمَسْتَ، لَمَسْتَ أَخْثَمَ (*) جَائِثًا
مُتَحَيِّزًا بِمَكَانِهِ، مِلْءَ الْيَدِ
وَإِذَا طَعَنْتَ، طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدَفٍ
رَابِي الْمَجَسَّةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمِدِ.
لَا مَرْحَبًا بِغَدٍ، وَلَا أَهْلًا بِهِ
إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأَحَبَّةِ فِي غَدِ.

٣ - نساء

... فَآبَ بِأُبْكَارٍ وَعُؤُونِ عَقَائِلِ
أَوَانِسَ، يَحْمِيهَا امْرُؤٌ غَيْرُ زَاهِدِ
يُخَطِّطُنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَقْعِدِ
وَيَخْبَأْنَ رَمَانَ الثَّدْيِ النَّوَاهِدِ.

٤ - وجه نعم

... أَيَّامَ تُخْبِرُنِي نِعْمٌ وَأُخْبِرُهَا
مَا أَكْتَمُ النَّاسُ مِنْ حَاجِي وَأُسْرَارِي

(*) الأخثم: العريض المرتفع.

لولا حبائلُ من نِعْمٍ علقتُ بها
لأَقْصَرَ القلبُ عنها أيَّ إقْصارٍ،
... نُبِئتُ نِعْماً على الهجرانِ عاتبةً

سقياً ورعيّاً لذاك العاتبِ الزَّاري
بيضاءَ كالشَّمْسِ وافتِ يومَ أَسْعُدِهَا
لم تؤذِ أهلاً ولم تَفْجِسْ على جارٍ
والطَّيبُ يزداد طيباً أن يكون بها
في جيدٍ واضحةِ الخَدَّينِ مِطْطَارٍ
تُسْقِي الضَّجِيعَ إذا اسْتَسْقَى بذِي أُشْرٍ
عَذْبِ المَذَاقَةِ، بعد النُّومِ، مَخْمارٍ
كَأَنَّ مَشْمُولَةً صِرْفاً بِرِيقَتِهَا
من بعد رَقْدَتِهَا أو شهد مُشْتَارٍ...

أَلَمْحَةٌ من سَنَا بَرَقِ رَأْيِ بَصْرِي
أَمْ وَجْهٌ نِعْمٍ بَدَا لِي أَمْ سَنَا نَارٍ
بَلْ وَجْهٌ نِعْمٍ بَدَا وَاللَّيْلُ مُغْتَكِرٌ
فَلاح من بينِ أثوابٍ وأُسْتَارِ.

٥ - أشجار النخيل

... مِنْ الْوَارِدَاتِ الْمَاءَ بِالْقَاعِ تَسْتَقِي
بِأَعْجَازِهَا، قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ.

٦ - وشاية

... أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطَنٌ لِي بِغُضَّةٍ
لَهُ مِنْ عَدُوٍّ، مِثْلُ ذَلِكَ، شَافِعُ
أَتَاكَ بِقَوْلِ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ
وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعُ
أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لَأَقُولَهُ
وَلَوْ كُتِبْتُ فِي سَاعِدِي الْجَوَامِعُ.
أَتَوَعَّدُ عَبْدًا لَمْ يَخْنُكْ أَمَانَةٌ
وَتَتَرَكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِعُ؟
... فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرَكِي
وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَائِي عَنْكَ وَاسِعُ
وَأَنْتَ رَبِيعُ يُنْعِشُ النَّاسَ سَيْبُهُ
وَسَيْفُ أَعِيرَتِهِ الْمَنِيَّةُ قَاطِعُ...

... حلفتُ، فلم أتركْ لنفسك ريبَةً

وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنتَ قد بُلِغْتَ عني خيانةُ

لُمُبْلِغِكَ الواشي أغشُ وأكذبُ

ولكنني كنتُ أُمراً لِي جانبُ

مِنَ الأرضِ فيه مُستَراذٌ ومذهبُ

ملوكُ وإخوانُ إذا ما أتيَتْهم

أُحْكَمُ في أموالهم وأقربُ

فلا تتركَّنِي بالوعيدِ، كأنني

إلى الناسِ مَطلِيٌّ به القارُ، أَجْرَبُ

فإنَّك شمسٌ والملوكُ كواكبُ

إذا طلعت، لم يَبْدُ منهم كوكبُ

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه

على شَعَثٍ، أي الرِّجالِ المُهذَّبُ؟

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ اللَّقَا
يَنْهَلُ مِنْهَا الْأَسْلُ النَّاهِلُ
وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ الَّذِي مَثَلُهُ
يُمرع منه البلدُ الماحِلُ.

٩ - امرأة ...

... فلو كانت، غداةَ البَيْنِ، مَنَّتْ
وقد رفعوا الخدورَ على الخيامِ،
لفزتُ بنظرةٍ، فرأيتُ منها
وراءَ الخِدرِ، بدرًا في الغَمَامِ -
تَرَائِبَ يَسْتَضِيءُ الحَلِي فِيهَا
كَجَمْرِ النَّارِ يُزْرِي بِالظَّلَامِ.

(*) في رواية أن البيتين منحولان وليسا للنابعة.

طُفِيلُ بْنُ عَوْفٍ الْغَنَوِيُّ

١ - العلم

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى رَأَوْا فِي دِيَارِهِمْ
لَوَاءً كَظَلِّ الطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ.

٢ - فارس .

... إِذَا خَرَجْتَ يَوْمًا، أُعِيدَتْ كَأَنَّهَا
عَوَاكِفَ طَيْرٍ فِي السَّمَاءِ تَقَلِّبُ
إِذَا اسْتُعْجِلْتَ بِالرَّكْضِ سَدَّ فِرَاجُهَا
غُبَارٌ تَهَادَاهُ السَّنَابِكُ، أَضْهَبُ.

... فَفَازَ بِنَهْجٍ، فِيهِ مِنْهُمْ عَقِيلَةٌ
لَهَا بَشَرٌ صَافٍ وَرَخِصٌ مُخَضَّبُ
فَلَا تَذْهَبُ الْأَحْسَابُ مِنْ عُقْرِ دَارِنَا
وَلَكِنْ أَشْبَاحًا مِنَ الْمَالِ تَذْهَبُ.

كان يسمى «المحبر» لحسن شعره . قيل إنه مات نحو ٦١٠ م .

... وغارة كجراد الرِّيح، زعزعها
 مِخْرَاقُ حَرْبٍ، كَنْصَلُ السَّيْفِ، مَسْلُولُ
 ... بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ
 يُصَانُ، وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ.

سُليكَ بن السُّلَكة السَّعدي

١ - الممنعة

يَعَافُ وَصَالَ ذَاتِ الْبَذْلِ قَلْبِي
وَأَتَّبَعُ الْمَمْنَعَةَ نُورًا.

٢ - شيب

أَشَابَ الرَّأْسَ أَنِّي، كُلَّ يَوْمٍ
أَرَى لِي خَالَةً وَسَطَ الرِّجَالِ
يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمًا
وَيَعْجِزُ عَنْ تَخُلُّصِهِنَّ مَالِي.

كان أسود (أمه سوداء حبشية). من الصعاليك العدائين الفاتكين. مات في أوائل القرن السابع الميلادي.

وَمَا نِلْتُهَا حَتَّى تَصْعَلَكُ حِقْبَةً
وَكُذْتُ، لِأَسْبَابِ الْمَنِيَّةِ، أُعْرِفُ
وَحَتَّى رَأَيْتُ الْجُوعَ بِالصَّيْفِ ضَرَّنِي
إِذَا قَمْتُ تَغْشَانِي ظِلَالٌ، فَأُسْدِفُ.

١ - أفكار وصور

... فلما عرفت الدار، قلت لربيعها

ألا أنعم صباحاً، أيها الربع واسلم

تبصر خليلي، هل ترى من ظعائن

تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم (*)

وفيهن ملهى لللطيف، ومنظر

أنيق لعين الناظر المتوسم

بكرن بكوراً واستحزن بسحرة

فهن ووادي الرّس كاليد للقم

كأن فتات العهن في كل منزل

نزلن به، حبّ الفنا لم يحطم.

...

مات على الأرجح، نحو ٦٠٩ م.

(*) العلياء: الأرض العالية. جرثم: موضع ماء.

وما الحرب إلا ما علمتم وذُقتُم
 وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
 مَتَى تَبْعُثُوهَا، تَبْعُثُوهَا ذَمِيمَةً
 وَتَضُرَّ، إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا، فَتَضُرَّ
 فَتَغْرُكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا(*)
 وَتَلْقَحُ كِشَافاً(**) ثُمَّ تُنْتَجُ فَتُثْمِ

...

سَمْتُ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ، وَمَنْ يَعِشُ
 ثَمَانِينَ حَوْلًا، لَا أَبَا لَكَ، يَسْأَمُ
 رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ، مَنْ تُصِبُ
 ثُمْتُهُ، وَمَنْ تُخْطِئُ، يُعَمَّرُ فِيهِمْ
 وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
 وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ
 وَمَنْ لَمْ يُصَانَعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
 يَضُرَّسُ بِأَنْيَابٍ، وَيُوطَأُ بِمَنْسِمٍ(***)

(*) الثِّفَالُ: الجلد، أَوْ الْخِزْقَةُ تَكُونُ تَحْتَ الرَّحَى.

(**) تَلْقَحُ كِشَافًا: تَحْمِلُ فِي عَامِينَ مُتَوَالِينَ.

(***) الْمَنْسِمُ: خُفُّ الْبَعِيرِ.

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ

يَضِرُّهُ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمِ

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ

عَلَى قَوْمِهِ، يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُذَمِّمِ

وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ

يُهَدِّمُ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمِ

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنَلْنَهُ

وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمِ

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ

وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمِ

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِيٍّ مِنْ خَلِيقَةٍ

وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ، تُعْلَمِ.

٢ - الموعد الأخير

تَزَوَّدْ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَإِنَّهُ

وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ، آخِرُ مَوْعِدٍ.

٣ - صور وصفية

... وَأَبْيَضَ فَيَّاضٍ، يَدَاهُ غَمَامَةٌ

عَلَى مُعْتَفِيهِ، مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُهُ

أَخِي ثِقَّةٌ لَا تُتْلِفُ الْخَمْرُ مَالَهُ
ولكنّه قد يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
تَراهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ، مَتَهَلَّلًا
كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ.

٤ - رُؤْيَا

أَرَانِي، إِذَا مَا بِتُّ، بِتُّ عَلَى هَوًى
وَأَنِّي، إِذَا أَصْبَحْتُ، أَصْبَحْتُ غَادِيَا
إِلَى حَفْرَةٍ أَهْدَى إِلَيْهَا، مُقِيمَةً
يَحْتُ إِلَيْهَا سَائِقٌ مِنْ وَرَائِيَا.

٥ - صُورَةُ شَخْصِيَّةٍ

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وَجُوهُهَا
وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَإِنْ جِئْتَهُمْ، أَلْفَيْتَ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ
مَجَالِسٌ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ.

٦ - سَكَارَى

وَقَدْ أَغْدُو عَلَى شَرْبِ كِرَامٍ
نَشَاوَى وَاجْدِينَ لِمَا نَشَاءُ

لَهُمْ رَاحٌ وَرَاوِقٌ وَمِسْكٌ

تُعَلُّ بِهَا جُلُودُهُمْ وَمَاءٌ

يَجْرُونَ الْبَرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ

حُمَيَّا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغِنَاءُ

تَمْشَى بَيْنَ قَتْلَى قَدْ أُصِيبَتْ

نَفُوسُهُمْ، وَلَمْ تُهْرَقْ دِمَاءٌ.

٧ - احتمال

فَقِرِّي فِي بِلَادِكَ - إِنَّ قَوْمًا

مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهُونُوا.

٨ - ضفادع

... يُحِيلُ فِي جَدُولٍ تَحْبُو ضَفَادِعُهُ

حَبَوَ الْجَوَارِي، تَرَى فِي مَائِهِ نُطْقًا(*)

يَخْرُجْنَ مِنْ شَرَبَاتٍ مَاؤُهَا طَجِلٌ

عَلَى الْجُدُوعِ يَخْفَنَ الْغَمُّ وَالْغَرَقَا.

(*) النُّطْقُ: تَمَوَّجَاتُ الْمَاءِ.

٩ - رجل (هَرِم بن سِنَان)

... وذاك أَحْزَمَهُمْ رَأْيًا، إِذَا نَبَأُ

من الحَوَادِثِ غَادَى النَّاسَ أَوْ طَرَقَا

فَظُلَّ الْجِيَادِ عَلَى الْخَيْلِ الْبَطَاءِ فَلَا

يُعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزَقَا

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا

تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

هَذَا، وَلَيْسَ كَمَنْ يَعْيا بِخَطَّتِهِ

وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطِقٌ نَطَقَا

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ

وَسَطَ السَّمَاءِ، لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأُفُقَا.

الحصين بن الحُمَامِ المرِّي

١ - شعر

وقافية غير إنسيّة
قرضتُ من الشعر أمثالها
شروء، تلمّع بالخافقين،
إذا أنشدت، قيل: مَنْ قالها؟

٢ - صورة شخصية

... فلستُ بمبتاع الحياة بذلّة
ولا مُرتقي من خشية الموت سُلماً،
تأخّرتُ أستبقي الحياة فلم أجِدْ
لِنفسي حياةً مثلَ أن أتقدّمَا.

يُعدّ من أوفياء العرب. وكان يقال له: «مانع الضيم». مات نحو ٦١٢ م.

محالفة السيوف

ولمَّا نَأَتْ عَنَّا العشيرة كُلُّهَا
أَنخُنَا، فحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمْتُنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ
وَلَا نَحْنُ أَغْضِينَا الْجَفُونَ عَلَى وَثَرٍ.

جاء في «معجم الشعراء» للمرزباني، أنه جاهلي نصراني، يلقب «أزيرق اليمامة»، ويعرف بـ «ابن ليلي».

كَعْبُ بْنُ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ

١ - صورة شخصية

... أَرَاكَ أَمْرًا تَرْمِي بِنَفْسِكَ عَامِدًا
مِرَامِي تَغْتَالِ الرِّجَالَ بِغُولٍ
وَمَنْ لَمْ يَزَلْ يُرْجَى بِغَيْبِ إِيَابِهِ
يَجُوبُ وَيَغْشَى هَوْلَ كُلِّ سَبِيلٍ.

... أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ لَا يُرَاحِي مَنِّي
قُعودي، وَلَا يُدْنِي الْوَفَاءَ رَحِيلِي،
فإنَّكَ وَالْمَوْتُ الَّذِي تَرْهَبِينَ
عَلَيَّ، وَمَا عَذَّالَةٌ بِعَقُولٍ
كَدَاعِي هَدِيلٍ لَا يُجَابُ إِذَا دَعَا
وَلَا هُوَ يَسْأَلُ عَنْ دَعَاءِ هَدِيلٍ...

يسمى «كعب الأمثال» لكثرة ما في شعره من الأمثال. مات نحو ٦١٢ م.

وزادِ رفعتُ الكفَّ عنه عِفَافَةً
 لأُوْثِرَ في زادي عليَّ أَكيلي
 وشخصٍ دَرَأْتُ الشَّمْسَ عنه براحتي
 لأنْظَرَ قبلَ اللَّيْلِ أينَ نُزُولي
 ... وعوراءُ قد قِيلَتْ فلم أَسْتَمِعْ لها
 وما الكَلِمَةُ العوراءُ لي بَقْبُولِ
 ولن يلبثَ الجَهَّالُ أن يتهَضَّموا
 أخا الحِلْمِ، ما لم يَسْتَعِنَ بجهولِ
 ولستُ بِمُبْدٍ لِلرَّجَالِ سريرتي
 وما أنا عن أسرارهم بِسَوْوَلِ
 ولستُ بلاقي المرءِ أزعَمُ أَنَّهُ
 خليلٌ وما قلبي له بخليل.

٢ - مرثية أخ

... أَخُ كان يَكْفِينِي وكان يُعِينُنِي
 على نائباتِ الدَّهْرِ حينَ تَنُوبُ
 فلو كان مَيِّتٌ يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ
 بما لم تكن عنه النُّفوسُ تَطِيبُ،

أخي ما أخي - لا فاحشٌ عند بيته
ولا ورعٌ عند اللقاءِ هيوُبُ
حليف النَّدَى، يدعو النَّدَى فيجيبهُ
سريعاً، ويدعوه النَّدَى فيُجيبُ
أخو شَتَوَاتٍ، يعلم الحَيُّ أنه
سَيَكْثُرُ ما في قِدره ويطيّبُ.

... كأنَّ بيوت الحَيِّ ما لم يكن بها
بَسَابِسُ قُفُرٍ ما بهنَّ عَرِيبُ
كعالية الرُّمَحِ الرُّدِينِيِّ لم يكن
إذا ابتدرَ الخيلَ الرِّجالُ، يخيبُ.
إذا قَصَّرت أيدي الرِّجالِ عن العُلَى
تناول أقصى المكرماتِ شبيبُ.

غَنِينا بخيرِ حَقْبَةٍ ثُمَّ جَلَّحْتُ
علينا التي كلَّ الأنامِ تُصِيبُ
فأبقت قليلاً ذاهباً وتجهَّزتْ
لآخرَ، والراجي الحياةَ كذوبُ

وأعلم أنّ الباقي الحيّ منهم
إلى أجلٍ أقصى مداه قريبُ
لقد أفسدَ الموتُ الحياةَ وقد أتى
على يومه، علّقْ عليّ حبيبُ.

الأم والزوجة

أرى أُمَّ صَخْرٍ ما تجفُّ دموعُها
وملَّتْ سُليمى مَضْجَعِي ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازةً
عليك، ومن يَغْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ
فأيَّ امرئٍ ساوى بأُمِّ حليلةٍ
فلا عاش إلا في شَقاً وهوانٍ
أهمُّ بأمرِ الحزمِ لو أَسْتَطِيعُهُ
وقد حيلَ بين العَيْرِ والنِّزوانِ
لعمري، لقد أيقَظْتُ من كان نائماً
وأسمعتُ مَنْ كانت له أُذنان.

هو أخو الخنساء. خرج في إحدى غزواته فمرض وطال مرضه. وكان قومه إذا سألوا امرأته سلمى عنه أجابت: «لا هو حي فيرجى، ولا ميت فينسى». وكان يسمعها، بينما كانت أمه تجيب: «أصبح سالماً بنعمة الله». وقيل إنه حين شفي علق امرأته بعود حتى ماتت. مات نحو ٦١٣ م.

١ - صورة شخصية

... وسائلِ أين الرَّحيلُ، وسائلِ
ومن يسأل الصَّعلوك أين مَذهِبُهُ
مَذهِبُهُ أَنَّ الفِجَاجَ عريضةُ
إذا ضَنَّ عنه بالفعالِ أقاربُهُ،
فلا أتركُ الإخوانَ، ما عشتُ، لِلرَّدى
كما أَنَّهُ لا يتركُ الماءَ شاربُهُ.

٢ - علم

وقد عَلِمْتَ سُليمى أَنَّ رَأْيِي
ورأى البُخْلُ مُخْتَلِفٌ شَتِيتُ
وَأَنِّي لا يُريني البُخْلَ رَأْيِي
سَوَاءٌ إِنْ عَطِشْتُ وَإِنْ رَوِيتُ

يلقب عروة الصعاليك، لأنه كان يجمعهم ويطعمهم ويتدبر أمورهم حين يخفقون في غزواتهم. يلقب أيضاً، «مانع الضيم». توفي مقتولاً في بعض غاراته حوالى ٥٩٤م وقيل ٦١٦م.

وَأُكْفِيَ مَا عَلِمْتُ بِفَضْلِ عِلْمٍ
وَأَسْأَلُ ذَا الْبَيَانِ، إِذَا عَمِيتُ.

٣ - شحوب الحق

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمَنْتَ وَأَنْ تَرَى
بِوَجْهِ شَحُوبِ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ جَاهِدُ -
وَإِنِّي أَمْرُؤٌ عَافِي إِنْأَيْ شِرْكَةٍ
وَأَنْتَ أَمْرُؤٌ عَافِي إِنْأَيْكَ وَاحِدُ
أَقْسَمُ جَسْمِي فِي جَسُومٍ كَثِيرَةٍ
وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدُ.

٤ - إذا قيل

إِذَا قِيلَ يَا بَنَ الْوَرْدِ: أَقْدِمْ إِلَى الْوَغَى
أَجَبْتُ، فَلَا قَانِي كَمِيٍّ مُقَارِعُ
بِكَفِّي مِنَ الْمَأْثُورِ كَالْمَلْحِ لَوْنِهِ
حَدِيثُ بِإِخْلَاصِ الذُّكُورَةِ قَاطِعُ
فَلَا أَنَا مِمَّا جَرَّتِ الْحَرْبُ مُشْتَكٍ
وَلَا أَنَا مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ جَازِعُ.

٥ - الجبان والبطل

... ذريني أطوَّف في البلاد، لعلني

أُخلِّيك، أو أغنيك عن سوء مُحْضَرِي

فإن فاز سَهْمٌ للمنيّة لم أكن

جَزُوعاً، وهل عن ذاك من مُتَأَخِّرٍ؟

وإن فاز سَهْمِي كَفَّكُمْ عن مقاعد

لكم، خلف أدبار البيوت، ومَنْظَرِ.

...

لحى الله صُعلوكاً، إذا جُنَّ ليله

مُصَافِي المُشَاشِ(*)، ألفاً كلَّ مَجْزَرِ

... يعدُّ الغنى من دهره كلَّ ليلة

أصاب قراها من صديقٍ مُيسَّرِ

ينامُ عشاءً ثمَّ يُصبح طاوياً

يَحُتُّ الحصى عن جنبه المتعَفَّرِ

قليل التماس الزَّادِ، إلاَّ لنفسه

إذا هو أمسى كالعريشِ المجوَّرِ

(*) المُشَاش: رؤوس العظام اللينة.

يُعِين نَسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ
فَيُمْسِي طَلِيحاً كَالْبَعِيرِ الْمُحْسَرِ .

وَلَكِنْ صَعَلُوكَا صَحِيفَةً وَجْهَهُ
كُضُوءَ شَهَابِ الْقَابَسِ الْمَتَنُورِ
... فَذَلِكَ إِنْ يَلْقَى الْمَنِيَّةَ يَلْقَاهَا
حَمِيداً، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا، فَأَجْدِرِ .

٦ - هُمْ

هُمْ عَيَّرُونِي أَنَّ أُمِّي غَرِيبَةٌ
وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَاجِدٍ مَا يُعَيِّرُ؟
وَقَدْ عَيَّرُونِي الْمَالُ حِينَ جَمَعْتُهُ
وَقَدْ عَيَّرُونِي الْفَقْرَ، إِذْ أَنَا مُقْتَرٌ
وَلَا أَنْتَمِي إِلَّا لَجَارٍ مُجَاوِرٍ
فَمَا آخِرُ الْعَيْشِ الَّذِي أَتَنْظَرُ؟

٧ - وَمَنْ يَكُ مِثْلِي

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرٍ
مِنَ الْمَالِ، يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ

لِيَبْلَغَ عَذْرَاءً أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً
وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عَذْرَاهَا مِثْلُ مُنْجَحٍ.

٨ - الغنى والفقر

دَعَيْنِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي
رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَيُقْصِيهِ النَّدِيُّ وَتَزْدْرِيه
حَلِيلَتُهُ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ،
وَيُلْفَى ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ
يَكَادُ فَوْادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ ذَنْبُهُ، وَالذَّنْبُ جَمٌّ
وَلَكِنَ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ.

٩ - أم حسان

أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الْغَدَاةَ تَلُومُنِي
تَخَوِّفُنِي الْأَعْدَاءَ، وَالنَّفْسُ أَخَوْفُ
لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفَتِنَا مِنْ أَمَامِنَا
يُصَادِفُهُ فِي أَهْلِهِ الْمُتَخَلِّفُ،

إذا قلتُ قد جاء الغنى حال دونه
أبو صَبِيَّةٍ يشكو المفاقرَ، أعجفُ...

١٠ - أقاويل

تقولُ: ألا أَقْصِرُ مِنَ الْغَزْوِ واشتكى
لها القولَ طَرْفُ أَحْوَِرِ الْعَيْنِ دَامِعُ
ويدعونني كهلاً، وقد عشتُ حِقْبَةً
وهُنَّ عَنِ الْأَزْوَاجِ نَحْوِي نَوَازِعُ
فما شاب رأسي من سنينٍ تتابعتُ
طوالٍ، ولكن شَيَّبَتْهُ الْوَقَائِعُ.

١١ - دعيني أطوف (*)

دَعِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي
أُفِيدَ غِنًى فِيهِ لَذِي الْحَقِّ مُحْمَلُ،
أليس عَظِيماً أَنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ
وليس علينا في الحقوقِ مُعَوَّلُ؟
فإن نحن لم نملك دفاعاً بحادثٍ
تُلِمُّ بِهِ الْأَيَّامُ، فالَمُوتُ أَجْمَلُ.

(*) في رواية أن الأبيات رقم ٧ تنسب ليزيد بن خذاق العبدي.

١٢ - صورة شخصية

بُنِيتُ عَلَى خُلُقِ الرِّجَالِ بِأَعْظَمِ

خِفَافٍ تَثْنَى تَحْتَهُنَّ الْمَفَاصِلُ

وَقَلْبٍ جَلَا عَنْهُ الشُّكُوكُ، فَإِنْ تَشَأْ

يُخَبِّرُكَ ظَهَرَ الْغَيْبِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ.

١٣ - تراث

وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تَرَاثِي وَإِنْ مَا

يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ، غَدًا، لِقَلِيلُ

وَمَالِي مَالٌ غَيْرِ دَرْعٍ، وَمَغْفَرُ

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ.

١٤ - سأم

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أَدَبَّ عَلَى الْعَصَا

فَيَشْمَتَ أَعْدَائِي، وَيَسْأَمَنِي أَهْلِي؟

لَعَلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَبَغِيَّتِي

وَشَدِّي حِيَازِيمَ الْمُطَيَّةِ بِالرَّحْلِ

سَيَدْفَعُنِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ

يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ.

وردية النجد

إذا تُرِكَتْ وَزْدِيَّةُ النَّجْدِ، لم يكن
لِعَيْنِكَ مما يشكوانِ طَبِيبُ
وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِمَا
قَدْزَى كَانَ فِي جَفْنَيْهِمَا وَغُرُوبُ
وَكَانَتْ رِيَّاحُ الشَّامِ تُبْغِضُ مَرَّةً
فَقَدْ جَعَلْتَ تِلْكَ الرِّيَّاحُ تَطِيبُ،

كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا خَفْتُ رُوعَةً
مِنْ الْبَيْنِ بَازٍ، مَا يَزَالُ، ضَرْوبُ
سَمَا بِالْخَوَافِي وَاسْتَمَرَّ بِسَاقِهِ
عَلَى الصَّيْدِ سَيْرٌ بِالْأُكُفِّ نَشُوبُ.

١ - السحاب (*)

يا مَنْ لِبَرْقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبُهُ
في عارضٍ كَمُضِيِّ الصُّبْحِ لَمَّاحِ
دَانٍ مُسِيفٌ فَوْقَ الْأَرْضِ هَيْدَبُهُ
يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ، بِالرَّاحِ.

٢ - دفاع عن الجبن (**)

... وَلَمَّا دَخَلْنَا تَحْتَ فَيْءِ رِمَاحِهِمْ
خَبَطْتُ بِكَفِّي، أَطْلُبُ الْأَرْضَ بِاللَّمْسِ
وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ مِنْ جَبْنِ يَوْمِهِ
وَقَدْ عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ.

مات نحو ٦٢٠ م.

(*) ينسب أيضاً هذان البيتان لعبيد بن الأبرص الأسدي.

(**) ينسبان أيضاً لعمر بن معد يكرب، ولعبد الله بن عنقاء الجهمي.

وقد رامَ بَحْرِي، بعد ذلك طامياً

مِنَ الشُّعراءِ كُلِّ عَوْدٍ وَمُقْحَمٍ
فَفَاؤُوا، ولو أَسطَوْ على أَمِّ بعضهم
أَصَاخَ فلم يُنصِتْ ولم يتكلَّم.

٤ - الألمعي

... الألمعي الذي يظنُّ لك الظنَّ

كَأَنَّ قَدْ رَأَى وقد سَمِعَا.
أَوْدَى، وهل تنفعُ الإِشاحَةُ مِنْ
شيءٍ لِمَنْ قَدْ يُحاولُ البِدْعَا؟

٥ - ليلة

جُدِلْتُ على ليلةٍ سَاهِرَةٍ

بصحراءٍ شَرَجٍ إلى ناظِرَةٍ
تُزاد لياليَّ في طُولِها
فليست بِطَلْقٍ ولا ساكِرَةٍ
أنوء بِرِجْلِ بها ذَهْنُها
وأعيت بها أختها الغَابِرَةَ.

٦ - صعود الجبل

... فَأَشْرَطَ فِيهَا نَفْسُهُ وَهُوَ مُعْصِمٌ

وَأَلْقَى بِأَسْبَابٍ لَهُ وَتَوَكَّلَا

وَقَدْ أَكَلْتَ أَظْفَارُهُ الصَّخْرَ كُلَّمَا

تَعَيَّا عَلَيْهِ طَوْلَ مَرْقَى، تَسَهَّلَا

فَمَا زَالَ حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ مُعْصِمٌ

عَلَى مَوْطِنٍ لَوْ زَلَّ عَنْهُ، تَفَصَّلَا.

٧ - لهو

وَقَدْ أَنْتَحَى لِلْجَهْلِ يَوْمًا وَتَنْتَحَى

ظُعَائِنُ لَهْوٍ، وَدَّهْنٌ مُسَاعِفُ

نَوَاعِمُ مَا يَضْحَكُنْ إِلَّا تَبَسَّمًا

إِلَى اللَّهْوِ قَدْ مَالَتْ بِهِنَّ السَّوَالِفُ.

٨ - الكتابة بالماء

سَأَرْقُمُ بِالْمَاءِ الْقُرَاحَ إِلَيْكُمْ

عَلَى نَأْيِكُمْ، إِنْ كَانَ لِلْمَاءِ رَاقِمُ.

٩ - دار الحزم

أقيم بدار الحَزْم ما دامَ حزمُها
وأخِر، إذا حَالَتْ، بأن أَتَحَوَّلَا
وأستبدلُ الأمرَ القويَّ بغيره
إذا عَقْدُ مَأْفُونِ الرِّجَالِ تحلَّلاً.

١٠ - الغد

ولستُ بِخَابِيٍّ أَبَدًا طَعَامًا
حِذَارَ غَدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ.

قيس بن الخطيم الأوسي

١ - صورة شخصية

وكنْتُ امرأً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً
أُسَبُّ بها، إلَّا كَشَفْتُ غِطَاءَهَا
فإنِّي في الحربِ الضُّرُوسِ موَكَّلٌ
بإقدامِ نَفْسٍ ما أريدُ بقاءَهَا
إذا سَقِمْتُ نَفْسِي إلى ذِي عداوَةٍ
فإنِّي بِنَضْلِ السَّيْفِ باغٍ دِواءَهَا
مَتَى يَأْتِ هذا الموتُ لا تَبْقَ حاجةٌ
لِنَفْسِي إلَّا قد قَضَيْتُ قِضاءَهَا.

٢ - عصر السوء

أَرَى كَثْرَةَ المَعْرُوفِ يُورِثُ أَهْلَهُ
وَسَوْدَ عَصْرِ السُّوءِ غَيْرَ المُسَوِّدِ

بقي على جاهليته ولم يسلم. أسلمت امرأته فكان يصدها ويعبث بها،
ويأتيها وهي ساجدة فيقبلها على رأسها. مات نحو ٦٢٠م.

وَإِنِّي لِأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتْكَلِّفٍ
يَرَى النَّاسَ ضُلَالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدٍ
كثير المُنَى بالزَّادِ لا خير عنده
إذا جاعَ يوماً يَشْتَكِيهِ ضُحَى الغَدِ
مَتَى ما تَقْذُ بِالْبَاطِلِ الحَقَّ يَأْبُهُ
وإن قُدتْ بِالْحَقِّ الرُّوَاسِي تَنْقُدِ.

٣ - امرأة

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ
بدا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضُنْتُ بِحَاجِبٍ،
... وَكُنْتُ امْرَأً لَا أُبْعَثُ الحَرْبَ ظالماً
فَلَمَّا أَبَوَا، أَشْعَلْتُهَا كُلَّ جَانِبٍ
... رِجَالٌ مَتَى يُدْعَوْنَ إِلَى المَوْتِ يُرْقِلُوا
إِلَيْهِ كَأَرْقَالِ الجِمالِ المَصاعِبِ
إذا فَزَعُوا مَدُّوا إِلَى اللَّيْلِ صَارِخاً
كَمَوْجِ الأَتِيِّ المُزْبِدِ المِتْرَاكِبِ،
أَجالدهم، يَوْمَ الحَدِيقَةِ، حاسِراً
كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيْفِ مِخْرَاقَ لَاعِبٍ.

ولمَّا هَبَطْنَا الْحَرَّةَ، قَالَ أَمِيرُنَا:

حَرَامٌ عَلَيْنَا الْخَمْرُ مَا لَمْ نُضَارِبِ
فَسَامَحَهُ مِنَّا رِجَالٌ أَعَزَّةٌ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى أُحِلَّت لِشَارِبِ.

رَضِيتُ لِعَوْفٍ أَنْ يَقُولَ نَسَاؤُهُمْ
وَيَهْزَأَنَّ مِنْهُمْ: لَيْتَنَا لَمْ نُحَارِبِ...

٤ - بنو الأوس

إِنَّ بَنِي الْأَوْسِ، حِينَ تَسْتَعِيرُ
الْحَرْبَ، لَكَالنَّارِ تَأْكُلُ الْحَطْبَا
قَالَتْ بَنُو الْأَوْسِ مِنْ عَفَافِهِمْ:
مُرُّوا وَلَا تَأْخِذُوا لَهُمْ سَلْبَا.

٥ - وصل

إِذَا قَصُرَتْ أَشْيَاؤُنَا كَانَ وَضْلُهَا
خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا، فَتُضَارِبُ.

٦ - فارس

أَبْلَجُ لَا يَهْمُ بِالْفِرَارِ -
 قَدْ طَابَ نَفْسًا بِدُخُولِ النَّارِ.

٧ - عَمْرَةَ

... فَإِنْ تُمَسِّ، شَطَّتْ بِهَا دَارُهَا
 وَبَاحَ لَكَ الْيَوْمَ هِجْرَانُهَا
 فَمَا رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا
 كَأَنَّ الْمَصَابِيحَ حَوْدَانُهَا
 بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَلَا مُزْنَةً
 دُلُوحٌ تَكْشِفُ إِدْجَانُهَا
 وَعَمْرَةٌ مِنْ سَرَوَاتِ النِّسَاءِ
 تَنْضَحُ بِالْمِسْكِ أَرْدَانُهَا.

٨ - امرأة

تَغْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَا هِيَةَ
 كَأَنَّمَا شَفَّ وَجْهَهَا نُزْفُ،
 تَنَامُ عَنْ كِبَرِ شَأْنِهَا فَإِذَا
 قَامَتْ رَوِيدًا، تَكَادُ تَنْغَرِفُ

حَوْرَاءُ جَيِّدَاءُ يُسْتَضَاءُ بِهَا
كَأَنَّهَا خُوطٌ بَانَةٌ قَصِيفُ،
وَلَا يَغِثُ الْحَدِيثُ مَا نَطَقْتَ
وَهُوَ بِفِيهَا ذُو لَذَّةٍ طَرِفُ
تَخْزُنُهُ وَهُوَ مُشْتَهَى حَسَنُ
وَهُوَ إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ أَنْفُ،
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ أَحَاطَ بِهَا الْغَوَاصُ
يَجْلُو عَنْ وَجْهِهَا الصَّدْفُ.

٩ - صورة وصفية

مَعَاقِلُهُمْ آجَامُهُمْ وَنَسَاؤُهُمْ
وَأَيْمَانُنَا بِالْمَشْرِفِيَّةِ، مَغْقِلُ.

١٠ - فروسية

أَمْرٌ عَلَى الْبَاغِي فِيغْلِظُ جَانِبِي
وَذُو الْقَضْدِ أَحْلَوْلِي لَهُ وَالْيَنُ.

١١ - الفقر والغنى

وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ
سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ

فقل لِلْمَتَّقِي عَرَضَ الْمَنَايَا:

تَوَقَّ، وَلَيْسَ يَنْفَعُكَ اتِّقَاءُ

فَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنًى لِحَرِصٍ

وَقَدْ يُنَمَى لَذِي الْعَجْزِ الثَّرَاءُ

غِنًى النَّفْسِ مَا اسْتَغْنَى غِنًى

وَفَقْرَ النَّفْسِ، مَا عُمِرَتْ شَقَاءُ

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ

يَكُونُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا عَنَاءُ

وَلَمْ أَرَ كَامِرِيٍّ يَدْنُو لِخَشْفٍ

لَهُ فِي الْأَرْضِ سَيْرٌ وَأَنْتَوَاءُ

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءُ

كَدَاءِ الْكَشْحِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ.

هَجَاءُ زَوْجَةٍ

ذَهَبْتُ إِلَى الشَّيْطَانِ أَخْطَبُ بِنْتَهُ
فَأَوْقَعَهَا مِنْ شَقْوَتِي فِي حِبَالِيَا
فَأَنْقَذَنِي مِنْهَا حِمَارِي وَجُبَّتِي
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جُبَّتِي وَحِمَارِيَا.

... وَعِزُّي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً
وَبَطْنِي أَطْوَاهِ كَطَيِّ رَدَائِيَا.

حلق شعر امرأته فشكته إلى الوالي فاعتقله وجلده، وكان له حمار وجبة
فقدمهما له، فأطلق سراحه. مات في الربع الأول من القرن السابع الميلادي.

عمرو بن قنْعاس المراديّ

استباق الموت

... وكنْتُ إذا أرى زِقْأً مريضاً

يُنَاح على جِنازَتِه بكِيْثُ،

وغصنٍ ليسَ من شَجَرٍ رطِيبٍ

هَصرْتُ إليّ منه، فاجتَنيْتُ

وماءٍ ليسَ من عِدٍّ رَواءٍ

ولا ماء السَّماءِ، قد استَقِيْتُ

ولحمٍ لم يذَقه النَّاسُ قبلي

أكلْتُ على خَلاءٍ وانتَقِيْتُ

ونارٍ أوقِدتَ من غيرِ زُئِدٍ

أثَرْتُ جَحيماً ثم اصطَلِيتُ،

... مَتى ما يَأْتِني أَجَلِي يَجِدُنِي

شَبَعْتُ من اللَّذازَةِ واشتَفَيْتُ.

ذكره المرزباني في معجمه باسم عمرو بن قعاس (بحذف النون) المرادي وقال إنه جاهلي.

الرَّبِيعُ بْنُ ضُبُعٍ الْفَزَارِيُّ

مرثية الشباب

فَارَقْنَا قَبْلَ أَنْ نُفَارِقَهُ
لَمَّا قَضَى مِنْ جَمَاعِنَا وَطَرًا،
أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا
أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذُّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ
وَحْدِي، وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالْمَطَرَا.

من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٢٥م.

أُمِّيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِي

١ - صورة وصفية

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمَّ قَدْ كَفَانِي

حِياؤُكَ؟ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحِياءُ

كَرِيمٌ، لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ

عَنِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ وَلَا مَسَاءٌ.

فَأَرْضُكَ، كُلَّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا

بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءٌ.

٢ - سفينة نوح

... بِمَا حَمَلْتَ سَفِينَتَهُ، وَأَنْجَتْ

غَدَاةَ أَتَاهُمُ الْمَوْتُ الْقُلَابُ

عَشِيَّةَ أَرْسَلَ الطُّوفَانُ، تَجْرِي

وَفَاضَ الْمَاءُ - لَيْسَ لَهُ جِرَابُ،

يروى أنه كان «يطمع بالنبوة»، وأنه لما بلغه ظهور النبي «اغتاظ وتأسف» قال وهو يموت: «أعلم أن الحنيفية حق، ولكن الشك يداخلني في محمد». مات نحو ٦٢٨ م = ٥٥ هـ.

على أمواج أخضر ذي حبيك
كأنَّ سُعارَ زاخره الهِضابُ
وأُرسِلت الحَمَامَةُ بعد سَبْعِ
تَدَلُّ على المهالكِ، لا تهابُ
... وأَغْلَاقُ الكواكبِ مُرسَلاتُ
تَرَدَّدُ، والريِّاحُ لها رِكابُ.

٣ - الشمس

والشَّمْسُ تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ
حَمَرَاءَ، مَطْلَعُ لَوْنِهَا مَتَوَرِّدُ
تَأْبَى، فلا تبدو لنا في رِسْلِهَا
إِلَّا مُعَذِّبَةً، وَإِلَّا تُجَلِّدُ.

٤ - الأرض

هِيَ الْقَرَارُ، فَمَا نَبْغِي لَهَا بَدَلًا
مَا أَرْحَمَ الْأَرْضَ، إِلَّا أَنَّا كُفْرُ.

٥ - عصفير

فَإِنْ تَسْأَلِينَا: كَيْفَ نَحْنُ؟ فَإِنَّا
عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمَسْحَرِ.

... فلا هي هَمَّتْ بِالنِّكَاحِ وَلَا دَنَتْ

إِلَى بَشَرٍ مِنْهَا بِفَرْجٍ وَلَا فَمٍ -
وقالت له: أَنَّى يَكُونُ، وَلَمْ أَكُنْ

بَغِيًّا، وَلَا حُبْلَى وَلَا ذَاتَ قِيَمٍ؟
وقال لها مَنْ حَوْلُهَا: جِئْتَ مُنْكَرًا

فَحَقُّ بِأَنْ تُلْحَى عَلَيْهِ وَتُرْجَمِي
فَأَدْرَكَهَا مِنْ رَبِّهَا ثُمَّ رَحِمَهُ

بِصَدَقِ حَدِيثٍ مِنْ نَبِيِّ مُكَلَّمٍ -
فقال لها: إِنِّي مِنَ اللَّهِ آيَةٌ

وَعَلَّمَنِي، وَاللَّهُ خَيْرُ مُعَلِّمٍ
وَأُرْسِلْتُ - لَمْ أُرْسَلْ غَوِيًّا وَلَمْ أَكُنْ

شَقِيًّا، وَلَمْ أُبْعَثْ بِفَحْشٍ وَمَائِمٍ.

٧ - إبراهيم

- «يَا بُنَيَّ إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلَّهِ شَحِيطًا،

فَاصْبِرْ، فِدَى لَكَ حَالِي»

فأجاب الغلامُ أَنْ قَالَ فِيهِ:

«كُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ غَيْرُ انْتِحَالٍ

أَبْتِي، إِنِّي جَزِيْتُكَ بِاللَّهِ
تَقِيًّا بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ
فَاقْضِ مَا قَدْ نَذَرْتَ لِلَّهِ وَاكْخُفْ
عَنْ دَمِي أَنْ يَمَسَّهُ سِرْبَالِي
وَأَشْدِّ الصَّفْدَ، لَا أَحِيدُ عَنِ السَّكِينِ
حَيْنَ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ
- «إِنِّي أَلَمُ الْمَحَزِّ وَإِنِّي
لَا أَمْسُ الْأَذْقَانَ ذَاتِ السُّبَالِ».
وَلَهُ مُدِيَّةٌ تَخَايَلُ فِي اللَّحْمِ
هَذَا، حَنِيَّةٌ كَالْهَلَالِ
بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَابِيلَ عَنْهُ
فَكَهْ رَبُّهُ بِكِبْشٍ جُلَالِ
قَالَ: «خُذْهُ، وَأَرْسِلْ ابْنَكَ، إِنِّي
لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتَمَا غَيْرُ قَالَ».
وَالِدٌ يَتَّقِي وَآخِرُ مَوْلُودٍ
فَطَارَا مِنْهُ بِسَمْعٍ مَقَالِ
رَبِّمَا تَجَزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ
لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ.

١ - الحب والسفر

... فَلَيْنَ شَطَّ بِي الْمَزَارُ لَقَدْ

أَغْدُو قَلِيلَ الْهَمومِ، نَاعِمَ بَالِ

إِذْ هِيَ الْهَمُّ وَالْحَدِيثُ، وَإِذْ تَعْصِي

إِلَيَّ الْأَمِيرَ ذَا الْأَقْوَالِ -

فَاذْهَبِي مَا إِلَيْكَ أَدْرَكْنِي الْحَلَمُ،

عَدَانِي عَنْ ذَكَرْكُمْ أَشْغَالِي

... فَوْقَ دِيمومَةٍ تَغْوُلُ بِالسَّفْرِ،

قَفَارٍ إِلَّا مِنْ الْأَجَالِ.

٢ - الآخرون

سَأَوْصِي بِصِيراً إِنْ دَنُوتُ مِنَ الْبَلَى

وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الْأُمُورَ وَجَرَّبَا

اسمه ميمون. نشأ راوية لخاله المسيب بن علس. طاف أنحاء الجزيرة العربية، مادحاً الملوك والأشراف. مات حوالي ٦٢٩م = ٧هـ.

بِأَنْ لَا تَبَغَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ

وَلَا تَنَأَ عَنْ ذِي بَغْضَةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

فَإِنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقَرَّبُ نَفْسَهُ

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ لَا مَنْ تَنْسَبَا

...

وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ

أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضِبَا

أَرَى رَجُلًا مِنْكُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا

يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخْضِبَا

وَمَا عِنْدَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَلَا لَهُ

مِنَ الرِّيحِ فَضْلٌ لَا الْجَنُوبُ وَلَا الصَّبَا

وَإِنِّي وَمَا كَلَفْتُمُونِي وَرَبِّكُمْ

لَيَعْلَمُ مِنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَخْرَبَا

لَكَالْثَّورِ، وَالْجِنِّيُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ

وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتْ(*) الْمَاءُ مَشْرِبَا

...

(*) الضمير عائد إلى قطيع البقر الذي يقوده الثور.

وَمَنْ يُطْعِ الْوَاشِينَ لَا يَتْرَكُوا لَهُ
صَدِيقاً وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّباً

...

عَلَوْتَكُمْ وَالشَّيْبَ لَمْ يَغْلُ مَفْرِقِي
وَهَادَيْتُمُونِي الشَّعْرَ كَهلاً مُجَرَّباً.

٣ - خِطَّة

... فَظَلَلْتُ أَرْعَاهَا، وَظَلَّ يَحُوطُهَا
حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ
فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا، وَطَحَّالَهَا
حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلاً
فَخَلَّتْ لِسَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا.

٤ - الْحَبِيبَةُ وَالتَّشَرُّدُ

وَدَّعْ هُرَيْرَةً، إِنَّ الرُّكْبَ مَرْتَحِلُ
وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً، أَيُّهَا الرَّجُلُ؟
كَأَنَّ مَشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا
مَرُّ السَّحَابَةِ، لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

يكاد يصرعُها، لولا تشدُّدها
 إذا تقومُ إلى جاراتِها، الكسلُ.
 ما روضةٌ من رياضِ الحزنِ معشبةٌ
 خضراءُ، جادَ عليها مُسبِلٌ هَطلُ
 يضاحكُ الشَّمسُ منها كوكبٌ شَرِقُ
 مُؤَزَّرٌ بعميمِ النَّبتِ مُكتَهِلُ
 يوماً، بأطيبِ منها نَشْرَ رائحةٍ
 ولا بأحسنَ منها، إذ دنا الأُصلُ.
 غُلَّقْتُها عَرَضاً وَعُلِّقْتُ رجلاً
 غيري، وعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَّجُلُ
 وَعُلِّقَتْهُ فتاةٌ ما يُحاولُها
 مِن أهلها مَيِّتٌ يَهْذِي بها وَهْلُ
 ... فكلنا مُغْرَمٌ يَهْذِي بصاحبهِ
 ناءٍ ودانٍ ومخبولٌ ومُخْتَبِلُ.
 قالت هريرةٌ لَمَّا جِئْتُ زائِرها
 ويلي عليكِ وويلي منك يا رجلُ
 يا من يرى عارِضاً قَدْ بَتُّ أَرْقبُهُ
 كأنما البرقُ في حافاتِهِ الشُّعْلُ

لَمْ يُلْهِنِي اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرْقَبُهُ
وَلَا اللَّذَاذَةُ مِنْ كَأْسٍ وَلَا الْكَسَلُ.

... وَبِلَدَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ التَّرْسِ مُوَحِّشَةٍ
لِلْجَنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ
جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحِ جَسْرَةٍ سُوحِ
فِي مِرْفَقِيهَا، إِذَا اسْتَعْرَضْتُهَا، فَتَلُ
وَقَدْ أَقَوْدُ الصَّبَا يَوْمًا فَيَتْبَعُنِي
وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَّةِ الْغَزَلُ
... فِي فِتْيَةِ كَسِيفِ الْهَنْدِ قَدْ عَلِمُوا

أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحِيلُ
نَازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مُتَّكَأً
وَقَهْوَةٌ مُزَّةٌ رَاوَوْفُهَا خَضِلُ
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا، وَهِيَ رَاهِنَةٌ،
إِلَّا بِهَاتِ، وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ نَهَلُوا.

... لِأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بَنَا
وَشُبَّتِ الْحَرْبُ بِالطُّوَّافِ وَاحْتَمَلُوا،
كِنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا
فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ.

... قالوا: الرُّكُوبَ، فقلنا تلك عادتنا
أو تنزلون، فإنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ.

٥ - الهجران

... فَبَانَتْ، وفي الصَّدرِ صَدْعٌ لها
كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ - مَا يَلْتَمِمْ.

٦ - مؤامرة

أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشَّمُولِ لَيْلًا،
فَقُلْتُ لَهُ: غَادِهَا
فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا
إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا
فَقُلْنَا لَهُ: هَذِهِ هَاتِهَا
بِأَذْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُفْتَادِهَا
فَقَالَ تَزِيدُونَنِي تِسْعَةً
وَلَيْسَتْ بِعَذْلِ لَأَنْدَادِهَا
فَقُلْتُ لِمِنْصَفِنَا أَعْطِهِ
فَلَمَّا رَأَى حَضَرَ شُهَادِهَا
فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً
تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا

كُمَيْتًا تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةِ

إِذَا صَرَّحْتَ بَعْدَ إِزْبَادِهَا،

فَجَالَ عَلَيْنَا بِإِيقِهِ

مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرْصَادِهَا

... فَرُحْنَا تُنْعَمُنَا نَشْوَةً

تَجَوَّرُ بِنَا بَعْدَ إِقْصَادِهَا.

٧ - خيل ورماح

... عَلَى جُرْدٍ مَسْوَمَةٍ

عَوَابِسَ تَعْلُكَ اللَّجُمَا

تَخَالُ ذَوَابِلَ الْخَطِّ فِي

حَافَاتِهَا، أَجَمَا.

٨ - الآخر

... فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئًا يَرَاهُ

وَلَيْسَ بِسَامِعٍ مَنِّي حَوَارِي.

٩ - رجاء

إِنْ كُنْتَ لَا تَشْفِينُ غُلَّةَ عَاشِقٍ

صَبٌّ يُحِبُّكَ، يَا جُبَيْرُهُ، صَادِي

فَأَنْهِيَ خَيَالِكَ أَنْ يَزُورَ فَإِنَّهُ
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وَسَادِي .

١٠ - امرأة

... وَقَدْ أَرَاهَا بَيْنَ أَتْرَابِهَا
فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
كَدُمِيَّةٍ صُورَ مُحْرَابُهَا
بِمُذْهَبٍ فِي مَرْمَرٍ مَائِرِ
عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُزِلَتْ
هَيْفَاءَ مِثْلِ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ
قَدْ نَهَدَ التُّدِي عَلَى صَدْرِهَا
فِي مُشْرِقٍ ذِي صَبَحٍ نَائِرِ
لَوْ أَسْنَدْتُ مِيتًا إِلَى نَحْرِهَا
عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا
يَا عَجَبًا لِلْمِيَّتِ النَّاشِرِ .

١١ - صورة وصفية

تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بَطُونُكُمْ
وَجَارَاتُكُمْ غَرَثَى يَبِثْنَ خُمَائِصَا

يُرَاقِبْنَ مِنْ جَوْعٍ خِلَالَ مَخَافَةٍ
نَجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاحِصَا.

١٢ - امرأة

تُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ	حُسْنٍ تُخَالِطُهُ غَرَارَهُ
بِيضَاءَ ضُحُوتِهَا وَصَفْرَاءُ	العَشِيَّةِ كَالْعَرَارَهُ
وَسَبْتُكَ، حِينَ تَبَسَّمتْ	بَيْنَ الْأَرِيكِةِ وَالسُّتَارَهُ
بِقَوَامِهَا الْحَسَنِ الَّذِي	جَمَعَ الْمَدَادَةَ وَالْجَهَارَهُ
وَبجِيدِ مُغْزَلَةٍ إِلَى	وَجْهِ تَزْيِينُهُ النَّضَارَهُ
وَمَهَاءَ تَرْفٍ غُرُوبُهُ	يَشْفِي الْمَتِيَّ ذَا الْحَرَارَهُ
وَعُدَائِرٍ سَوْدٍ عَلَى	كَفَلٍ تَزْيِينُهُ الْوُثَارَهُ،
وَإِذَا تُنَازَعَكَ الْحَدِيثَ ثَنَّتْ	وَفِي النَّفْسِ ازْوَارَهُ.

١٣ - الجنِّي

حَبَانِي أَخِي الْجِنِّيُّ، نَفْسِي فِدَاؤُهُ
بَأَفِيحِ جَيَّاشِ الْعَشِيَّاتِ خَضْرِمِ
وَقَالَ: أَلَا فَائِزٌ عَلَى الْمَجْدِ سَابِقاً
لَكَ الْخَيْرُ قَلْدٌ، إِذْ سَبَقْتَ، وَأَنْعِمِ.

وكأسٍ كعين الدِّيكِ باكرتُ حَدَّها

بفتيانِ صدقٍ والنَّواقيسُ تُضربُ

سُلافٍ، كأنَّ الزَّعفرانَ وعَندماً

يُصفَّقُ في ناجودِها، ثمَّ تُقَطَّبُ

لها أَرَجٌ في البيتِ عالٍ كأنَّما

أَلَمَ بِهِ من تَجَرٍ دارينَ أَرَكُبُ.

١٥ - أَرَق

أَرِقْتُ، وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ؟

وما بِي من سُقْمٍ، وما بِي مَعَشَقُ

...

وقد أَقَطَعُ اليَوْمَ الطَّويلَ بِفَثِيَةٍ

مَساميحَ تُسْقَى، والخِباءُ مُروِّقُ

وَرادعةٍ بالمسكِ صفراءَ عندنا

لِجَسِّ النَّدامى في يد الدَّرعِ مَفْتَقُ

إذا قلت: غَنِّي الشَّرْبَ، قامتِ بِمِزهِرٍ

يكادُ، إذا دارت له الكَفُّ، ينطقُ.

...

وَحَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ
إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقُّرُقُ
هِيَ الصَّاحِبُ الْأَدْنَى وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا
مَجُوفٌ عِلَافِيٌّ وَقِطْعٌ وَنُمْرُقُ
وَتُصْبِحُ مِنْ غَبِّ السَّرَى وَكَأَنَّمَا
أَلَمَ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجَنِّ أَوْلَقُ

...

وَإِنَّ أَمْرًا أَسْرَى إِلَيْكَ، وَدُونَهُ
فِيَا فِ تَنُوفَاتٌ وَبِيدَاءُ خَيْفَقُ
لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ
وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ

...

جِمَاعُ الْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التَّقَى
وَتَرَكُ الْهَوَى فِي الْغَيِّ أَنْجَى وَأَوْفَقُ
إِذَا حَاجَةٌ وَلَّتْكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا
فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ
فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمَهَا
وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى فِي الْمَسِيرِ وَالْحَقُّ

أَتَزْعَمُ لِلْأَكْفَاءِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ
وَتَخْتَالُ، إِذْ جَارُ ابْنِ عَمِّكَ مُرْهَقٌ؟

١٦ - صورة وصفية

وَهُمْ مَا هُمْ، إِذَا عَزَّتِ الْخَمْرُ
وَقَامَتْ زِقَاقُهُمْ وَالْحِقَاقُ
الْمُهِنِينَ مَا لَهُمْ لَزْمَانِ السُّوءِ،
حَتَّى إِذَا أَفَاقَ، أَفَاقُوا -
لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرِبَةُ الْكَاسِ
وَلَا اللَّهْوُ بَيْنَهُمُ وَالسَّبَاقُ.

١٦ - الجنِّي

... وَأَخَوْنَ غَفْلَةً قَوْمِهَا	يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا
حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى	أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا،
فَبَعَثْتُ جَنِّيًّا لَنَا	يَأْتِي بِرَجْعِ جَوَابِهَا
فَمَشَى، وَلَمْ يَخْشَ الْأَنْيَسَ،	فَزَارَهَا وَخَلَا بِهَا،
... صَنَعَ بَلِينِ حَدِيثِهَا	فَدَنْتُ عُرَى أَسْبَابِهَا
فَدَخَلْتُ، إِذْ نَامَ الرَّقِيبُ،	فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا.

إذا ما علاها فارسٌ مُتَبَذِّلٌ
فنعَمَ فراشِ الفارسِ المتبذِّلِ.

١٩ - تعب الحب

لا شيءَ ينفعني من دون رؤيتِها:
هل يشتفي وامقٌ، ما لم يُصَبَّ رَهَقًا؟

٢٠ - الداء الدواء

وكأسٍ شربتُ على لَذَّةٍ	وأخرى تداويتُ منها بها
لكي يعلمَ الناسُ أنني امرؤٌ	أتيتُ المعيشةَ من بابها
وشاهدنا الوردُ والياسمينُ	والمُسَمِّعاتُ بِقُصَّابِها
مَضَى لي ثمانونَ من مولدي	كذلك تفصيلُ حُسابِها
فأصبحتُ ودَّعتُ لهوَ الشَّبابِ،	والخندريسَ لأصحابِها.

جِرَانُ الْعَوْدِ النَّمِيرِيِّ

١ - الضَّرَّتَانِ

لقد كان لي عن ضَرَّتَيْنِ - عَدِمْتُني -
وعَمَّا أَلَاقي مِنْهُمَا مُتَزَحِّزُ
هُمَا الْغُولُ وَالسَّعْلَةُ، حَلَقِي مِنْهُمَا
مُخَدَّشٌ مَا بَيْنَ التَّرَاقِي مُجَرَّحُ،
لقد عَالَجْتَنِي بِالنِّصَاءِ(*)، وَبَيْتُهَا
جَدِيدٌ، وَمِنْ أَثَوَابِهَا الْمِسْكُ يَنْفَحُ
إِذَا مَا انْتَصَيْنَا فَاَنْتَزَعْتُ خِمَارَهَا
بَدَا كَاهِلٌ نَهْدٌ وَرَأْسٌ صَمَحَمَحُ(**)
تُدَاوِرْنِي فِي الْبَيْتِ حَتَّى تُكَبِّبَنِي
وَعَيْنِي مِنْ نَحْوِ الْهَرَاوَةِ تَلْمَحُ

قيل اسمه المستورد، وقيل عامر. يُقال إنه سمع القرآن واقتبس منه
كلمات وردت في شعره. وهكذا يرجح أنه مات نحو ٦٣٠ م = ٥٨ هـ.
(*) النِّصَاءُ: الْأَخْذُ بِالنَّاصِيَةِ.
(**) الصَّمَحَمَحُ: الْأَصْلَعُ.

وقد عَلَّمْتَنِي الْوَقْدَ(*) ثُمَّ تَجَرَّنِي
إِلَى الْمَاءِ، مَغْشِيًّا عَلَيَّ، أُرْنَحُ
أَقُولُ لِنَفْسِي: أَيْنَ كُنْتَ؟ وَقَدْ أَرَى
رِجَالًا قِيَامًا، وَالنِّسَاءَ تُسَبِّحُ...
خُذَا نِصْفَ مَالِي، وَاتْرُكَا لِي نِصْفَهُ
وَبَيْنَا بِذَمٍّ، فَالْتَعَزُّبُ أَرْوَحُ.

أَقُولُ لِأَصْحَابِي - أُسِرَّ إِلَيْهِمْ:
لِي الْوَيْلُ! إِنْ لَمْ تَجْمَحَا(**)، كَيْفَ أَجْمَحُ؟
أَتْرَكُ صَبِيَانِي وَأَهْلِي وَأَبْتَغِي
مَعَاشًا سَوَاهِمَ، أَمْ أَقِرُّ فَأَذْبَحُ؟
أَلَا قِي الْخَنَا وَالْبَرْحَ مِنْ أُمِّ حَازِمٍ
وَمَا كُنْتَ أَلْقَى مِنْ رُزَيْنَةَ أَبْرَحَ
تُصَبِّرُ(***) عَيْنِيهَا، وَتَعْصِبُ رَأْسَهَا
وَتَغْدُو غَدَوَ الذُّئْبِ، وَالْبَوْمُ يَضْبَحُ

(*) الْوَقْدُ: الضَّرْبُ حَتَّى الْإِشْرَافِ عَلَى الْمَوْتِ.

(**) إِنْ لَمْ تَجْمَحَا، إِنْ لَمْ تَهْرَبَا - أَيِ زَوْجَتَاهِ الضَّرَتَانِ.

(***) تُصَبِّرُ عَيْنِيهَا: تَجْعَلُ حَوْلَهُمَا صَبْغًا.

تَرَى رَأْسَهَا فِي كُلِّ مَبْدَى وَمَحْضَرٍ
شَعَالِيلَ، لَمْ يُمَشِّطْ وَلَا هُوَ يُسْرَحُ
وإن سَرَّحْتَهُ كَانَ مِثْلَ عَقَابٍ
تَشْوُلُ بِأَذْنَابٍ قِصَارٍ وَتَرْمَحُ
تَخْطِي إِلَيَّ الْحَاجِزِينَ مُدْلَّةً
يَكَادُ الْحَصَى مِنْ وَطْئِهَا يَتَرَضَّحُ (*)
لَهَا مِثْلُ أَظْفَارِ الْعُقَابِ وَمَنْسَمٍ
أَزْجُ كَظُنْبُوبٍ (**) النَّعَامَةُ أَرْوَحُ
إِذَا انْفَلَتَتْ مِنْ حَاجِزٍ لَحِقَتْ بِهِ
وَجِبْهَتُهَا مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ تَرَشَّحُ.
وَلَمَّا التَّقِينَا غُدُوَّةً طَالَ بَيْنُنَا
سَبَابٌ وَقَذْفٌ بِالْحَجَارَةِ مِطْرَحُ (***)
أَتَانَا ابْنُ رَوْحٍ يَبْتَغِي اللَّهْوَ عِنْدَنَا
فَكَادَ ابْنُ رَوْحٍ بَيْنَ ثَوْبِيهِ يَسْلَحُ.

(*) يترضح ۝ يتكسر.

(**) أزج: مقوس. الظنبوب: حرف عظم الساق.

(***) مطرح، مبعث.

فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَيْنَ أَفْنَانُ سِدْرَةٍ

عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى اللَّيْلِ يَنْطَفُ

أَرَاقِبُ لَوْحاً مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ

إِذَا مَا بَدَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرِفُ،

بَدَا لَجْرَانِ الْعَوْدِ وَالْبَحْرِ دُونَهُ

وَذُو حَدَبٍ مِنْ سَرُو حِمِيرٍ مُشْرِفُ.

فَلَا وَجَدَ إِلَّا مِثْلَ يَوْمِ تَلَاخَقْتَ

بَنَا الْعَيْسُ، وَالْحَادِي يَشُلُّ وَيَعْنُفُ

فَمَا لَحِقْتُنَا الْعَيْسُ حَتَّى تَنَاضَلَتْ

بِنَا، وَقَلَانَا الْآخِرُ الْمَتَخَلَّفُ

حُمِدْتَ لَنَا حَتَّى تَمْنَاكَ بَعْضُنَا

وَأَنْتَ أَمْرٌ يُغْرُوكَ حَمْدٌ فَتُغْرِفُ

رَفِيعُ الْعُلَى فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ

وَقَوْلُكَ ذَاكَ الْآبِدُ الْمَتَلَقَّفُ،

وَفِيكَ، إِذَا لَاقَيْتَنَا، عَجْرَفِيَّةٌ

مَرَاراً، وَمَا نَسْطِيعُ مَنْ يَتَعَجَّرُ

تَمِيلُ بِكَ الدُّنْيَا وَيَغْلِبُكَ الْهَوَى
كَمَا مَالَ خَوَّارُ النَّقَا الْمُتَقَصِّفُ
وَنُلْقَى كَأَنَّا مَغْنَمٌ قَدْ حَوِيَتْهُ
وَتَرَعَبُ عَنْ جَزْلِ الْعَطَاءِ وَتُسْرِفُ
فَمَوْعِدَكَ الشُّطَّ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِنَا
وَأَهْلِكَ، حَتَّى تَسْمَعَ الدَّيْكَ يَهْتَفُ
وَتَكْفِيكَ آثَاراً لَنَا حَيْثُ نَلْتَقِي
ذِيوْلُ نُعَفِّئُهَا بِهِنَّ وَمَطْرَفُ
فَنُصْبِحُ لَمْ يُشْعَرْ بِنَا، غَيْرَ أَنَّا
عَلَى كُلِّ ظَنٍّ يَحْلِفُونَ وَنَحْلِفُ.

فَلَمَّا هَبَطْنَ السَّهْلَ، وَاخْتَلَنَ حِيلَةً
وَمَنْ حِيلَةَ الْإِنْسَانِ مَا يَتَخَوَّفُ
حَمَلْنَ جِرَانَ الْعَوْدِ حَتَّى وَضَعْنَهُ
بَعْلِيَاءَ فِي أَرْجَائِهَا الْجِنَّ تَعْرِفُ،
فَلَمَّا التَّقِينَا، قَلْنَ أَمْسَى مُسَلَّطاً
فَلَا يَسْرِفَنَّ الزَّائِرُ الْمُتَلَطِّفُ
وَقَلْنَ: تَمَتَّعْ لَيْلَةَ الْيَأْسِ هَذِهِ
فَإِنَّكَ مَرْجُومٌ غَدًا أَوْ مُسَيِّفُ

وَأَحْرَزْنَ مِنِّي كُلَّ حُجْزَةٍ مِّنْزِرٍ
 لَهُنَّ، وَطَاحَ النَّوْفَلِيُّ الْمَزْخَرَفُ
 فَبِثْنَا قُعوداً وَالْقَلُوبُ كَأَنَّهَا
 قَطْأً شُرْعُ الْأَشْرَاكِ مِمَّا تَخَوَّفُ
 عَلَيْنَا النَّدى طَوْرًا، وَطَوْرًا يَرْشُنَا
 رَدَاذُ سَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَوْطَفُ
 وَمَا أَبْنَحَتْ حَتَّى قُلْنَ: يَا لَيْتَ أَنَّنَا
 تُرَابٌ، وَلَيْتَ الْأَرْضَ بِالنَّاسِ تُخَسَفُ!

٣ - الحب والموت

كَلَانَا نَسْتَمِيتُ إِذَا التَّقِينَا
 وَأَبْدَى الْحَبِّ خَافِيَةَ الضَّمِيرِ
 فَتَقْتَلَنِي وَأَقْتَلْهَا وَنَحْيَا
 وَنَخْلِطُ مَا نُمُوتُ بِالنَّشُورِ.

٤ - الحب الهارب

أَلَا لَيْتَنَا، مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُصِيبُنَا
 بِتَهْلُكَ - لَا عَيْنٌ تُحِسُّ وَلَا ذِكْرُ
 أَلَا لَيْتَنَا طَارَتْ عَقَابُ بِنَا مَعَا
 لَهَا سَبَبٌ عِنْدَ الْمَجْرَّةِ، أَوْ وَكُرُ.

٥ - الصَّابَةِ وَاللَّيْلِ

يَكَادُ الْقَلْبُ، مِنْ طَرَبٍ إِلَيْهَا
وَمِنْ طَوْلِ الصَّابَةِ يُسْتَطَارُ
يَظَلُّ مَجْتَبَ الْكَنْفَيْنِ، يَهْفُو
هُفْوً الصَّقَرِ أَمْسَكُهُ الْإِسَارُ.

تَرَدُّ بِفَثْرَةٍ عَضْدِيكَ عَنْهَا
إِذَا اعْتُنِقَتْ وَمَالَ بِهَا انْهْصَارُ
يَكَادُ الزَّوْجُ يَشْرِبُهَا إِذَا مَا
تَلَقَّاهَا بِنَشْوَتِهَا انْبِهَارُ
شَمِيمًا تُنْشِرُ الْأَحْشَاءُ مِنْهُ
وَحَبًّا لَا يُبَاغُ وَلَا يُعَارُ.
إِذَا نَادَى الْمَنَادِي، بَاتَ يَبْكِي
حِذَارَ الصُّبْحِ، لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ
وَوَدَّ اللَّيْلَ زَيْدَ عَلَيْهِ لَيْلٌ
وَلَمْ يُخْلَقْ لَهُ أَبَدًا نَهَارُ.

١ - غواية الحرب

... أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى

فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

فلَمَّا عَصَوْنِي كُنتَ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَرَى

غَوَايَتَهُمْ، وَأَنْنِي غَيْرُ مُهْتَدٍ

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ، إِنْ غَوَتْ

غَوَيْتَ، وَإِنْ تَرُشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرُشَّدِ.

... دعاني أخي، والخيَلُ بيني وبينه،

فلَمَّا دعاني لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدٍ،

أَخِي، أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ بِلَبَانِهَا

بِثَدْيِي صَفَاءً بَيْنَنَا لَمْ يُجَدِّدْ

يروى أنه كان أكثر الشعراء الفرسان غزواً وأبعدهم أثراً. غزا نحو مئة غزوة ما أخفق في واحدة منها. هو ابن أخت عمرو ابن معد يكرب. أدرك الإسلام ولم يسلم. طلب الزواج بالخنساء وهو مسن فرفضته. مات نحو ٦٣٠ م = ٨هـ.

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَّاحُ تَنَوَّشُهُ
كَوْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ .
... تَنَادَوْا ، فَقَالُوا أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارِسًا
فَقُلْتُ : أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدِي ؟
وَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ
فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ
إِذَا هَبَطَ الْأَرْضَ الْفَضَاءُ تَزَيَّنَتْ
لِرُؤْيَيْهِ كَالْمَأْتَمِ الْمَتَبَدِّدِ .

... صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ
فَلَمَّا عَلَاهُ ، قَالَ لِلْبَاطِلِ : ابْعُدْ
وَطَيِّبْ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقْلُ لَهُ
كَذِبَتْ ، وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي .

٢ - تَقْسِيمُ الدَّهْرِ

أَبَى الْقَتْلُ إِلَّا آلَ صِمَّةَ أَنَّهُمْ
أَبَوْا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِي إِلَى الْقَدْرِ
... فَإِمَّا تَرَيْنَا ، مَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا
لَدَى وَاتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ

فَإِنَّا لِلَّحْمِ السَّيْفِ، غَيْرَ نَكِيرَةٍ
وَنُلَحِّمُهُ حِينًا، وَلَيْسَ بَذِي نُكْرٍ،
يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتْرِينَ فَيُشْتَفَى
بِنَا، إِنْ أَصْبُنَا، أَوْ نُغِيرَ عَلَى وَثِرِ
قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا
فَمَا يَنْقُضِي إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ.

٣ - صحو

يَا نَدِيمِي اسْقِيَانِي خَمْرَةً
وَدَعَانِي أَبْصِرَ الشَّيْئَيْنِ شَيًّا
بَيْنَ رَوْضٍ، وَنَبَاتٍ عَرَفُهُ
طَيِّبٌ أَهْدَى لَنَا مِسْكَاً زَكِيًّا
فَفؤَادِي قَدْ صَحَا مِنْ سُكْرِهِ
وَاشْتَفَى الدَّاءَ الَّذِي كَانَ دَوِيًّا.

٤ - انتصار على الدهر

... وَلِي جَنَانٌ شَدِيدٌ لَوْ لَقِيتُ بِهِ
حَوَادِثَ الدَّهْرِ، مَا جَارَتْ عَلَى بَشَرِ
عُمْرِي مَعَ الدَّهْرِ مَوْصُولٌ بِآخِرِهِ
وَإِنَّمَا فَضْلُهُ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

...

خُلِقْتُ للحرب أُحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ
وَأَجْتَنِي مِنْ جَنَاها يانَع الثَّمَرِ
وَالنَّاسُ صِنْفَانِ: هَذَا قَلْبُهُ خَزَفٌ
عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَهَذَا قُدٌّ مِنْ حَجَرٍ.

٥ - عصافير

إِذَا غَلَبْتُمْ صَدِيقاً تَبْطِشُونَ بِهِ
كَمَا تَهْدَمُ فِي الْمَاءِ الْجَمَاهِيرُ^(*)

...

كَأَنَّ وَلَدَانَهُم لَمَّا اخْتَلَطْنَ بِهِمْ
تَحْتَ الْعِجَاجَةِ بِالْأَيْدِي عَصَافِيرُ.

٦ - شيخوخة

... كَأَنَّنِي خَرِبٌ قُصِّتَ قَوَادِمُهُ
أَوْ جَثَّةٌ مِنْ بُغَاثٍ فِي يَدَيَّ خَصِرِ
يُمَضُّونَ أَمْرَهُمْ دُونِي وَمَا فَقَدُوا
مِنِّي عَزِيمَةً أَمْرٍ، مَا خَلَا كِبَرِي.

(*) الجماهير: جمع جمهور: الرَّمْلُ الكثير المتراكم.

... وتزعم أنني شيخ كبير

وما نبأتها أنني ابن أمس

وما قصرت يدي عن عظم أمر

أهمُّ به، ولا سَهْمِي بِنِكْسِ

...

فلا تلدي، ولا ينكحك مثلي

إذا ما ليلة طرقت بنحس.

(*) هي الخنساء الشاعرة.

المُزَرَّد بن ضَرَّار الغطفاني

فروسية

... خَرُوجُ أَضَامِيمٍ، وَأَحْصَنُ مَعْقِلٍ
إِذَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا الْجِيَادَ مَعَاقِلُ
يُرى طَامِحَ الْعَيْنِينَ، يَرْنُو كَأَنَّهُ
مُؤَانِسُ دُغْرِ، فَهُوَ بِالْأُذُنِ خَاتِلُ،
وَجَوَّبُ(**) يُرى كَالشَّمْسِ فِي طَخِيَةِ الدُّجَى
وَأَبْيَضُ مَاضٍ فِي الضَّرِيبةِ قَاصِلُ(***)
سُلَافٌ حَدِيدٌ مَا يَزَالُ حَسَامُهُ
ذَلِيقاً، وَقَدَّتْهُ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ

اسمه يزيد. من الشعراء الفرسان. أخو الشماخ. كان هجاء أقسم لا ينزل به ضيف إلا هجاء، ولا يتنكب بيته إلا هجاء أيضاً. مات نحو ٦٣١ م = ١٠هـ.

(*) الأضاميم: جماعات الخيل.

(**) الجوب: الترس.

(***) القاصل، القاطع.

وَأَمْلَسُ هِنْدِيَّ مَتَى يَعْلُ حُدُّهُ

عُرَى الْبَيْضِ، لَا تَسْلَمُ عَلَيْهِ الْكَوَاهِلُ

إِذَا مَا عَدَا الْعَادِي بِهِ نَحْوَ قِرْنِهِ

وَقَدْ سَامَهُ قَوْلًا: فَدْتُكَ الْمَنَاصِلُ

أَلَسْتَ نَقِيًّا، مَا تَلِيْقُ بِكَ الذَّرَى

وَلَا أَنْتَ، إِنْ طَالَتْ بِكَ الْكَفُّ، نَاكِلُ

حُسَامٌ خَفِيُّ الْجَرَسِ عِنْدَ اسْتِلَالِهِ

صَفِيحَتُهُ مِمَّا تَنْقَى الصِّيَاقِلُ،

وَمُطَرِدٌ(*) لَذْنُ الْكُعُوبِ كَأَنَّمَا

تَغَشَّاهُ مُنْبَاعٌ(**) مِنَ الزَّيْتِ سَائِلُ

لَهُ فَارِطٌ مَاضِي الْغِرَارِ(***) كَأَنَّهُ

هَلَالٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ نَاجِلُ،

... عَلَى حِينِ أَنْ جُرِّبْتُ وَاشْتَدَّ جَانِبِي

وَأُنْبِخَ مَنِّي رَهْبَةً مِّنْ أُنَاضِلُ

(*) المطرد: اللين ويقصد الرمح.

(**) المنباع: السائل.

(***) الفارط: السنان. الغرار: الحد.

وجاوزتُ رأسَ الأربعين فأصبحت
قَنَاتِي، لا يُلفى لها الدَّهرُ عادِلُ،

زَعِيمٌ لِمَن قاذفُته بأوابِدِ
يُغْنِي بها السَّاري وتُحدِي الرَّواحِلُ
تُكْرُ، فلا تزدادُ إلاَّ اسْتِنارةً
إذا رازتِ الشَّعْرَ الشَّفاهُ العوامِلُ
فَمَن أَرَمَه منها بِبيتٍ يَلخُ بهِ
كشامةٌ وَجْهٍ - ليس لِلشَّامِ غاسِلُ.
.. وأَيَّقَنَ، إذ ماتا بجوعٍ وخيبةٍ
وقال له الشَّيْطانُ إنك عائلُ
فَطَوَّفَ في أصحابه يَسْتَثْبِهُم
فآبَ، وقد أَكْثَدَتْ عليه المسائِلُ
إلى صِبْيَةٍ مثلِ المَغالي وخِزْمِلِ(*)
روادٍ(**)، ومِن شرِّ النِّساءِ الخِرامِلُ
فقال لها: هل مِن طَعامٍ فإنني
أذمُّ إِلَيْكَ النَّاسَ، أمُّكَ هابِلُ

(*) المَغالي: السهام غير المجدية. الخِزْمِل: الحمقاء.

(**) الرواد: الشريرة التي تطوف في بيوت جاراتها ولا تقعد في بيتها.

فَقَالَتْ: نَعَمْ، هَذَا الطَّوْيُ (*) وَمَاؤُهُ
وَمَحْتَرِقٌ مِنْ حَائِلِ الْجِلْدِ قَاحِلٌ
فَلَمَّا تَنَاهَتْ نَفْسُهُ مِنْ طَعَامِهِ
وَأَمْسَى طَلِيحاً مَا يَعْانِيهِ بَاطِلٌ
تَغَشَّى، يَرِيدُ النَّوْمَ، فَضَلَ رَدَائِهِ
فَأَعْيَا عَلَى الْعَيْنِ الرَّقَادَ الْبَلَابِلُ.

(*) الطوي: البثر.

١ - طعام

وجئنا بالنساء، مردّفاتٍ
وأذوادٍ، فكنّ لنا طعاماً.

٢ - غارة

لله غارتنا، والمحلّ قد شجيت
منه البلادُ، فصار الأفقُ عريانا.

٣ - مجد

وقد نال آفاق السّماواتِ مجدنا
لنا الصّحُوفُ من آفاقها، وغيومُها.

من أشهر فرسان العرب . حارب المسلمين ورفض أن يسلم على يدي النبي فقد كان يعتبر نفسه نبأ له . ويروى أن قيصر كان إذا قدم عليه قادم من العرب، سأله: ما بينك وبين عامر بن الطفيل؟ فإن ذكر نسباً، كرمه وعظم عنده. مات بالطاعون حوالى ٦٣٢م = ١١هـ.

٤ - لوم

... وَأُنْبِئْتُ قَوْمِي أَتَّبِعُونِي مَلَامَةً
لَعَلَّ مَنَايَا الْقَوْمِ مِمَّا أُكَلِّفُ
فَإِنْ تَكُ أَفْرَاسُ أَصِيبْنَ وَفُتْيَةٌ
فَإِنِّي لَجَرَّافٌ بِهِنَّ مُجَرَّفُ.

٥ - ضيافة

... فلو كان جمعٌ مثلنا، لم يَبْزَنَا
ولكن أتانَا كُلُّ جِنٍّ وَخَابِلٍ
فَبِتْنَا، وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِثْلُ ضَيْفِنَا
يَبِثُّ عَنْ قَرَى أَضْيَافِهِ غَيْرَ غَافِلٍ.

٦ - سيادة

... فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ
أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بَأْمٌ وَلَا أَبِ.

ليل الصعاليك

تقول سُليمى: لا تَعَرَّضْ لِتَلْفَةٍ
وليلك عن ليل الصَّعاليك نائمٌ
وكيف ينامُ اللَّيْلَ مَنْ جُلَّ مَالِهِ
حسامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ أبيضٌ صارِمٌ؟
ألمَ تَعلمي أَنَّ الصَّعاليك نومُهم
قليلٌ إذا نامَ الخَلِيُّ المَسالِمُ.

إذا اللَّيْلُ أَذْجَى واكفهرت نجومُها
وصاحَ من الإفراطِ بُومٌ جَوائِمُ
ومالَ بأصحابِ الكرى غَالِبائُهُ،
فإنِّي على أمرِ الغِواية حازِمُ،
متى تَجْمعِ القلبَ الذكيَّ وصارماً
وأنفاً حَمِيّاً، تَجْتَزِبُكَ المِظالِمُ.

من الصعاليك الفرسان، مات نحو ٦٣٢م = ١١هـ.

المعركة

... وكان لهم في أهلهم ونسائهم

مَبِيتٌ، ولم يَذْروا بما يَجْدُلُ الغَدُ

فما فَتِئُوا حَتَّى رَأَوْنا كَأَنَّنا

مع الصَّبْحِ، آذِيٌّ من البحر مزبَدُ

تُدرُّ العروقُ الآبِياتِ ظُبائِنا

وقد سَنَّها طَرٌّ ووقِعَ ومبردُ

يَقْعَنَ معاً فيهم بأيدي كَماتِنا

كَأَنَّ المَنونَ للأَسِنَّةِ موعِدُ

فأقررتُ عيني حين ظلوا كَأَنَّهُم

ببطنِ الإيادِ، خُشْبُ أَثَلٍ مُسَنَّدُ

من الشعراء الفرسان. كان يقال: «فتى ولا كمالك». كانت فيه غطرسة وخيلاء. ارتد عن الإسلام، فقتل نحو ٦٣٤م = ١٢هـ.

صريعٌ عليه الطَّيْرُ تَنْتِخُ عينه
وآخرُ مكبولٌ، يميلُ، مُقَيَّدٌ -
لَدُنْ غُدوةً حتى أتى اللَّيْلُ دونهم
ولا تنتهي عن ملئها منهم يَدُ.

١- عهد الدار

فليس كعهد الدار يا أم مالِك

ولكن أحاطت بالرقاب السلاسلُ

فأصبح إخوان الصفاء كأنما

أهال عليهم جانب الثرب هائلُ.

٢ - أخو جنة ...

شديد الأسى بادي الشحوب كأنني

أخو جنة يعتاده الخبلُ في الجسم.

٣ - صورة شخصية

أفَاطِم، إنني أسبق الحثفَ مقبلاً

وأتركُ قرني في المزاحفِ يستدمني

وإنني لأهدي القومَ في ليلة الدُّجى

وأرمي، إذا ما قيل: هل من فتى يرمي؟

اسمه خويلد، صحابي. نهشته حية فمات نحو ٦٢٦م = ١٥هـ.

١ - الهوان

ودارِ هَوانٍ أنفنا المُمقامَ بها

فحللنا مَحلاً كريماً -

إذا كان بعضهم للهوانٍ

خليطَ صفاءٍ وأُمّاً رؤوماً.

٢ - عناقيد

قامت تُريك، غداةَ البَيْنِ، مُنسدلاً

تخالُهُ فوقَ مَثْنَيْها العناقيدا.

٣ - الخصم

... وكنْتُ إذا قَريني جاذبتهُ

حبالي، ماتَ أو تَبَعَ الجِذابا.

١- الأعداء

... سَمَوْنَا لَهُم تِسْعاً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً

نَجُوبٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَفْراً بَسَابِيسَا

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً

وَلَا مِثْلَنَا، لَمَّا التَقِينَا، فَوَارِسَا،

إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً نَصَبُوا لَهَا

صَدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسَا

إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نُكِرَهَا

عَلَيْهِمْ، فَمَا يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِيسَا

وَلَوْ مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنَا لِأَصْبَحَتْ

ضِبَاعٌ، بِأَكْنَافِ الْأَرَاكِ، عَرَائِيسَا(*)

هو ابن الخنساء من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٣٠ م = ٥٨ هـ.

(*) في الخرافات العربية أن الضبع تقعد على ذكر القتل حين يتنفخ.

٢ - في المعركة

إِذَا هِيَ صَدَّتْ نَحْرَهَا عَنْ رِمَاحِهِمْ
أَقْدَمُهَا حَتَّى تَنْعَلَ بِالدِّمِّ
وَمَا زَالِ مِنْهُمْ رَائِغٌ عَنْ سَبِيلِهَا
وَأَخْرُ يَهْوِي لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفِمْ.

٣ - توق

أَشَدَّ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أُبَالِي
أَفِيهَا كَانَ حَثْفِي أَمْ سِوَاهَا
وَلِي نَفْسٌ تَتَوَقُّ إِلَى الْمَعَالِي
سَتَتَلَفُ، أَوْ أَبْلَغُهَا مُنَاهَا.

عمرو بن شأس الأسدي

امراة

إذا نحنُ أذلّجنا، وأنتِ أمّنا
كفى لمطايانا بوجهك هاديا.

مات نحو ٦٤٠ م = ٢٠ هـ.

هداية

لعمرك إني يوم أحمل رايةً
لتغلبَ خيلُ اللَّاتِ خيلَ محمدٍ
لكالمُذْلَجِ الحيرانِ أظلمَ ليله
بعيداً أرجي حينَ أهدي وأهتدي
هداني هادٍ غيرَ نفسي وقادني
إلى الله من طَرَدْتُ كلَّ مُطَرَّدٍ.

عمرو بن معد يكرب الزبيدي

١ - فرد

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ
وَبَقِيْتُ، مِثْلَ السَّيْفِ، فَرْدًا.

٢ - الأعداء

... فَلَمْ نَقْتُلْ شِرَارَهُمْ، وَلَكِنْ
قَتَلْنَا الْأَفْضَلِينَ ذَوِي السِّلَاحِ
فَأَتَكَلْنَا الْحَلِيلَةَ مِنْ بَنِيهَا
وَحَلَّلْنَا الْخَرِيدَةَ لِلتَّكَاحِ.

٣ - نساء

أَمْشِي حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا
وَتُعْجِبُنِي الْمَحَاجِرُ وَالْفُرُوعُ
إِذَا يَضْحَكُنْ أَوْ يَبْسُمُنْ يَوْمًا
تَرَى بَرْدًا أَلَحَّ بِهِ الصَّقِيعُ

من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٤٢ م = ٢١ هـ.

كَأَنَّ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ رَاحاً
يُفَضُّ عَلَيْهِ رُمَّانٌ يَنْيَعُ.

٤ - إرادة

... أريدُ حياته ويريد قَتلي
عذيرك من خَليلِكَ من مُرَادٍ.

٥ - خُلق

... وَأَوِي إِلَى فَرْعِ جُرْثُومَةٍ
وَعَزَّ يَفُوتُ يَدَ النَّاهِشِ
تَمَتَّعْتُ ذَاكَ، وَكُنْتُ أَمِراً
أَصْدُّ عَنِ الْخُلُقِ الْفَاحِشِ.

٦ - قريش

إِذَا قُتِلْنَا وَلَا يَبْكِي لَنَا أَحَدٌ
قَالَتْ قَرِيشُ: أَلَا، تِلْكَ الْمَقَادِيرُ
نُعْطَى السَّوِيَّةَ مِنْ طَعْنٍ لَهُ نَفْدٌ
وَلَا سَوِيَّةَ، إِذْ تُعْطَى الدَّنَانِيرُ.

٧ - قريش، أيضاً

... وكانت قريشٌ تحمل الخمرَ مرّةً
تِجاراً، فأضحت تحملُ السُّمَّ مُنقَعاً.

الشمّاخ بن ضرار الغطفاني

امراة

وسيطه قوم صالحين يكنّها
من الحرّ، في دار النوى، ظلّ هودج
منعمة لم تلق بؤس معيشة
ولم تغتزل يوماً على عود عوسج
هضيم الحشى، لا يملأ الكفّ خصرها
ويُملأ منها كلّ حجلٍ ودملج.

يقرّ بعيني أن أنبأ أنّها
وإن لم أنلّها، أيّم لم تزوّج،
وكنّت، إذا لاقيتها، كان سرّنا
لنا، بيننا، مثل الشواء الملهوج.

اسمه معقل، وقيل الهيثم. كان يحب امرأة تدعى كلبة تزوجها أخوه
فمات الشمّاخ ولم يكلمه. هجا عشيرته وأضيافه. مات نحو ٦٤٣ م =
٢٢هـ.

١ - القبر

وقائلة، والنَّعْشُ قد فات خطوها

لِتَدْرِكُهُ: يا لهفَ نفسي على صَخْرِ
ألا ثكلتُ أمَّ الذين مشوا بهِ
إلى القبر - ماذا يحملون إلى القَبْرِ!

٢ - غصنان(*)

كُنَّا كَغُصْنَيْنِ فِي جَرثُومَةٍ بَسَقَا

حيناً، على خير ما يُنْمَى لَهُ الشَّجَرُ
حتى إذا قيل: قد طالت عروقُهما
وطاب غرسُهما، واستوثق الثَّمَرُ
أُخْنِي عَلَى وَاحِدِ رَيْبِ الزَّمانِ وما
يُبْقِي الزَّمانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ.

اسمها تماضر. لُقبت الخنساء تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية في جمال
عينها. مات سنة ٦٤٥ م = ٥٢٤هـ.

(*) أبيات تنسب أيضاً لصفية الباهلية.

٣ - الأب والابن

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا
يَتَعَاوَرَانِ مُلَاءَةً الْفَخْرِ
حَتَّى إِذَا نَزَتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ
لُزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْعُذْرِ
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ: أَيُّهُمَا؟
قَالَ الْمَجِيبُ هُنَاكَ: لَا أُدْرِي،
بَرَزْتَ صَحِيفَةً وَجْهَ وَالِدِهِ
وَمَضَى عَلَى غُلُوائِهِ يَجْرِي
أُولَى فَأُولَى أَنْ يَسَاوِيَهُ
لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكِبَرِ
وَهُمَا كَأَنَّهُمَا، وَقَدْ بَرَزَا،
صَقْرَانِ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرٍ.

٦ - الذكرى والتعزية

يَذْكُرْنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
عَلَى إِخْوَانِهِمْ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي.

٥ - الزمان والناس

إِنَّ الزَّمَانَ، وما يَفْنَى، له عَجَبٌ
أَبْقَى لَنَا ذَنْباً وَاسْتَوْصِلَ الرَّأْسُ
أَبْقَى لَنَا كُلَّ مَجْهُولٍ وَفَجَّعَنَا
بِالْحَالِمِينَ، فَهَمَّ هَامٌ وَأَرْمَأْسُ،
إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا
لَا يَفْسُدَانِ، وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ.

٦ - فأس الموت

مَا لِلْمَنَايَا تُغَادِينَا وَتَطْرُقُنَا
كَأَنَّا أَبَدًا نُحْتَرِّزُ بِالْفَاسِ.

١ - مجلس شراب

... إِنَّ التِّي ضَرَبَتْ بَيْتًا، مُهَاجِرَةً

بِكُوفَةِ الْجُنْدِ، غَالَتْ وَدَّهَا غُولُ

فَعَدَّ عَنْهَا، وَلَا تَشْغَلْكَ عَنْ عَمَلِ

إِنَّ الصَّبَابَةَ، بَعْدَ الشَّيْبِ، تَضْلِيلُ.

...

وَقَدْ غَدَوْتُ وَقَرْنُ الشَّمْسِ مُنْفَتِقُ

وَدُونَهُ، مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ، تَجْلِيلُ

إِذْ أَشْرَفَ الدَّيْكَ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ

لَدَى الصَّبَاحِ، وَهُمْ قَوْمٌ مَعَاذِيلُ

إِلَى التُّجَارِ، فَأَعْدَانِي بِلَذَّتِهِ

رَخُو الْإِزَارِ، كَصَدْرِ السَّيْفِ مَشْمُولُ

خِرْقُ يَجَدُّ، إِذَا مَا الْأَمْرُ جَدَّ بِهِ

مُخَالِطُ اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ، ضَلِيلُ،

كان أسود. وهو من الشعراء اللصوص الفرسان. مات نحو ٦٤٥ م = ٢٥ هـ.

... حَتَّى اتَّكَأْنَا عَلَى فُرْشٍ يُزَيِّنُهَا

مِنْ جَيْدِ الرَّقْمِ، أَزْوَاجُ تَهَاوِيلُ
فِيهَا الدَّجَاجُ وَفِيهَا الْأُسْدُ، مُخْدِرَةٌ

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُرَى فِيهَا تَمَائِيلُ
فِي كَعْبَةٍ شَادَهَا بَانٍ وَزَيَّنَهَا

فِيهَا ذُبَالٌ يُضِيءُ اللَّيْلَ، مَفْتُولُ
لَنَا أَصِيصٌ كَجِذْمِ الْحَوْضِ هَدَمَهُ

وَطُءُ الْعِرَاكِ، لَدِيهِ الزَّقُّ مَغْلُولُ
وَالْكُوبُ أَزْهَرُ مَعْصُوبٌ بِقُلَّتِهِ

فَوْقَ السِّيَاحِ مِنَ الرِّيحَانِ إِكْلِيلُ^(*)
يَسْعَى بِهِ مِنْصَفٌ عَجَلَانُ مُنْتَطِقُ

فَوْقَ الْخَوَانِ، وَفِي الصَّاعِ التَّوَابِيلُ،

ثُمَّ اصْطَبَحْتُ كُمَيْتًا قَرَقَفًا أَنْفًا
مِنْ طَيِّبِ الرَّاحِ، وَاللَّذَاتُ تَغْلِيلُ

صِرْفًا مِزَاجًا، وَأَحْيَانًا يُعَلِّلُنَا
شِعْرٌ كَمُذْهَبَةِ السَّمَانِ مَحْمُولُ^(**)

(*) السِّيَاحُ: الطَّلَاءُ أَيَا كَانَ.

(**) السَّمَانُ: الْوَشْيُ وَالنَّقْشُ (مَأْخُودَةٌ مِنْ سَمِ الْإِبْرَةِ).

تُذْري حواشِيَه جِداءِ آنَسَه
في صَوْتِها لِسماعِ الشَّرْبِ ترتيلُ
تغدو علينا تُلْهِيْنا ونُصْفِدها
تُلْقِى البرودُ عليها والسَّرابيلُ.

٢ - قيس

... فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ
ولكَّته بنيانُ قومٍ تَهْدَمُا.

٣ - وصايا

أَبْنِيَّ، إِنِّي قد كَبَرْتُ ورأبني
بَصْرِي، وفيِّ لمصلحٍ مُسْتَمْتَعُ
فلئن هَلَكْتُ، لقد بنيتُ مَساعِيأُ
تَبْقَى لَكُمْ مِنْها مائِرُ أربعُ
ذِكْرُ، إِذا ذَكَرَ الكِرامُ، يَزِينُكُمْ
ووراثَةُ الحَسَبِ المَقْدَمُ تنفعُ
ومَقامُ أَيَّامٍ لَهْنٌ فَضِيلَةُ
عند الحَفِيزَةِ والمِجامعِ تَجْمَعُ
وَلْهَى من الكَسْبِ الَّذي يُغْنِيكُمْ
يوماً، إِذا احتَضَرَ النفوسَ، المَطْمَعُ

ونصيحةً في الصّدر صادرةً لكم

ما دُمْتُ أَبْصِرُ فِي الرِّجَالِ وَأَسْمَعُ

...

ودعوا الضَّغِينَةَ، لَا تَكُنْ مِنْ شَأْنِكُمْ

إِنَّ الضَّغَائِنَ لِلْقَرَابَةِ تُوضَعُ

وَأَعْصُوا الَّذِي يُزْجِي النِّمَائِمَ بَيْنَكُمْ

مُتَنَصِّحاً، ذَاكَ السَّامُ الْمُنْقَعُ

يُزْجِي عِقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ

حَرْباً، كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ

حَرَّانَ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ

عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشَعُ

...

إِنَّ الْحَوَادِثَ يَخْتَرِمُنَ، وَإِنَّمَا

عَمْرُ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ مُسْتَوْدَعُ

يَسْعَى وَيَجْمَعُ جَاهِداً مُسْتَهْتِراً

جِدّاً، وَلَيْسَ بِأَكْلٍ مَا يَجْمَعُ.

١ - البردة

بانت سُعادُ فقلبي اليومَ مَثْبُولُ
مُتَيِّمٌ إِيْرَهَا، لَمْ يُجْزَ، مَكْبُولُ
وما سعادُ، عَداءُ البينِ إِذْ رَحَلُوا
إِلَّا أَغْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكْحُولُ
تجلو عوارضَ ذي ظَلَمٍ إِذا ابتسَمَت
كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّيْحِ مَغْلُولُ

...

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا
فَجَعُ وَوَلَعُ وَإِخْلَافُ وَتَبْدِيلُ
... فما تدومُ على حالٍ تَكُونُ بها:
كما تَلَوُّنُ في أَثوابِها الغُولُ

لما ظهر الإسلام هجا النبي، وأخذ يشبب بنساء المسلمين؛ فأهدر النبي دمه فجاءه كعب فأسلم وأنشده قصيدته «بانت سعاد» فعفا عنه، وخلع عليه بردته. توفي نحو ٦٤٥ م = ٢٦هـ.

وما تَمَسَّكَ بالوصلِ الذي زعمت
إِلَّا كما تُمَسِّكُ الماءَ الغرابيلُ،
كانت مواعيدُ عُرْقوبٍ لها مثلاً
وما مواعيدُها إِلَّا الأباطيلُ
فلا يَغُرُّكَ ما مَنَّت وما وَعَدَتْ
إِنَّ الأمانِيَّ أحلامٌ وتَضَلِيلُ
أُمست سعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها
إِلَّا العِناقُ النَّجيباتُ المراسيلُ.

...

وقال كلَّ خليلٍ كنت آملُهُ
لَأَلْفِيَنَّكَ، إِنِّي عنكَ مَشْغُولُ
فقلت: خَلُّوا طريقي لا أبا لكمُ
فكلَّ ما قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كلَّ ابنٍ أَنشَى، وإن طالَتْ سلامتهُ
يوماً على آلَةٍ حُذِّبَاءَ محمولُ
أُنْبِئْتُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
والعَفْوَ عندَ رسولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلاً، هَداك الذي أعطاك نافلةً
القرآنِ فيها مواعِيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذني بأقوال الوُشاةِ ولم
أُذنبُ، ولو كُثرت عني الأقاويلُ
لقد أقوم مقاماً لو يقومُ بهِ
أرى وأسمعُ ما لو يسمعُ الفيلُ
لظلَّ يُرْعَدُ إلا أن يكونَ له
من الرّسولِ بإذنِ اللهِ تنوِيلُ
حتّى وضعتُ يميني لا أنازعهُ
في كفّ ذي نَقِماتٍ قيله القيلُ.

...

إنّ الرّسولَ لَسيفٌ يُستضاءُ بهِ
مهتدٌ من سيوفِ اللهِ مَسْلُولُ
في عُضْبَةٍ من قريشٍ قال قائلهم
ببطْنِ مَكّةِ لَمّا أسلموا: زولوا
زالوا، فما زال أنطاسٌ ولا كشفٌ
عند اللّقاء ولا ميلٌ معازيلُ
لا يفرحون، إذا نالت رماحهمُ
قوماً، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا.

٢ - أعناق النساء

... فأصبح مُمَّسَنَا كَأَنَّ جِبَالَهُ
من البُغْدِ، أعناقُ النِّساءِ الحواسِرِ.

٣ - صورة وصفية

تَسْتَشْرِفُ الْأَشْبَاحَ، وَهِيَ مُشِيحَةٌ
بِبَصِيرَةٍ وَخَشْيَةٍ الْإِنْسَانِ.

٥ - ماء

تَسَاقَوْا بِمَاءٍ مِنْ بِلَادٍ، كَأَنَّهَا
دِمَاءُ الْأَفَاعِي - لَا يُعَلُّ سَلِيمُهَا.

٦ - الشَّيْبُ

عَلَا حَاجِبِي الشَّيْبُ حَتَّى كَأَنَّهُ
ظَبَاءٌ جَرَتْ - مِنْهُ سَنِيحٌ وَبَارِحٌ.

٧ - صيد

طَافَ الرُّمَاءُ بِصَيْدٍ رَاعَهُمْ فَإِذَا
بَعْضُ الرُّمَاءِ يَنْبُلُ الصَّيْدِ مَقْتُولٌ.

وقد أشهدُ الكأسَ الرويّةَ لاهياً

أُعلّ قُبيلَ الصُّبحِ منها وأنهلُ

وليس خليلي بالملولِ ولا الذي

يلومُ على البُخلِ البخيلِ ويَبخلُ

لنا حاجةً في صَرْحَةِ الحَيِّ بعدما

بَدَا لَهُمْ أَنْ يظعنوا فتحَمَلُوا

شَاوَى، نَدِيمِ الكَاسِ مِنَّا مُرَنِّحٌ

وعِيسٌ مُنَاخَاتٌ عَلَيْهِنَّ أَزْحَلُ.

...

... فَمِنْ لِلْقَوَافِي شَانَهَا، مِنْ يَحُوكُهَا

إِذَا مَا ثَوَى كَعْبٌ وَفَوَّزَ جَزُولٌ(*)

يَقُولُ فَلَا يَعْيَا بِشَيْءٍ يَقُولُهُ

وَمَنْ قَائِلِيهَا مِنْ يُسِيءُ وَيَعْمَلُ

يَقْوَمُهَا حَتَّى تَقُومَ مُتَوْنُهَا

فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يُتَمَثَّلُ

(*) الحطيئة.

كفيتك لا تلقى من الناس شاعراً
تنخل منها مثل ما أتنخل.

٩ - الزّوجان

إنّ عرّسي قد آذنتني أخيراً
لم تعرج، ولم تؤامر أميرا
أجهاراً جاهرت لا عتب فيه
أم أرادت خيانةً وفجورا؟
ما صلاح الزوجين عاشا جميعاً
بعد أن يصرم الكبير الكبيراً؟
فاصبري مثلما صبرت فإنّي
لا إخال الكريم إلاّ صبوراً
أيّ حين وقد دببت ودبت
ولبسنا من بعد دهر دهوراً
ما أرانا نقول إلاّ رجيعاً
أوّ مُعاداً من قولنا مكروراً.

١٠ - مقالة السوء

إن كنت لا ترهب ذمي لما
تعرف من صفحي عن الجاهل

فَاخْشَ سُكُوتِي، إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ
فِيكَ لِمَسْمُوعِ خَنَى الْقَائِلِ
فَالسَّامِعِ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ
وَمُطْعَمِ الْمَأْكُولِ كَالْآكِلِ
مَقَالَةِ السَّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا
أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرِ هَائِلِ
وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ
ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ.

١ - خيوط الشمس

وللشمس أَسْبَابٌ كَأَنَّ شَعَاعَهَا
مَمْدُ حِبَالٍ فِي خِبَاءٍ مُطَنَّبٍ.

٢ - الدهر والموت

وما الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ، فَمِنْهُمَا
أَمَوْتُ، وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ
وَكَلْتَاهُمَا قَدْ خُطَّ لِي فِي صَحِيفَتِي
فَلِلْعَيْشِ أَشْهَى لِي، وَلِلْمَوْتِ أَرْوَحُ،
إِذَا مِتَّ فَأَنْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وَذُمَّي الْحَيَاةَ - كُلُّ عَيْشٍ مُتَرَّحُ.

كان أعور. تزوج امرأة أبيه بعد موته، وقد أحبها وتغزل بها كثيراً،
واسمها الدهماء. كان بعد إسلامه يحن إلى الجاهلية ويمجدها ويبكي أهلها
ويشعر بغربة في الإسلام. مات حوالي ٦٤٦ م = ٢٥هـ.

إِذَا قِيلَ: مَنْ دَهْمَاءُ؟ خَبَّرْتُ أَنَّهَا

مِنَ الْجَنِّ لَمْ يَقْدَحْ لَهَا الزَّئِنْدَ قَادِحُ
وَكَيْفَ؟ وَلَا نَارٌ لَدَهْمَاءَ أُوقِدَتْ

قَرِيبًا، وَلَا كَلْبٌ لَدَهْمَاءَ نَابِحُ
... فَلَا طَوْلُ مَا جَاوَرَتْ دَهْمَاءَ نَافِعُ
وَلَا دَاءُ مَا كُلفَتْ دَهْمَاءَ، بَارِحُ.

... وَيَوْمًا عَلَى نَجْرَانٍ وَافَتْ فِخْلَتْهَا

كَأَحْسَنِ مَا ضَمَّتْ إِلَيَّ الْأَبَاطِحُ
بِمَشْيِي كَهَزِ الرُّمَحِ، بِإِدِّ جَمَالِهِ
إِذَا جَدَفَ الْمَشْيِي الْقِصَارُ الدَّحَادِحُ.

٤ - دهماء، أيضاً

... وَلَوْ كَلَّمْتُ دَهْمَاءَ أُخْرَسَ كَاطِمًا

لَبَيَّنَ بِالتَّكْلِيمِ، أَوْ كَادَ يُفْصِحُ
سِرَاجُ الدَّجَى، يَشْفِي السَّقِيمَ كَلَامُهَا
تُبَلُّ بِهِ الْعَيْنُ الطَّرِيفُ فَتُنْجِحُ.

٥ - أخو عبرات

أخو عَبرَاتٍ، سِيقَ لِلشَّامِ أَهْلُهُ

فلا اليأسُ يُسْلِيهِ، ولا الحزنُ قَاتِلُهُ

... فَأَخْلِفَ وَأَتْلِفَ، إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ

وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِي هُوَ آكِلُهُ

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ وَأَيْسَرُ هَالِكٍ

على الْحَيِّ، مَنْ لَا يَبْلُغُ الْحَيَّ نَائِلُهُ.

٦ - امرأة

خَوْدٌ كَأَنَّ فِرَاشَهَا وُضِعَتْ بِهِ

أَضْغَاثُ رَيْحَانٍ غَدَاةَ شَمَالٍ

... عَنِيتُ تُوَاصِلُنِي، فَلَمَّا رَابَنِي

مِنْهَا الْهَوَى، أَذْنَتْهَا بِزِيَالٍ

وَصَرْمَتْ وَضَلَ حِبَالَهَا، إِنِّي امْرُؤٌ

وَصَّالٌ أَحْبَابٍ، صَرُومٌ حِبَالٍ.

٧ - دهماء والدهر

... هَلْ عَاشِقٌ نَالَ مِنْ دَهْمَاءَ حَاجَتِهِ

فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَبْلَ الدِّينِ، مَرْحُومٌ؟

عَانَقْتُهَا فَاثْنَتُ طَوْعَ الْعِنَاقِ، كَمَا
 مَالَتْ بِشَارِبِهَا صَهْبَاءُ خُرْطُومُ
 إِنْ يَنْقُصِ الدَّهْرُ مِنِّي، فَالْفَتَى غَرَضُ
 لِلدَّهْرِ، مِنْ عُدُوهِ وَافٍ وَمَثْلُومُ
 وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ مِقْدَاراً أَصِبتُ بِهِ
 فَسِيرَةُ الدَّهْرِ تَعْوِيْجٌ وَتَقْوِيْمُ،
 مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرٌ
 تَنْبُو الْحَوَادِثُ عَنْهُ، وَهُوَ مَلُومُ.

٨ - الْجَائِع

وَلَوْ تُشْتَرَى مِنْهُ لِبَاعٍ ثِيَابَهُ
 بِنَبْحَةِ كَلْبٍ، أَوْ بِنَارٍ يَشِيْمُهَا.

١ - مرثية الأبناء

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً

منذ ابْتُذِلْتَ ومثل مالِك ينفعُ

أم ما لجِسمِك لا يلائمُ مضجَعاً

إلاَّ أَقْضَ عَلَيْكَ ذاك المَضْجَعُ؟

... أودى بَنِي فَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً

بعد الرُّقَاد، وعبرةً ما تُقْلَعُ

ولقد حَرَصْتُ بأن أدافع عنهمُ

وإذا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا

أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

... ولقد أرى أَنَّ البكاءَ سَفَاهَةٌ

ولسوف يُولَعُ بالبُكَاءِ مَنْ يُفْجَعُ

اسمه خوليد. سافر في إحدى الغزوات إلى أفريقيا، ومات هناك في مصر نحو ٦٤٨ م = ٢٧هـ.

والنَّفْس راغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا
وَإِذَا تُرِدَّ إِلَى قَلِيلٍ تَفْنَعُ
يَرْمِي بَعِينِيهِ الْغُيُوبَ وَطَرْفُهُ
مُغْضٍ، يَصَدِّقُ طَرْفُهُ مَا يَسْمَعُ.

٢ - الرابية

كَأَنَّهَا كَاعِبٌ حَسَنَاءُ زَخَرَفَهَا
حَلْيًى، وَأَتَرَفَهَا طَعْمٌ وَإِصْلَاحُ
قَدْ ظَلْتُ فِيهَا - مَعِيَ شُعْتُ كَأَنَّهُمْ
إِذَا يُشَبُّ سَعِيرَ الْحَرْبِ، أَرْمَاحُ، -

أَمْنِكَ بَرَقَ أَبَيْتُ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ
كَأَنَّهُ فِي عَرَاضِ الشَّامِ مَصْبَاحُ.

٣ - مالي أحزن

مَالِي أَحْزَنَ إِذَا جَمَالِكَ قُرْبَتْ
وَأَصَدَّ عَنْكَ، وَأَنْتِ مَنِّي أَقْرَبُ
وَأَرَى الْبِلَادَ، إِذَا سَكَنْتِ بَغِيرَهَا
جَذْبَاءً، وَإِنْ كَانَتْ تُطَلُّ وَتُخْصَبُ

وأرى العدوَّ يحبكم فأُحِبُّه
إن كان يُنسَبُ منك أو يتنسَّبُ.

٤ - القلب العاصي

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ - إِنِّي لِأَمْرِهِ
سَمِيعٌ، فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طِلَابُهَا؟
فَقُلْتُ لِقَلْبِي: يَا لَكَ الْخَيْرِ إِنَّمَا
يُذَلِّيكَ لِلْمَوْتِ الْجَدِيدِ حِبَابُهَا، -
فَمَا الرَّاحُ، رَاحُ الشَّامِ جَاءَتْ سَبِيَّةً
لَهَا غَايَةٌ تَهْدِي الْكَرَامَ عُقَابُهَا
بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا، إِذَا جِئْتُ طَارِقاً
مِنَ اللَّيْلِ، وَالتَفَّتْ عَلَيَّ ثِيَابُهَا.

المعركة

... عَشِيَّةَ وَدِّ الْقَوْمِ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ

يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرِ فَيْطِيرُ،

إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ

دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَسِيرُ

تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا وَاجْمِينَ كَأَنَّهُمْ

جِمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهَنَ زَفِيرُ.

١ - ذكريات

أرى بَصْرِي قد رَابَنِي بعد حِدَّةٍ

وحسبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وتَسْلَمَا

ولا يَلْبِثُ العَصْرَانِ يوماً وَلَيْلَةً

إِذَا طَلَبَا، أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَّمَا،

وَصَوْتٍ عَلَى قَوْتٍ سَمِعْتُ، وَنَظْرَةٍ

تَلَايَيْتُهَا وَاللَّيْلُ قد كَانَ أَبُهِمَا

بِحِدَّةٍ عَصِرٍ مِنْ شَبَابٍ كَأَنَّهُ

إِذَا قُمْتُ، يَكْسُونِي رَدَاءٌ مُسَهَّمَا.

فلو أَنَّ عَوْدًا كَانَ، مِنْ حُسْنِ صُورَةٍ،

يُسَلِّمُ أَوْ يَمْشِي، مَشَى أَوْ لَسَلَّمَا

مِنْ الْبَيْضِ، عَاشَتْ بَيْنَ أُمِّ عَزِيزَةٍ

وَبَيْنَ أَبِي بَرٍّ أَطَاعَ وَأَكْرَمَا

مات على الأرجح نحو ٦٥٠ م = ٣٠ هـ.

مُنْعَمَةٌ لَوْ يُضْبِحُ الذَّرُّ سَارِيًّا
على جِلْدِهَا، بَضَّتْ مَدَارِجُهُ دَمَا
مِنَ الْبَيْضِ، مِكْسَالٌ إِذَا مَا تَلَبَّسَتْ
بِعَقْلِ امْرِئٍ، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا مُسَلِّمًا.

وما هاجَ هذا الشَّوْقَ إِلَّا حَمَامَةٌ
دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ، تَرْحَةً وَتَرْنَمًا
تُبْكِي على فَرْخٍ لَهَا نَمَّ تَغْتَدِي
مَوْلَاهُ تَبْغِي له الدَّهْرَ مَطْعَمًا
تُؤْمَلُ مِنْهُ مُؤْنِسًا لِانْفِرَادِهَا
وتبكي عليه إِنْ زَقَا أَوْ تَرْنَمًا،
فَلَمَّا اكْتَسَى رِيشًا سُخَامًا، وَلَمْ يَجِدْ
له مَعَهَا فِي بَاحَةِ الْعُشِّ مَجْثَمًا
أُتِيحَ له صَقْرٌ مُسِفٌّ فَلَمْ يَدْعُ
لَهَا وَلَدًا، إِلَّا رَمِيمًا وَأَعْظَمًا
فَأَوْفَتْ على غُضَنِ ضَحِيًّا فَلَمْ تَدْعُ
لِبَاكِيةٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوِّمًا
مُطَوِّقَةً خَطْبَاءَ تَصْدَحُ كُلَّمَا
دَنَا الصَّيْفُ وَأَنْجَالَ الرَّبِيعُ فَأَنْجَمًا،

عَجِبْتُ لَهَا أَنِّي يَكُونُ غِنَاؤُهَا
 فَصِيحاً، وَلَمْ تَفْغَرْ بِمَنْطِقِهَا فَمَا
 خَلِيلِي، إِنِّي مُشْتَكٍ مَا أَصَابَنِي
 لَتَسْتَيِّقِنَا مَا قَدْ لَقِيتُ وَتَعَلَّمَا
 لَتَتَّخِذَا لِي، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا،
 إِلَى آلِ لَيْلَى الْعَامِرِيَّةِ سُلَّماً
 وَإِنْ كَانَ لَيْلاً، فَالْوَيَا نَسَبِيكُمَا
 وَإِنْ خِفْتُمَا أَنْ تُعْرَفَا، فَتَلَّيْتُمَا
 فَإِنْ أَنْتُمَا اطمَأْنَنْتُمَا وَأَمِنْتُمَا
 وَأَجْلَبْتُمَا مَا شِئْتُمَا، فَتَكَلَّمَا
 وَقُولَا لَهَا: مَا تَأْمُرِينَ بِصَاحِبِ
 لَنَا، قَدْ تَرَكْتَ الْقَلْبَ مِنْهُ مُتَيِّماً
 أَبِينِي لَنَا، إِنَّا رَحَلْنَا مَطِيَّانَا
 إِلَيْكَ، وَمَا نَرْجُوهُ إِلَّا تَوْهُؤُمَا
 فَجَاءَا، وَلَمَّا يَقْضِيَا لِي حَاجَةً
 إِلَيَّ، وَلَمَّا يُبْرِمَا الْأَمْرَ مُبْرَماً -
 أَلَا هَلْ صَدَى أُمِّ الْوَلِيدِ مُكَلِّمٌ
 صَدَايَ، إِذَا مَا كُنْتُ رُمُساً وَأَعْظُمَا؟

٢ - الشجرة - المرأة

عَلَا النَّبْتُ حَتَّى طَالَ أَفْنَانُهَا الْعُلَا
وَفِي الْمَاءِ أَضْلٌ ثَابِتٌ وَعُروْقُ،
فَيَا طَيِّبَ رِيَّاهَا وَيَا بَرْدَ ظِلِّهَا
إِذَا حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَدِيقُ
وَهْلٍ أَنَا إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ
مِنَ السَّرْحِ، مَسْدُودٌ عَلَيَّ طَرِيقُ؟
حَمَى ظِلُّهَا شَكْسُ الْخَلِيقَةِ، خَائِفٌ
عَلَيْهَا غَرَامَ الطَّائِفِينَ، شَفِيقُ
فَلَا الظِّلُّ مِنْهَا بِالضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ
وَلَا الْفَيءُ مِنْهَا بِالْعَشِيِّ تَذُوقُ
وَمَا وَجَدُ مُشْتَاقٍ أُصِيبَ فَوَادُهُ
أَخِي شَهَوَاتٍ بِالْعِنَاقِ لَبِيقُ
بِأَكْثَرِ مَنْ وَجَدِي عَلَى ظِلِّ سَرْحَةٍ
مِنَ السَّرْحِ - إِذْ أَضْحَى، عَلَيَّ رَفِيقُ.

٣ - ذكريات، أيضاً

... لِيَالِي أَبْصَارُ الْغَوَانِي وَسَمْعُهَا
إِلَيَّ، وَإِذْ رِيحِي لَهْنٌ جَنُوبُ

وَإِذْ مَا يَقُولُ النَّاسُ شَيْءٌ مُهَوَّنٌ
عَلَيْنَا وَإِذْ غُضُنُ الشَّبَابِ رَطِيبٌ،
وَلِأَنَّ الَّذِي مَنَّكَ أَنْ تُسْعِفَ الْمَنَى
بِهَا، بَعْدَ أَيَّامِ الصُّبَا، لَكَذُوبٌ -
أَظْلُ كَأَنِّي شَارِبٌ لِمَدَامَةٍ
لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ.

٤ - الحمام العاشق

إِذَا نَادَى قَرِينَتَهُ حَمَامٌ
جَرَى لِصَبَابَتِي دَمْعٌ سَفُوحٌ -
هَفَا لِهَدِيلِهِ مِئْنَى، إِذَا مَا
تَغَرَّدَ سَاجِعاً، قَلْبٌ قَرِيحٌ
فَقُلْتُ: حَمَامَةٌ تَدْعُو حَمَاماً
وَكُلُّ الْحَبِّ نَزَّاعٌ طَمُوحٌ.

٥ - امرأة الزوجة

أَرْتَهَا بِخَدَّيْهَا غُضُوناً كَأَنَّهَا
مَجَرٌّ غُضُونِ الطَّلَحِ مَا ذُقْنَ فَذَفَدَا
رَأَتْ مَخْجِراً تَبْغِي الْغَطَارِيفُ غَيْرَهُ
وَفَرَعاً أَبَى إِلَّا انْحِدَاراً فَأَبْعَدَا

وَأَسْنَانٌ سَوَاءٌ شَاخِصَاتٍ كَأَنَّهَا
سَوَاءٌ أَنْاسٍ، سَارِحٌ قَدْ تَبَدَّدَا.
فَأُقْسِمُ لَوْلَا أَنَّ حُذْبًا تَتَابَعَتْ
عَلَيَّ، وَلَمْ أَبْرَحْ بِدَيْنٍ مُطَرِّدَا
لَزَاحَمْتُ مَكْسَالًا - كَأَنَّ ثِيَابَهَا
تُجِنُّ غَزَالًا بِالْخَمِيلَةِ أَغْيَدَا...

٦ - كبرياء

نَظَرْتُ بَوَادِي الْغَمْرِ وَاللَّيْلِ مُقْبِلُ
يَرِفُ رَفِيفَ النَّسْرِ، وَالشَّقُوقُ طَائِرُ،
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِنْ تَغَطَّيْتُ مَرَّةً
مِنَ الدَّهْرِ، مَكْشُوفٌ غِطَائِي فَنَاطِرُ
وَمَا خِلْتُنَا أَنَّ لَيْسَ يَحْجِزُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْعِدَى إِلَّا الْقَنَا وَالْحَوَافِرُ
إِلَى أَنْ نَزَلْنَا بِالْفَضَاءِ وَمَا لَنَا
بِهِ مَعْقِلٌ، إِلَّا الرِّمَاحُ الشَّوَاجِرُ.

٧ - المرأة البخيلة والذئب

تَرَى رَبَّةَ الْبَهْمِ الْفِرَارَ عَشِيَّةً
إِذَا مَا عَدَا فِي بَهْمِهَا، وَهُوَ ضَائِعُ

رَأَتْهُ فَشَكَّتْ، وَهُوَ أَطْحَلُ مَائِلٌ
إِلَى الْأَرْضِ، مَثْنِيٍّ إِلَيْهِ الْأَكَارُغُ
هُوَ الْبَعْلُ الدَّانِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي
لَهُ صُحْبَةٌ، وَهُوَ الْعَدُوُّ الْمَنَازِعُ
إِذَا خَافَ جَوْرًا مِنْ عَدُوٍّ رَمَتْ بِهِ
مَخَالِبُهُ وَالْجَانِبُ الْمَتَوَاسِعُ
وَإِنْ بَاتَ وَخَشَا، لَيْلَةً، لَمْ يَضِقْ بِهَا
ذِرَاعًا، وَلَمْ يُضْبَحْ لَهَا وَهُوَ خَاضِعُ
إِذَا احْتَلَّ حُضْنِي بَلَدَةً، طُرَّ مِنْهُمَا
لَا أُخْرَى، خَفِيَ الشَّخْصِ، لِلرَّيْحِ تَابِعُ
وَإِنْ حُدِّدَتْ أَرْضٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ
بِعِزَّةِ أُخْرَى، طَيِّبُ النَّفْسِ قَانِعُ
إِذَا نَالَ مِنْ بَهْمِ الْبَخِيلَةِ غِرَّةً
عَلَى غَفْلَةٍ مِمَّا يَرَى وَهُوَ طَالِعُ
تَلُومٍ، وَلَوْ كَانَ ابْنُهَا فَرِحَتْ بِهِ
إِذَا هَبَّ أَرْوَاحُ الشُّتَاءِ الزَّعَازِعُ...

إذا ما غدا يوماً، رأيت غيابةً
من الطَّير، ينظرَن الذي هو صانعٌ (*) .
يهمُّ بأمرٍ، ثم يُزْمَعُ غيره
وإن ضاق أمرٌ مرَّةً، فهو واسعٌ،
يَنامُ بإحدى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي
بِأُخْرَى المنايا - فهو يَقْظَانُ هاجِعُ .

(*) هذا البيت والبيت الذي يليه يرويان لابن عتقاء الفزاري .

ضابئ بن الحارث البرجمي

في السجن

... فلاني وإياكم، وشوقاً إليكم

كقابض ماءٍ لم تُطْقَهُ أناملُهُ

فلا يَقْبَلُنْ بعدي امرؤٌ سيمَ خِطَّةً

حِذارَ لقاءِ الموتِ، فالموت نائِلُهُ.

... وقائلةٍ لا يُبعد الله ضابئاً

إذا القرنُ لم يوجد له من ينازلُهُ

وقائلةٍ لا يبعد الله ضابئاً

إذا احمرَّ من مَسِّ الشِّتاء أصائلُهُ

وقائلةٍ إن مات في السَّجن ضابئٌ

لنعم الفتى نخلو به ونُواصِلُهُ.

كان بذيئاً شريراً يهوى الصيد والخيل . سجنه الخليفة عثمان لأنه هجا امرأة استعادت كلباً كان استعاره منها، وبقي في سجنه حتى مات . ويقال إن ابنه عمير انتقم له فرفس عثمان وهو يقتل، وكسر ضلعين من أضلاعه . مات نحو ٦٥٠ م = ٣٠ هـ .

١ - صورة شخصية

حَنَنْتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى
كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدٍ
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَنِي
وَلَسْتُ مَقِيدًا، أَنِّي بِقَيْدِ.

٢ - إضاءة

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظُمَ الْجِزْعُ ثَاقِبُهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مَسْوَدٌ
تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَائِبُهُ.

اسمه حنظلة. من الصعاليك الفرسان. اشتهر بمجونه وفسقه. مات نحو ٦٥٠ م = ٣٠ هـ.

يا رَبِّ مَظْلَمَةٍ يَوْمًا لَطِيتُ بِهَا
 تَمْضِي عَلَيَّ إِذَا مَا غَابَ نُصَّارِي
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَنِّي غِيَابُهَا
 وَثَبْتُ فِيهَا وَثُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارِي.

١- عفراء

على كَيْدِي مِنْ حَبِّ عَفْرَاءٍ قُرْحَةٌ

وعَيْنَايَ مِنْ وَجْدٍ بِهَا تَكْفَانِ

فعَفْرَاءُ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي مَوْدَّةً

وعَفْرَاءُ عَنِّي الْمَعْرُضُ الْمُتُونِي

كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا

على كَيْدِي مِنْ شِدَّةِ الْخَفَقَانِ.

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حَكْمَهُ

وَعَرَّافِ نَجْدٍ، إِنَّهُمَا شَفِيَانِي

فَقَالَا: نَعَمْ نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ

وَقَامَا مَعَ الْعُوَادِ يَبْتَذِرَانِ

فَمَا تَرَكَا مِنْ رُقِيَةٍ يَعْلَمَانِهَا

وَلَا سَلْوَةٍ، إِلَّا وَقَدْ سَقِيَانِي

اشتهر بحب ابنة عمه عفراء. مات نحو ٦٥٠م = ٣٠هـ.

فقالا: شفاكَ الله، والله ما لنا
بما ضُمَّنتُ منك الضُّلوعُ يَدانِ.

وإنِّي لأَهْوَى الحَشْرَ، إذ قِيلَ إنني
وعفراءُ يومِ الحَشْرِ مُلتَقيانِ
ألا يا غُرَابِي دُمْنَةُ الدَّارِ بَيْنَا
أبَالَهَجِرِ مِنْ عَفْرَاءٍ تَنْتَحِبَانِ
فإن كانَ حَقًّا ما تَقُولانِ فاذْهَبَا
بِلَحْمِي إلى وَكْرِيكُما فَكُلانِي...

أنا سِيَةُ عَفْرَاءٍ ذِكْرِي بَعْدَما
تَرَكْتُ لَهَا ذِكْرًا بِكُلِّ مَكَانٍ؟
كَأَنَّ وَشاحِيها إذا ما اِزْتَدَتْهُما
وَقامَتِ، عِنا نانا مُهْرَةً سَلِسانِ.

٢ - غدر القلب

وإنِّي لَيَعْرُونِي، لِذِكرائِكَ رَوْعَةً
لها بَيْنَ جِلْدِي والعِظامِ دَبِيبُ

وما هو إلا أن أراها فُجاءةً
فأُبْهَتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ،

وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُعِينُهَا
عَلَيَّ، فَمَالِي فِي الْفَوَادِ نَصِيبُ.

مُتَمِّم بن نُويرَة اليربوعي

١ - قبر مالك

لقد لآمني عند القبور على البُكا
رفيقي، لِتَذْرافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ
أَمِنْ أَجْلِ قَبْرِ بِأَلْمَلا أَنْتَ نائِحُ
على كُلِّ قَبْرٍ، أو على كُلِّ هالِكٍ؟
فقلتُ له: إِنَّ الشَّجا يبعث الشَّجا
فَدَعْنِي - فهذا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ.

٢ - مرثية مالك

... فواللَّهِ ما أُسْقِي البِلادَ لَحَبَّها
ولكنَّني أُسْقِي الحبيبَ المودَّعا
تحيَّته مَنِّي، وإن كان نائِياً
وأَمسى تراباً فوقه الأرض بَلَقَعا،

مات نحو ٦٥٠ م = ٣٠ هـ.

تقولُ ابْنَةُ العَمْرِيِّ، مَالِكُ؟ بَعْدَمَا
أراكَ حَدِيثاً نَاعِمَ البَالِ، أَفْرَعَا
فقلتُ لَهَا: طوْلُ الأَسَى، إِذْ سَأَلْتَنِي
وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تتركُ الوجهَ أَشْفَعَا،
وَإِنِّي، وَإِنْ هَا زَلْتَنِي، قَدْ أَصَابَنِي
مِنَ البَثِّ، مَا يُبْكِي الحَزِينَ المَفْجَعَا
... فَقَصْرُكَ، إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ
بِكُفِّي عَنْهُمْ لِلْمَنِيَّةِ مَدْفَعَا
فَلَا فَرِحَا إِنْ كُنْتُ يَوْمًا بِغَبْطَةٍ
وَلَا جَزَعَا مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا.

وَمَا وَجَدُ أَظَارَ ثَلَاثِ رَوَائِمِ
أَصْبَنَ مَجْرَأً مِنْ حُورٍ وَمَصْرَعَا
يُذَكِّرُنَ ذَا البَثِّ الحَزِينَ بِبَثِّهِ
إِذَا حَنَّتِ الأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا
بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَامَ بِمَالِكِ
مَنَادٍ بِصِيرٌ بِالفِرَاقِ، فَأَسْمَعَا.

١- الخمرة والموت

إِذَا مُتُّ فَأَدْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ

تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عَرُوقُهَا

وَلَا تَدْفِنْنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي

أَخَافُ، إِذَا مَا مُتُّ، أَنْ لَا أَذُوقُهَا.

أُبَاكِرُهَا عِنْدَ الشَّرُوقِ، وَتَارَةً

يُعَاجِلُنِي بَعْدَ الْعَشِيِّ غِبُوقُهَا

وَلِلْكَأْسِ وَالصَّهْبَاءِ حَظٌّ مُنَعَمٌ

فَمَنْ حَقَّهَا أَنْ لَا تُضَاعَ حَقُوقُهَا

وَعِنْدِي عَلَى شُرْبِ الْعُقَارِ حَفِيزَةٌ

إِذَا مَا نِسَاءُ الْحَيِّ ضَاقَتْ حُلُوقُهَا.

اسمه عمرو، وقيل إنه حبيب بن عمرو. اشتهر بمجونه وسجن لشربه
الخمرة. مات نحو ٦٥٠ م = ٣٠ هـ.

٢ - الخمرة والنار

أَلَا سَقَّنِي يَا صَاحِ خَمْرًا فَإِنِّي
بِمَا أَنزَلَ الرَّحْمَانُ فِي الْخَمْرِ عَالَمٌ
وَجُدُّ لِي بِهَا صِرْفًا لِأَزْدَادَ مَائِمًا
فَفِي شَرْبِهَا صِرْفًا تَتَمُّ الْمَائِمُ
هِيَ النَّارُ إِلَّا أَنِّي نَلْتُ لَذَّةً
وَقَضَيْتُ أَوْطَارِي وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ.

٣ - بكاء

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ يَعْثُرُ بِالْفَتَى
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ صَرْفَ الْمَقَادِرِ؟
ضُرْبْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ وَلَمْ أَكُ جَازِعًا
لِحَادِثِ ذَهْرِ فِي الْحُكُومَةِ جَائِرِ
وَإِنِّي لَذُو صَبْرٍ وَقَدْ مَاتَ إِخْوَتِي
وَلَسْتُ عَنْ الصَّهْبَاءِ يَوْمًا بِصَابِرِ
رَمَاهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحَتْفِهَا
فَخِلَاتُهَا يَبْكُونُ حَوْلَ الْمَعَاصِرِ.

٤ - إلى امرأة

إِنَّ الْكِرَامَ عَلَى الْجِيَادِ مَقِيلُهُمْ
فَذَرِي الْجِيَادَ لِأَهْلِهَا، وَتَعْطَّرِي.

٥ - إن كانت الخمر

إِنْ كَانَتْ الْخَمْرُ قَدْ عَزَّتْ وَقَدْ مُنِعَتْ
وَحَالَ مِنْ دُونِهَا الْإِسْلَامُ وَالْحَرْجُ،
فَقَدْ أَبَاكَرُهَا رِيًّا وَأَشْرَبُهَا
صِرْفًا وَأَطْرَبُ أَحْيَانًا فَأَمْتَزَجُ
وَقَدْ تَقُومُ عَلَى رَأْسِي مَغْنِيَّةٌ
فِيهَا إِذَا رَفَعْتَ مِنْ صَوْتِهَا، غُنْجُ.

٦ - في السجن

كَفَى حُزْنًا أَنْ تَطْرَدَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا
وَأُتْرِكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّا نِي الْحَدِيدُ وَأُغْلِقْتُ
مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تُصِمْ الْمَنَادِيَا
... أَرِينِي سِلَاحِي، لَا أَبَالِكَ، إِنَّنِي
أَرَى الْحَرْبَ مَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا.

نُعَاهِدُ أَطْرَافَ الْقَنَا، فَنَنْفِي لَهَا
إِذَا لَمْ تُضَرَّجْ مِنْ دَمٍ، أَنْ تُحَطَّمَا.

٨ - قوم البغي

لَمَّا رَأَيْنَا خَيْلاً مُحَجَّلَةً
وَقَوْمَ بَغْيٍ فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ
طَرْنَا إِلَيْهِمْ بِكُلِّ سَلْهَبَةٍ
وَكُلِّ صَافِي الْأَدِيمِ كَالذَّهَبِ،
... لَمَّا التَقِينَا، مَاتَ الْكَلَامُ وَدَارَ
الْمَوْتُ دَوْرَ الرَّحَى عَلَى الْقُطْبِ
إِنْ حَمَلُوا لَمْ نَرِمْ مُوَاضِعَنَا
وَإِنْ حَمَلْنَا، جَثَوْا عَلَى الرُّكَبِ.

٩ - لا تسألني

لَا تَسْأَلِي النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ
وَسَائِلِي الْقَوْمَ عَنْ بَذْلِي وَعَنْ خُلُقِي

عَفُ الْمَطَالِبِ عَمَّا لَسْتُ نَائِلَهُ
وإن ظَلِمْتُ شَدِيدُ الْحَقِّدِ وَالْحَنَقِ
وَأَكْشَفُ الْمَازِقِ الْمَكْرُوبِ غُمَّتُهُ
وَأَكْتُمُ السَّرِّ فِيهِ ضَرْبُهُ الْعُنُقِ .

سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ

١ - عُرِيَ الْحَبِّ

فَكَمْ قَدْ شَقَّقْنَا مِنْ رِءَاءِ مُنَيَّرٍ
وَمِنْ بُرْقُعٍ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَانِسِ
إِذَا شُقَّ بُرْدٌ، شُقَّ بِالْبُرْدِ بُرْقُعٌ
دَوَالِيكَ، حَتَّى كُلْنَا غَيْرَ لَابِسِ.

٢ - امْرَأَةٌ

كَأَنَّ الشَّرِيًّا غُلِّقَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا
وَجَمَرَ غَضِيَّ هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ ذَاكِيا
تُرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ كَفًّا وَمَعْصَمًا
وَوَجْهًا كَدِينَارِ الْأَعَزَّةِ صَافِيَا
وَمَنْ يَكُ لَا يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ وَدُهُ
فَقَدْ زَوَّدَتْ زَادًا عُمَيْرُهُ بَاقِيَا
... تُوسِّدُنِي كَفًّا وَتُثْنِي بِمَعْصَمِ
عَلَيَّ، وَتَحْوِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا

كان عبداً أسود قتل بسبب تغزله الجريء بالنساء نحو ٦٦٠ م = ٤٠ هـ.

وَهَبَّتْ لَنَا رِيحُ الشَّمَالِ بِقُوَّةٍ
وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرَدَائِيَا
فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا
إِلَى الْحَوْلِ، حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبَ، بَالِيَا.

... أَشَارَتْ بِمِذْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا
أَعْبُدْ بَنِي الْحَسْحَاسِ يُزْجِي الْقَوَافِيَا؟
رَأْتُ قَتَباً رَثّاً وَسَخَقَ عَبَاءُ
وَأَسْوَدَ، مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا
يُرْجِّلُنَ أَقْوَاماً وَيَتْرَكُنَ لِمَتِّي
وَذَاكَ هَوَانٌ ظَاهِرٌ قَدْ بَدَأَ لِيَا
فَلَوْ كُنْتُ وَزِداً لَوْنُهُ لَعَشِقْتَنِي
وَلَكِنْ رَبِّي شَانَنِي بِسَوَادِيَا.

٣ - المَطَرُ

بَكَى شَجْوَهُ وَاغْتَاطَ حَتَّى حَسَبْتَهُ
مِنْ الْبُعْدِ لَمَّا جَلَجَلَ الرَّعْدُ حَادِيَا.

٤ - الْمَرَضُ

مَاذَا يُرِيدُ السَّقَامُ مِنْ قَمَرٍ
كُلُّ جَمَالٍ لَوَجْهِهِ تَبَعُ

ما يبتغي؟ جار في محاسنها
أماله في القَباحِ مُتَّسِعُ؟
غَيَّرَ مِنْ لَوْنِهَا وَصَغَّرَهَا
فَزِيدَ فِيهِ الْجَمَالَ وَالْبِدْعُ.

٥ - قبيل الموت

شُدُّوا وِثَاقَ الْعَبْدِ لَا يُفْلِثُكُمْ
إِنْ الْحَيَاةُ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فَتَاتِكُمْ
عَرَقٌ عَلَى ظَهْرِ الْفِرَاشِ وَطِيبُ.

٦ - العاشقتان

... وَجَدْتُهُمَا يَوْمًا، وَلِلصَّيْدِ غِرَّةً،
تَدْقَانِ مِسْكَأً، مَائِلًا بَرْقُعَاهُمَا
بَكَتَ هَذِهِ، وَارْفَضَ مَدْمَعُ هَذِهِ
وَأَذْرَيْتُ دَمْعِي فِي خِلَالِ بُكَاهُمَا
تَمَنَّيْتُ أَنْ أَلْقَاهُمَا وَتَمَنَّنَا
فَلَمَّا التَقَيْنَا، اسْتَحْيَتَا مِنْ مُنَاهُمَا.

١ - حزن

كأني أراهم يطرحون ثيابهم
من الرّوع والخيلان تطردان
فيا حزننا ألا أكون شهدتهم
فأذهن من شحم اللّئام سيناني.

٢ - الذئب

وماء كلون الغسل قد عاد آجناً
قليلٌ به الأصواتُ، في بلدٍ محلٍ
وجدتُ عليه الذئبَ يعوي كأنّه
خليعٌ خلا من كلِّ مالٍ ومن أهلٍ،
فقلتُ له: يا ذئبُ، هل لك في فتى
يؤاسي بلا منّ عليك ولا بُخلٍ؟

اسمه قيس. اشتهر بالهجاء. هدده الخليفة عمر بقطع لسانه. اتهم بالزندقة والفسق. مات نحو ٦٦٠م = ٤٠هـ.

فَقَالَ: هَذَاكَ اللَّهُ لِلرُّشْدِ، إِنَّمَا
دَعَوْتُ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي.
... فَطَرُبَ يَسْتَدْعِي ذَنْباً كَثِيراً
وَعَدَّيْتُ - كُلُّ مَنْ هَوَاهُ عَلَى شُغْلٍ.

١ - من المعلقة

... وجلّ السّيول عن الطّلول كأنّها

زُبُرٌ تُجَدُّ مُتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَكَيْفَ سَوَّالُنَا

صُمًّا خَوَالِدَ مَا يَبِينُ كَلَامُهَا؟

...

فَاقْطَعْ لُبَانَةً مِنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ

وَلَشَرٍّ وَاصِلٍ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا

...

أولم تكن تدري نزار بأتني

وَصَّالٌ عَقْدٍ حَبَائِلٍ جَذَامُهَا

تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضُهَا

أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا

من الشعراء الفرسان. مات نحو ٦٦١ م = ٤١ هـ.

بل أنتِ لا تدرين كم من ليلةٍ
 طُلِقَ لذيذُ لَهْوِها ونِدامُها
 قدِ بَتَّ سامِرُها وغايةُ تاجرٍ
 وافيتُ إذ رُفِعت وعَزَّ مُدامُها
 أغلي السِّبَاءِ بكلِّ أدكنَ عاتقٍ
 أو جَوْنَةٍ قُدِحت وفُضَّ خِتامُها
 ...

من مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُم أَباؤُهُم
 ولكلِّ قومٍ سُنَّةٌ وإِمَامُها
 لا يطبعون(*) ولا يبورُ فعَالُهُم
 إذ لا تميل مع الهوى أحلامُها
 وإذا الأمانةُ قُسمت في مَعْشَرٍ
 أوفى بأوفرِ حَظِّنا قَسَّامُها
 فَبَنَى لَنَا بيتاً رفيعاً سَمَكُهُ
 فَسَمَا إِلَيْهِ كَهْلُها وُغْلَامُها
 وَهُمْ السُّعَاةُ إذا العشيرةُ أَفْظَعَتْ
 وَهُمْ فَوَارِشُها وَهُمْ حُكَّامُها.

(*) الطَّبَعُ: التَّدَنُّسُ والتَّلَطُّخُ.

... وفي الحُدُوجِ عَرُوبٌ غيرَ فاحشةٍ

رَيَّا الرُّوَادِفِ يَعْشَى دُونَهَا الْبَصَرُ

كَأَنَّ فَاهَا، إِذَا مَا اللَّيْلِ أَلْبَسَهَا،

سَيَّابَةً مَا بِهَا عَيْبٌ وَلَا أَثَرُ.

قالت غداةً انتجينا عند جارتها:

أنت الذي كنتَ، لولا الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ

فقلتُ: ليس بياض الرأسِ من كِبَرٍ

لو تعلمين، وعند العالمِ الْخَبَرُ

ما يمنع اللَّيْلُ مِنِّي ما هَمَمْتُ بِهِ

ولا أَحَارُ، إِذَا مَا اعتادني السَّفَرُ

ولا أقول إِذَا مَا أَزَمَةٌ أَزَمْتُ:

يا ويحَ نفسيَ مما أحدثَ القَدَرُ.

٣ - لا الفرح ولا الجزع

... فلا جَزَعٌ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا

وكلَّ فتى يوماً به الدَّهْرُ فَاجِعُ

فلا أنا يأتيني طَريفٌ بِفَرَحَةٍ

ولا أنا مِمَّا أحدثَ الدَّهْرُ جازِعُ

وما المرءُ إلا كالشَّهابِ وضوئه
يحوِرُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطِعُ
وما المَالُ والأهلونَ إلَّا وديعةُ
ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
أليس ورائي، إن ترأَّختُ منيَّتي
لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ؟

أخبر أخبارَ القُرونِ التي مضت
أدبُ كائي، كلِّما قمتُ، راعُ
فأصبحتُ مثلَ السِّيفِ غيَّرَ جفنه
تقادمُ عهدِ القَيْنِ والنَّصلِ قاطِعُ
فلا تَبعدنَ إن المنيَّةَ موعِدُ
عليك، فدانٍ للطلوعِ وطالِعُ.

٤ - الحمار الوحشي

يطرَّبُ آناءَ النَّهارِ كائنه
غويُّ سقاهُ في التَّجارِ نديمُ
أُميلت عليه قَرْقَفُ بابلِيَّةُ
لها، بعد كأسٍ في العظامِ هميمُ.

أخشى على أريدَ الحتوفَ ولا
أرهب نوءَ السّماكِ والأسدِ،
لم يُبلغِ العينَ كلَّ نَهْمَتِها
ليلةَ تُمسي الجيادُ كالقِدَدِ
... حلّو كريمٌ وفي حلاوته
مُرٌّ لطيفُ الأحشاءِ والكبدِ.

... وإذا رمتَ رَحِيلاً فارتحلْ
وَاعْصِ ما يأمرُ توصيمُ الكسلِ
وَأكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثَتْها
إنَّ صدقَ النَّفْسِ يُزْري بالأملِ
وأخو القفْرةِ ماضٍ همُّه
كلّما شاءَ على الأيْنِ ارتحلْ
... مِنْ حياةٍ قد مللنا طولها
وجَدِيرٌ طوْلُ عيشٍ أن يُملَّ.

٧ - لماذا العيش؟

... وإلا، فما بالموتِ ضُرٌّ لأهله
ولم يُبقِ هذا الدهرُ في العيشِ مندماً.

٨ - أمنية

تَمَنَّى ابنتاي أن يعيَشَ أبوهما
وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مضر؟
فقوما فقولا بالذي قد علمتما
ولا تَخْمِشا وجهاً، ولا تَحْلِقا شَعْرَ
وقولا هو المرءُ الذي لا خَلِيلَهُ
أضاعَ، ولا خانَ الصديقَ ولا غَدَرَ
إلى الحَوْلِ، ثم اسْمُ السَّلامِ عليكما
ومَنْ يَبْكُ حولاً كامِلاً، فقد اعتَذَرَ.

٩ - كلام الحبيبة

... كأنَّ الشَّمولَ خالطت في كلامها
جَنِيّاً من الرُّمانِ، لَدُنَّا وذابِلاً
يُشَنُّ عليها من سِلافةِ بارِقٍ
سَنّاً رَصَفاً من آخرِ اللَّيلِ سائِلاً.

١٠ - وداع الأرض

بَكْتْنَا أَرْضُنَا لَمَّا ظَعْنًا
وَحْيَيْنَا سُفِيرَةً وَالْغَيَامُ.

١١ - زوال

أَلَا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ، بَاطِلُ
وَكُلَّ نَعِيمٍ، لَا مَحَالَةَ، زَائِلُ
إِذَا الْمَرْءُ أُسْرَى لَيْلَةً ظَنَّ أَنَّهُ
قَضَى عَمَلًا، وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ أَمِلُ
حَبَائِلُهُ مَبْثُوثَةٌ بِسَبِيلِهِ
وَيَفْنَى إِذَا مَا أَخْطَأَتْهُ الْحَبَائِلُ
فَقُولَا لَهُ إِنْ كَانَ يَقْسِمُ أَمْرَهُ:
أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهْرُ؟ أَمْكَ هَابِلُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدَمْكَ نَفْسُكَ فَانْتَسَبْ
لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ.

١ - امرأة

أضاءت لنا النَّارَ وجهاً أغرَّ
مُلْتَبِساً بالفؤادِ التِّبَاسا
إذا ما الضَّجِيعُ ثنى جيدها
تَثَنَّتْ عليه - فكانت لباسا.

٢ - أدب الحرب

ولسنا نردَّ الرُّوحَ في جسم ميِّتٍ
ولكن نسلُّ الرُّوحَ مِمَّنْ تَيَسَّرَا،
مَلَكْنَا، فلم نكشف قناعاً لِحُرَّةٍ
ولم نَسْتَلِبْ إِلَّا الحديدَ المسمِّرا.

اسمه قيس، على الأرجح، وقيل حبان. هجر الأوثان ونهى عن الخمر
قبل ظهور الإسلام. أقام في بلاط الملوك اللخمييين في الحيرة. اشترك في
فتح فارس، وناصر علياً في صفين. توفي في أصفهان نحو ٦٧٠م = ٥٠هـ.

١ - نديم

... أَغَرَّ، رَاوَوْقُهُ مَلَّانُ صَافِيَةٌ

تَنْفِي الْقَذَى عَنْ جَبِينٍ غَيْرِ خَزْيَانٍ
أُمْسِي أُعَاطِيهِ كَأْساً لَذَّ مَشْرُبُهَا

كَالْمِسْكِ حُقَّتْ بِنَسْرِينَ وَرِيحَانٍ
سَبِيئَةٌ مِنْ قَرَى بِيْرُوتِ صَافِيَةٌ

عَذْرَاءٌ، أَوْ سُبَيْتٌ مِنْ أَرْضِ بَيْسَانَ
إِنَّا لَنَشْرُبُهَا حَتَّى تَمِيلَ بِنَا
كَمَا تَمَايَلُ وَشَنَانٌ بِوَشَنَانٍ.

٢ - خمرة

وَيَا رَبَّ يَوْمٍ قَدْ شَهِدْتُ بَنِي أَبِي
عَلَيْهَا، إِلَى أَنْ غَابَ تَالِيَةُ النَّجْمِ

هو عبد الرحمن بن سيحان. اشتهر بمجونه. مات نحو ٦٧٠ م = ٥٥٠ هـ.

حَسَوْهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ
تُدَارُ عَلَيْهِم بِالصَّغِيرِ وَبِالضَّخْمِ
فَمَاتُوا وَعَاشُوا وَالْمُدَامَةُ بَيْنَهُمْ
مُشْعَشَعَةٌ كَالنَّجْمِ تُوصَفُ بِالْوَهْمِ.

٣ - سكرة

بَاتَ الْوَلِيدُ يُعَاطِينِي مُشْعَشَعَةً
حَتَّى هَوَيْتُ صَرِيحاً بَيْنَ أَصْحَابِي
لَا أُسْتَطِيعُ نَهَوْضاً إِنْ هَمَمْتُ بِهِ
وَمَا أُنْهِنُهُ مِنْ حَسْوٍ وَتَشْرَابٍ
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَاحَتْ لِي جَوَانِبُهُ
وَلَّيْتُ أُسْحَبُ نَحْوَ الْقَوْمِ أَثْوَابِي،
كَأَنِّي مِنْ حُمَيَّا كَأْسِهِ جَمَلٌ
صَحَّتْ قَوَائِمُهُ مِنْ بَعْدِ أَوْصَابٍ.

ابن ذي الحُبَّكَ النَّهْدِي

شهوة الضلال

لَعَمْرِي إِنْ أَطَرَدْتَنِي، مَا إِلَى الَّذِي
طَمَعْتَ بِهِ مِنْ سَفْطَتِي سَبِيلُ
رَجَوْتَ رَجوعي يَا بَنَ أَزْوى وَرَجَعْتِي
إِلَى الْحَقِّ زَهْواً، غَالِ حَلْمَكَ غُولُ
وَإِنَّ اغْتِرَابِي فِي الْبِلَادِ وَجَفَوْتِي
وَشَتْمِي فِي ذَاتِ الْإِلَهِ قَلِيلُ.

اسمه كعب. ممن اشتركوا في قتل الخليفة عثمان. اتهم بالسحر. لا يعرف تاريخ موته.

سُحيم بن وثيل الرِّياحي

ويحك لولا الخمرور

تقولُ حَذْرَاءُ: ليس فيكَ

سوى الخمر معيب يعيبه أحدُ

فقلتُ: أخطأتِ، بل معاقرتي

الخمرَ وبَذلي فيها الذي أجْدُ

هو الثَّنَاءُ الذي سمعتِ بهِ

لا سَبَدٌ مُخلدي ولا لَبَدٌ(*) .

وَيُحَكِّ لولا الخمرورُ لم أحفلِ

العيشَ ولا أنْ يضمَّنِي لَحْدُ

هي الحَيَا والحياةُ واللَّهْوُ

لا أَنْتِ ولا ثَرْوَةٌ ولا وَلَدُ .

أدرك في الجاهلية أربعين سنة، وفي الإسلام ستين، كما يروى .
(*) لا سبد مخلدي ولا لبد: لا يخلدني شيء - لا القليل ولا الكثير .

الغد القريب

عسى الكَرْبُ الذي أَمْسَيْتَ فِيهِ
يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرْجٌ قَرِيبٌ
فِيأْمَنَ خَائِفٌ، وَيُفَكُّ عَانٍ
وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْغَرِيبُ،

أَلَا لَيْتَ الرِّيحَ مُسَخَّرَاتٍ
بِحَاجَتِنَا، تُبَاكِرُ أَوْ تُوُوبُ
فَتُخْبِرُنَا الشَّمَالَ إِذَا أَتَتْنَا
وَتُخْبِرُ أَهْلَنَا عَنَّا الْجَنُوبُ،

فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلَّى
فَإِنَّ غَدًا لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ.

حبس وقتل ثاراً نحو ٦٧٠ م = ٥٠ هـ.

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ

١ - النَّبِيُّ

خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ
كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ.

٢ - النَّبِيُّ

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ
وَقُدَّسَ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
تَرَحَّلَ عَنْ قَوْمٍ فَضَلَّتْ عَقُولُهُمْ
وَحَلَّ عَلَى قَوْمٍ بَنُورٌ مُجَدِّدٍ
نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ
وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ
وَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةً غَائِبٍ
فَتَصْدِيقُهَا فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى الْغَدِ.

توفي نحو ٦٧٤ م = ٥٤ هـ.

٣ - النبي

رَسُولٌ نَصَدَّقُ: مَا جَاءَهُ

من الوحي، كان سراجاً منيراً.

٤ - الأعداء

وَقَوْمٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ زَوْرٍ كَأَنَّمَا

بأجوافهم، مِمَّا تُجِنُّ لَنَا، الْجَمْرُ

يجيشُ بما فيه لَنَا الصَّدْرُ مثلاً

تجيشُ بما فيها من اللَّهَبِ الْقِدْرُ.

٥ - عطاء

لِسَانِي وَسِيفِي صَارْمَانِ، كِلَاهُمَا

وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ، مِزُودِي(*)

وإنَّ أَكْ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ أَجْدُ بِهِ

وإنَّ يُعْتَصِرُ عَوْدِي، عَلَى الْجُهْدِ، يُحْمَدِ

وإنِّي لَمُعْطٍ مَا وَجَدْتُ، وَقَائِلٌ

لموقدِ ناري، لَيْلَةَ الرِّيحِ، أَوْقَدِ

(*) المزود: اللسان.

وَإِنِّي لَقَوَّالٌ لِّذِي الْبَثِّ مَرْحَباً
وَأَهْلَاءَ، إِذَا مَا رِيعَ مِنْ كُلِّ مَرْصَدٍ
وَإِنِّي لَحَلُّوْ تَعْتَرِينِي مَرَارَةً
وَإِنِّي لَشَرَّاءُ لِمَا لَمْ أُعَوِّدِ.

٦ - فكرة

رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ،
وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ.

٧ - رفقة

لِّلَّهِ دَرٌّ عِصَابَةٍ نَادِمَتْهُمْ
يَوْماً بِجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

الضَّارِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بِيضُهُ
ضَرْباً يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصَلِ
وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيَّتِهِمْ
وَالْمُنْعَمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُزْمَلِ

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمَرَ فِي حَانُوتِهَا
صُهْبَاءَ، صَافِيَةً، كَطَعْمِ الْفُلْفُلِ

يَسْعَى عَلَيَّ بِكَأْسِهَا مُتَنَطِّفٌ
فَيُعَلِّنِي مِنْهَا وَلَوْ لَمْ أَنَّهُلِ
إِنَّ الَّتِي نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا
قُتِلْتُ، قُتِلْتُ، فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ
بِزَجَاجَةٍ رَقَصْتُ لَهَا فِي قَعْرِهَا
رَقَصَ الْقُلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعْجِلٍ.

٨ - امرأة

هَمُّهَا الْعَطَرُ وَالْفِرَاشُ، وَيَعْلُوها
لَجِينٌ وَلَوْلُؤٌ مَنْظُومٌ
لَوْ يَدَبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ.

٩ - فن

لَا أَسْرِقُ الشُّعْرَاءَ مَا نَطَقُوا
بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْرِي
إِنِّي أَبَى لِي ذَلِكَمْ حَسَبِي
وَمَقَالَةٌ كَمَقَالِ الصَّخْرِ.

إذا انصرفت نفسي عن الشَّيْءِ مرَّةً
فلستُ إليه، آخرَ الدَّهرِ، مُقْبِلاً.

١١ - كلَّ يوم

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدِّ
سِبَابٍ، أَوْ قِتَالٍ، أَوْ هَجَاءٍ
فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مِنْ هَجَانَا
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
أَلَا أَبْلُغُ أَبَا سَفِيَّانَ عَنِّي:
فَأَنْتَ مَجُوفٌ، نَخِبٌ، هَوَاءٌ (*).

١٢ - لو كنت حرّاً

أَبَا لَهَبٍ، أَبْلُغْ بَأْنَ مُحَمَّدًا
سَيَعْلُو بِمَا أَدَّى، وَإِنْ كُنْتَ رَاغِمًا
وَلَوْ كُنْتَ حُرّاً فِي أُرُومَةِ هَاشِمٍ
وَفِي سِرِّهَا مِنْهُمْ، مَنَعْتَ الْمَظَالِمَا

(*) معاني الكلمات الثلاث تباعاً: جبان، لا فؤادَ له، خالٍ من العقل.

ولكنّ لِحَيَانَا أَبُوكَ وَرِثَتَهُ
ومأوى الخنا منهم، فدع عنك هاشمًا
سَمَت هَاشِمٌ لِلْمَكْرَمَاتِ وَلِلْعَلَى
وغودرت في كَأْبٍ (*) من اللّؤم جاثمًا.

١٣ - النّبِيّ

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاطِرِي فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلِيْمْتُ فَعَلَيْكَ، كُنْتُ أَحَاذِرُ.

١٤ - أَخْلَاءُ

أَخْلَاءُ الرَّخَاءِ هُمْ كَثِيرٌ
ولكن في البلاء هُمْ قَلِيلُ
فَلَا يَغْرُزُكَ خُلَّةٌ مِنْ تُوَّأَخِي
فَمَا لَكَ عِنْدَ نَائِبَةِ خَلِيلُ.

١٥ - قَوْمٌ

لَا بِأَسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طَوِيلٍ وَمِنْ عِظَمٍ:
جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ.

(*) الكَأْب: سوء الحال، والغَم، والانكسار.

- ١ -

وإنّما الشعر لبّ المرء يعرضه
على المجالس، إنّ كَيْساً وإنّ حُمُقاً
وإنّ أشعر بيتٍ أنتَ قائله
بيتٌ يقال، إذا أنشدته، صدقاً.

- ٢ -

تَغْنَّ في كلّ شعرٍ أنتَ قائله
إن الغناء لهذا الشعر مضمارُ
يَمِيزُ مُكْفَأً(*) عنه، ويعزله
كما تَمِيزُ خبيثَ الفضّةِ النَّارُ.

(*) المكفأ: الفاسد.

كعب بن جُعَيْل التَّغْلَبِيّ

١- امرأة

ثَوْتُ نَصَفِ شَهْرٍ تَحْسِبُ الشَّهْرَ لَيْلَةً
تُنَاغِي غَزَالاً سَاجِي الطَّرْفِ أَحْوَرَا
تَزِينُ حَتَّى تَسْلُبَ الْمَرْءَ عَقْلَهُ
وَحَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِيهَا وَيَسْكُرَا.

٢- الضَّرْع

... فلم أَسْتَطِعْ إدْرَاكَهُ بعدما مَضَى
وكيف يَرُدُّ الدَّرَّ فِي الضَّرْعِ حَالِبُهُ؟

توفي نحو ٦٧٥ م = ٥٥٥ هـ.

كَرَم

وَمُسْتَنْبِجٍ بَعْدَ الْهَدْوِ دَعْوَتُهُ
 وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ الشَّتَاءِ خَفُوقُ
 يُعَالِجُ عِرْنِيناً مِنَ اللَّيْلِ بَارِداً
 تَلَفَ رِيَاخُ ثَوْبَهُ وَبَرُوقُ
 تَأَلَّقُ فِي عَيْنٍ مِنَ الْمَزْنِ وَادِقِ
 لَهُ هَيْدَبٌ دَانِي السَّحَابِ دُفُوقُ،

أَضْفْتُ، فَلَمْ أَفْجِشْ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَقْلُ
 لِأَحْرَمَهُ: إِنَّ الْمَكَانَ مَضِيقُ -
 لِعَمْرِكَ مَا ضَاقَتْ بِلَادٌ بِأَهْلِهَا
 وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ.

اشتهر بجماله وشرفه. وهو الذي قال النبي بصدد شعره الكلمة المأثورة:
 «إن من الشعر لحكماً وإن من البيان لسحراً» مات نحو ٦٧٧ م = ٥٧ هـ.

١ - امرأة

يَظَلُّ ضَجِيعُهَا أَرْجاً عَلَيْهِ
مَفَارِقُهَا، مِنْ الْمُسْكِ الذَّكِيِّ
يُعَاشِرُهَا السَّعِيدُ وَلَا تَرَاهَا
يَعَاشِرُ مِثْلَهَا جَدُّ الشَّقِيِّ
فَمَا لَكَ غَيْرَ تَنْظَارٍ إِلَيْهَا
كَمَا نَظَرَ الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ.

٢ - ضوء المجد

نَمْشِي عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابٍ أَضَاءَ لَنَا
كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلسَّارِي.

اسمه جرول. يروى أنه كان لا يعرف له أباً معيناً ولا يعرف أنه ينتمي
لقبيلة معينة. هجا أمه وهجرها لأنها لم تدله على أبيه. اشتهر ببخله
وسخريته. مات نحو ٦٨٠ م = ٥٩ هـ.

٣ - وجه الشاعر

أَبَتْ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمًا
بَشُرًّا - فَمَا أُدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهَ اللَّهُ خَلْقَهُ
فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ.

٤ - البخيل

كَدَحْتُ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتُ مِعُولِي
فَصَادَفْتُ جَلْمُودًا مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسًا
تَشَاغَلَ لَمَّا جِئْتُ فِي وَجْهِ حَاجَتِي
وَأَطْرَقَ حَتَّى قَلْتُ قَدْ مَاتَ أَوْ عَسَى.

٥ - اليأس

أَزْمَعْتُ يَأْسًا مَبِينًا مِنْ نَوَالِكُمُ
وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحَرِّ كَالْيَاسِ،
... دَعِ الْمَكَارِمَ - لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِهَا
وَأَقْعُدْ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي.

وطاوي ثلاثٍ عاصِبِ البَطْنِ، مُزْمِلٍ

ببيداء، لم يعرف بها ساكِنٌ رَسْمًا

أخي جَفُوءٍ، فيه من الإنسِ وَخَشَةٌ

يرى البؤسَ فيها، من شراسته، نُعْمَى

تفرَّدَ في شِغْبٍ عَجُوزاً، إزاءها

ثلاثة أشباحٍ تخالُهُمَ بِهِمَا

عُفَاةٌ عِراةٌ ما اغتذوا خبزَ مَلَّةٍ

ولا عرفوا لِلْبُرِّ، مذ خُلِقُوا، طُعْمًا،

رأى شَبَحاً وَشَطَّ الظَّلَامِ فِراعه

فلَمَّا بدا ضيفاً، تصوّرَ واهتَمَّا

فقال ابنه، لَمَّا رآه بِحيرةٍ،

أيا أَبَتِ ادْبَحْنِي، وَيَسِّرْ له طُعْمًا

ولا تَعْتَذِرْ بالعُذْمِ، علَّ الذي طَرَا

يظنُّ لنا مالاً، فيوسِعنا ذَمًّا،

فروى قليلاً، ثم أحجمَ بُرْهةً

وإن هو لم يذبح فَتاه، فقد هَمًّا

وقال: هَيَا رَبَّاهُ! ضَيْفٌ وَلَا قِرَى!
بِحَقِّكَ، لَا تَحْرِمُهُ تَا اللَّيْلَةَ اللَّحْمَا.

فبيناهُم، عَنَّتْ عَلَى الْبَعْدِ عَانَةٌ
قَدْ انْتَضَمَتْ مِنْ خَلْفِ مِسْحَلِهَا نِظْمَا
ظِمَاءٌ تُرِيدُ الْمَاءَ، فَاَنْسَابَ نَحْوَهَا
عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دَمِهَا أَظْمَا
فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوْتَ عِطَاشُهَا
فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمَا.
... فَيَا بَشْرَهُ، إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ أَهْلِهِ
وَيَا بَشْرَهُمَ لَمَّا رَأَوْا كَلَمَهَا يَذْمَى!

١ - خواطر

بَسَطْتَ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا

فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ

حَرَّةٌ تَجْلُو شَتِيَّتاً وَاضِحاً

كَشَعَاءِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعَ

صَقْلَتُهُ بِقَضِيْبٍ نَاضِرٍ

مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعُ

أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذاً طَعْمُهُ

طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعُ

تَمْنَحُ الْمِرَاةَ وَجْهاً وَاضِحاً

مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصَّحْوِ ارْتَفَعُ،

لَا أُلَاقِيهَا، وَقَلْبِي عِنْدَهَا

غَيْرَ إِمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعُ...

وكذاك الحبُّ ما أشجعه
يركب الهول ويعصي مَنْ وَزَعُ،
فأبيت اللَّيْلَ ما أرقُده
ويُعَنِّيني إذا نجمٌ طلعُ
وإذا ما قلتَ ليلٌ قد مضى
عطف الأول منه فرجعُ
يسحبُ اللَّيْلُ نجومًا ظُلَعًا
فتواليها بطيئاتُ التَّبَعِ
ويُزجِّيها على إبطائها
مُغْرَبُ اللَّوْنِ، إذا اللَّيْلُ انْقَشَعُ.

كيف باستقرار حُرٍّ ساخِطٍ
ببلادٍ ليسَ فيها مُتَسَعٍ؟
لا يُريدُ الدَّهْرَ عنها حَوْلًا
جُرْعُ الموتِ، وللموتِ جُرْعُ،
رُبَّ مَنْ أنضجتُ غيظاً صدره
قد تمنى لي شراً لم يُطْعِ
ويراني كالشَّجَا في حَلْقِهِ
عَسِيراً مخرجه ما يُنْتَزَعُ

مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرْنِي
فَإِذَا أَسْمَعْتَهُ صَوْتِي انْقَمَعَ
وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ
وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ...

... فَرَّ مِنِّي، هَارِباً شَيْطَانُهُ
حَيْثُ لَا يُعْطِي وَلَا شَيْئاً مَنَعَ
فَرَّ مِنِّي حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ
مُوقِرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ الْمُتَضَعِ
سَاجِدَ الْمُنْخَرِ لَا يَرْفَعُهُ
خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ الْمُسْتَمِعِ
وَأَرَى مِنِّي مَقَاماً صَادِقاً
ثَابِتَ الْمَوْطِنِ كَتَّامَ الْوَجَعِ
وَلِسَاناً صَيْرَفِيّاً صَارِماً
كَحْسَامِ السَّيْفِ، مَا مَسَّ قَطَعُ.

١ - مرثية شخصية

... تذكّرتُ من يبكي عليّ فلم أجد

سوى السّيف والرّمح الردينيّ باكِيا

فيا صاحِبِي رَحْلي، دنا الموت فانزلا

برابية، إنّي مُقيمٌ لِياليا

أقيما عَلَيّ اليوم أو بعض ليلة

ولا تعجلاني، قد تبَيَّن ما بيا

وخطًا بأطراف الأسنّة مضجعي

وردًا على عينيّ فُضِّل ردائيا

ولا تحسداني، بارك الله فيكما،

من الأرض ذات العَرَض أن تُوسعا ليا

خُذاني فُجْراني بِبُرْدي إليكما

فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قياديا.

كان فارساً فاتكاً. هجا الحجاج. لدغته أفعى في طريقه إلى خراسان
فمات نحو ٦٨٠م = ٦٠هـ. (يروى أن الجن وضعت قصيدته الياثية مكتوبة
تحت رأسه بعد موته).

... فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَرَاحاً وَمَزْحَلاً

بِعَيْسٍ إِلَى رِيحِ الْفَلَاةِ صَوَادِي -

فَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ

وَكُلِّ بِلَادٍ أَوْطَنْتُ، كِبْلَادِي.

١ - صورة شخصية

أَيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي
حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجُوزَاءُ
وَاسْتَكَنَّ الْعَصْفُورُ كَرَهَا مَعَ الضَّبِّ
وَأَوْفَى فِي عَوْدِهِ الْحَرْبَاءُ
وَنَفَى الْجَنْدُبُ الْحَصَا بِكَرَاعِيهِ
وَأَذَكَّتْ نِيرَانُهَا الْمِغْزَاءُ
مِنْ سَمُومٍ كَأَنَّهَا نَفَخُ نَارٍ
سَعَّرَتْهَا الْهَجِيرَةُ الْعَمَاءُ،
... وَإِذَا أَهْلُ بَلَدٍ أَنْكَرُونِي
عَرَفْتَنِي الدَّوِيَّةُ الْمَلَسَاءُ.

اسمه المنذر، وقيل حرملة. اشتهر بجماله. أدرك الإسلام ولم يسلم.
مات في الرقة نحو ٦٨٢م = ٦٢هـ.

٢ - صورة وصفية

وَأَنْتَ امْرُؤٌ مِّنَّا، خُلِقْتَ لِغَيْرِنَا
حَيَاتُكَ لَا تُرْجَى، وَمَوْتُكَ فَاجِعٌ.

٣ - الموت شر جديد

... كُلِّ مَيِّتٍ قَدْ اغْتَفَرْتُ،
فَلَا أَجْزَعُ مِنْ وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ،
رُبَّ مُسْتَلْحِمٍ عَلَيْهِ ظِلَالُ الْمَوْتِ،
لَهْفَانٌ، جَاهِدِ مَجْهُودٍ
خَارِجٍ نَاجِذَاهُ، قَدْ بَرَدَ الْمَوْتُ
عَلَى مُصْطَلَاهُ أَيَّ بُرُودٍ
غَابَ عَنْهُ الْأَدْنَى وَقَدْ وَرَدَتْ
سُمْرُ الْعَوَالِي إِلَيْهِ أَيَّ وُرُودٍ،
ثُمَّ أَنْقَذَتْهُ وَفَرَّجَتْ عَنْهُ
بَغَمُوسٍ أَوْ ضَرْبَةٍ أُخْدُودٍ
يَشْتَكِيهَا: بِقَدْرِكَ! إِذْ بَاشَرَ الْمَوْتَ
جَدِيدًا، وَالْمَوْتَ شَرًّا جَدِيدًا.

١ - أُمْنِيَّة (*)

أَقُولُ، وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ
وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ
يَا لَيْتَ أَنِّي بِأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي
عَبْدٌ لِأَهْلِكَ، هَذَا الشَّهْرَ، مُؤْتَجَرٌ،

... جِنِيَّةٌ، أَوْلَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا
رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَا لَهَا وَتَرٌ.

٢ - كَابَةٌ

... وَبِتُ كُئِيْبًا مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا
خِلَالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ

اسمه وهب. اشتهر بجماله وبجبه لامرأة اسمها عمرة كان يجتمع إليها الشعراء لإنشاد الشعر والكلام عليه. مات نحو ٦٨٢م = ٦٣هـ.
(*) أبيات من قصيدة تروى أيضاً لمحمد بن بشير الخارجي.

فَطَوْرًا أُمْنِي النَّفْسَ مِنْ عَمْرَةِ الْمَنَى
وَطَوْرًا إِذَا مَا لَجَّ بِي الْحَزَنُ أَنْشَجُ.

٣ - سحر

إِنْ كَانَ هَذَا السَّحَرُ مِنْكَ فَلَا
تُرْعِي عَلَيَّ، وَجَدِّدِي السَّحْرَا.

٤ - نسوان

وصافيتُ نِسْواناً فلم أَرِ فِيهِمْ
هَوَايَ وَلَا الْوَدَّ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُ
أَلَيْسَ عَجِيباً أَنْ نَكُونَ بِبِلْدَةٍ
كَلَانَا بِهَا ثَاوٍ، وَلَا نَتَكَلَّمُ؟

٥ - ولقد قلت (*)

ولقد قلتُ، إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي
وَتَقَلَّبَتْ لَيْلَتِي فِي فَنُونٍ:
لَيْتَ شَعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارِ نَوْمِي
أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجَفُونِ؟

(*) من أبيات تروى أيضاً لعبد الرحمن بن حسان.

٦ - إلى عاتكة

أَتَنْسِينَ أَيَّامِي بِرَبْعِكَ مُدْنَفَاً
صريعاً بأرض الشَّامِ، ذا سَقَمٍ، مُلْقَى
وليس صَدِيقٌ يُرْتَضَى لِوَصِيَّةٍ
وأدعو لدائي بالشَّرَابِ، فما أُسْقَى
وأكبر هَمِّي أَنْ أَرَى لَكَ مُرْسَلاً
فطولَ نَهَارِي جَالِسٌ أَرْقُبُ الطَّرْقَا،
فواكِدِي، إذ ليس لي مِنْكَ مَجْلِسٌ
فأشكو الذي بي مِنْ هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى.

٧ - ندم

فوا نَدَمِي أَنْ لَمْ أَعُجْ إِذْ تَقُولُ لِي
تَقَدَّمَ فَشَيَّعْنَا إِلَى ضُحْوَةِ الْغَدِ، -
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
سوى ذِكْرِهَا، كَالْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ.

٨ - الخط

... وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطًّا فِي وَجُوهِهِمْ
تَبِينُ أَخْلَاقَهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا.

قراية

وذي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ

بِحِلْمِي عَنْهُ، وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ

يُحَاوِلُ رَغْمِي، لَا يُحَاوِلُ غَيْرَهُ

وَكَالْمَوْتِ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ الرَّغْمُ.

إِذَا سَمَّيْتُهُ وَضَلَّ الْقَرَابَةَ، سَامَنِي

قَطِيعَتَهَا - تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطَّفِ

عَلَيْهِ، كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمِّ

لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّغْنَ حَتَّى اسْتَلَلْتُهُ

وَقَدْ كَانَ ذَا حِقْدٍ يَضِيقُ بِهِ الْجِرْمُ.

عمرو بن أحمر الباهلي

١ - ملّوا البلاد وملّتهم

لسنا بأجساد عادٍ في طبائِعنا

لا نألم الشرَّ حتّى يَألمَ الحجرُ، -

... إن نحن إلاّ أناسُ أهلِ سائمةٍ

ما إن لنا دونها حرثٌ ولا غررُ

ملّوا البلادَ وملّتهم وأحرقهم

ظلم السُّعاةُ، وباد الماءُ والشَّجرُ.

٢ - عينان

أبّت عيناكُ إلاّ أن تلجّأ

وتختالا بمائهما اختيالا

... وهى خَرَزَاهُما فالماء يجري

خلالهما وينسلّ انسلالا.

مات نحو ٦٨٥ م = ٦٥ هـ.

عَدِيَّ بن حاتم الطَّائِي

١ - شيخوخة

أصبحْتُ لا أنفعُ الصَّدِيقَ ولا
أملكُ ضرّاً لِلسَّانِي الشَّرِسِ
وإن جرى بي الجواد مُنْطَلِقاً
لم تملكِ الكفُّ رجعةَ الفرسِ .

٢ - استسلام

سأتركُ ما أردتُ لما أردتُم
ورُدُّكَ مَنْ عَصَاكَ مِنَ العَنَاءِ
لأنِّي مِنْ مَسَاءَتِكُمْ بَعِيدٌ
كَبُعْدِ الأَرْضِ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ
وإنِّي لا أكونُ بغيرِ قومي
فليس الدَّلُّو إلاَّ بالرُّشَاءِ .

مات نحو ٦٨٧ م = ٦٨ هـ .

الأُبَيْرِدُ الرِّيَّاحِي الِيزْبُوعِي

مرثية أخ

ولمَّا نَعَى النَّاعِي بُرَيْدًا تَغَوَّلَتْ

بِي الْأَرْضُ، فَزَطَ الْحَزَنُ، وانْقَطَعَ الظَّهْرُ

عَسَاكِرُ تَغَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّنِي

أَخُو سَكْرَةٍ طَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ.

لم يمتدح أحداً. مات نحو ٦٨٨ م = ٦٨ هـ.

١ - بعد لبني

يقولون: لبني فثنة، كنت قبلها
بخير، فلا تندم عليها وطلّق،

كأنّي أرى الناس المحبّين بعدها
عُصارة ماء الحنظل المتفلّق
فثنكر عيني بعدها كلّ منظرٍ
ويكره سَمعي بعدها كلّ منطِق.

٢ - غراب البين

لقد نادى الغرابُ ببين لبني
فطار القلب من حذر الغرابِ

اشتهر بحبه للبني، تزوجها ثم طلقها بضغط من أبويه لأنها لم تنجب له
ولداً. وأمضى بقية حياته يتحسر على طلاقها. حين ماتت بكى على قبرها
حتى أغمى عليه، ويروى أنه بقي لا يكلم أحداً حتى مات بعد ذلك بثلاثة
أيام، نحو ٦٨٨ م = ٦٨ هـ.

وقال: غَدًا تَبَاعَدُ دَارُ لُبْنَى
وَتَنَأَى بَعْدُ وَدُّ وَاقْتِرَابِ.

٣ - غراب البين

أَلَا يَا غَرَابَ الْبَيْنِ وَيَحَكَ نَبْنَى
بِعِلْمِكَ فِي لُبْنَى، وَأَنْتَ خَبِيرُ
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تُخْبِرْ بِمَا قَدْ عَلِمْتَهُ
فَلَا طِرْتَ إِلَّا وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
وَدُرْتَ بِأَعْدَاءِ حَبِيبِكَ فِيهِمْ
كَمَا قَدْ تَرَانِي بِالْحَبِيبِ أَدُورُ.

٤ - اسم لبني

وَمَا أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمْ وَلَكِنْ
أَقْبَلُ إِثْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرَابَا
لَقَدْ لَاقَيْتُ مِنْ كَلْفِي بِلُبْنَى
بَلَاءَ مَا أُسَيِّغُ بِهِ الشَّرَابَا
إِذَا نَادَى الْمَنَادِي بِاسْمِ لُبْنَى
عَيْيْتُ، فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابَا.

٥ - كلام لبني

ولو أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاةً قَالَتْ:

غَدَرْتُ، وماءٌ مُقْلَتِهَا يَسِيلُ

نَحَرْتُ النَّفْسَ حِينَ سَمِعْتُ مِنْهَا

مَقَالَتِهَا، وَذَاكَ لَهَا قَلِيلُ،

شَفِيتُ غَلِيلَ نَفْسِي مِنْ فِعَالِي

وَلَمْ أَغْبِرْ، بَلَا عَقْلٍ أَجُولُ.

٦ - ذكرى لبني

... وَتَنَفَّسْتُ إِذْ ذَكَرْتُكَ حَتَّى

زَالَتِ الْيَوْمَ عَنْ فَوَادِي ضُلُوعِي

أَتَنَاسَاكَ كِي يُرِيغَ فَوَادِي

ثُمَّ يَشْتَدُّ عِنْدَ ذَاكَ وَلُوعِي.

٧ - يقر بعيني (*)

يَقْرُ بَعِينِي قَرَبَهَا وَيَزِيدُنِي

بِهَا كَلْفًا، مَنْ كَانَ عِنْدِي يَعْيبُهَا

(*) البيتان ينسبان أيضاً للمجنون العامري.

وكم قائلٍ قد قال: تُب، فعصيته
وتلك لعمري توبةٌ لا أئوبها.

٨ - لبنى والصيد

إذا خدرت رجلي تذكّرتُ مَنْ لها
فناديتُ لبني باسمِها ودعوتُ
دعوتُ التي لو أنّ نفسي تُطيعني
لفارقتها من حبّها وقضيتُ
برت نبلها للصّيد لبني وريّشتُ
وريّشتُ أخرى مثلها وبريتُ
فلما رمثني أقصدتني بسهمِها
وأخطأتها بالسهم حين رميتُ،
وفارقتُ لبني ضلّةً، فكأني
قُرنتُ إلى العيوق ثمّ هويتُ.

٩ - بعد الموت

تعلّق روعي روحها قبل خلقنا
ومن بعد ما كنّا نطافاً، وفي المهدِ
فزادَ كما زدنا فأصبح نامياً
وليس إذا مثنا بمُنصرِمِ العهدِ

ولكنَّه باقٍ على كلِّ حادثٍ
وزائرنا في ظلمة القبرِ واللحدِ.

١٠ - لقد خفت

لقد خِفْتُ أَلَّا تَقْنَعَ النَّفْسَ بَعْدَهَا
بشيءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ مَقْنَعًا
وَأَزْجَرُ عَنْهَا النَّفْسَ، إِذْ حِيلَ دُونَهَا
وَتَأْبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطْلُعَا.

١١ - هول الحب (*)

تَهَيَّضَنِي مِنْ حَبِّ لُبْنَى عَلَائِقُ
وَأَصْنَافُ حَبِّ هَوْلَهِنَّ عَظِيمُ
أَفِي الْحَقُّ هَذَا أَنَّ قَلْبَكَ فَارِغٌ
صَاحِحٌ، وَقَلْبِي فِي هَوَاكِ سَقِيمٌ؟

١٢ - وإن تك لبني

وإن تَكُ لُبْنَى قَدْ أَتَى دُونَ قُرْبِهَا
حِجَابٌ مَنِيْعٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

(*) البيتان ينسبان أيضاً للمجنون العامري.

فَإِنَّ نَسِيمَ الْجَوِّ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَنُبْصِرَ قَرْنَ الشَّمْسِ حِينَ تَزُولُ
وَأَرْوَا حُنَا بِاللَّيْلِ فِي الْحَيِّ تَلْتَقِي
وَنَعْلَمُ أَنَّا بِالنَّهَارِ نَقِيلُ
وَتَجْمَعُنَا الْأَرْضُ الْقَرَارُ وَفَوْقَنَا
سَمَاءٌ نَرَى فِيهَا النُّجُومَ تَجُولُ.

١٣ - راحة اليأس

وَيَوْمَ مِنِّي أَعْرَضْتَ عَنِّي فَلَمْ أَقْلُ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ عِنْدَ لَبْنَى مَقَالِهَا
وَفِي الْيَأْسِ لِلنَّفْسِ الْمَرِيضَةِ رَاحَةٌ
إِذَا النَّفْسُ رَامَتْ خُطَّةً لَا تَنَالُهَا.

١٤ - الحريق

بِلُبْنَى أُنَادَى عِنْدَ أَوَّلِ غَشِيَةٍ
وَيُثْنِي بِهَا الدَّاعِي لَهَا فَأَفِيقُ،
إِذَا أَنَا عَزَيْتَ الْهُوَى أَوْ تَرَكْتُهُ
أَتَتْ عَبَرَاتُ بِالدَّمْعِ تَسُوقُ
كَأَنَّ الْهُوَى بَيْنَ الْحِيَازِيمِ وَالْحَشَا
وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَاللَّهَاءِ، حَرِيقُ.

١٥ - لقد عذبتني

لقد عذبتني يَا حُبَّ لُبْنَى
فَقَعُ إِمَّا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ،
وقال الأقربون: تَعَزَّ عنها
فقلت لهم إذاً، حانت وفاتي.

١٦ - بين الحشا والنحر

... وبين الحشا والنَّحْرِ مني حَرَارَةٌ
وَلَوْعَةٌ وَجِدٍ تتركُ القلبَ سَاهِيَا،
ألا لَيْتَ لُبْنَى لم تكن لِي خُلَّةً
ولم تَرَنِي لُبْنَى، ولم أذِرْ مَا هِيَ.

١٧ - أعالج من نفسي

أُعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بِقَايَا حُشَاشَةٍ
على رَمَقٍ والعائداتُ تَعُودُ
فإن ذُكِرَتْ لُبْنَى هَشِشْتُ لِذِكْرِهَا
كما هَشَّ لِلْيَدِي الدَّرُورِ وَلِيَدُ،
أَجِيبُ بِلُبْنَى مَنْ دَعَانِي، تَجَلِّدًا
وبِي زَفَرَاتُ تَنْجَلِي وتعودُ.

١٨ - نهاري نهار الوالهيْن

تُبْكِي عَلَى لَبْنِي، وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا

وَكُنْتَ كَأَنَّ غَيَّهْ وَهُوَ طَائِعُ

كَأَنَّكَ بِدْعٍ لَمْ تَرَ النَّاسَ قَبْلَهَا

وَلَمْ يَطْلِعْكَ الدَّهْرُ فِي مَنْ يُطَالِعُ،

نَهَارِي نَهَارُ الْوَالِهَيْنَ صَبَابَةً

وَلَيْلِي تَنْبُو فِيهِ عَنِّي الْمَضَاجِعُ

فَلَوْلَا رَجَاءُ الْقَلْبِ أَنْ تُسْعَفَ النَّوَى

لَمَا حَبَسَتْهُ بَيْنَهُنَّ الْأَضَالِعُ

لَهُ وَجَبَاتٌ إِثْرَ لَبْنِي كَأَنَّهَا

شَقَائِقُ بَرْقٍ فِي السَّمَاءِ لَوَامِعُ.

١٩ - النوم (*)

وَإِنِّي لِأَهْوَى النَّوْمَ فِي غَيْرِ حِينِهِ

لَعَلَّ لِقَاءَ فِي الْمَنَامِ يَكُونُ

وَإِنَّ فَوَّادِي لَا يَلِينُ إِلَى هَوَى

سَوَاكِ، وَإِنْ قَالُوا: بَلَى سِيلِينُ.

(*) البيتان ينسبان أيضاً للمجنون العامري.

٢٠ - أصناف الحب

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد
لها مثلاً في سائر الناس يُوصفُ
فمنهنَّ حبٌّ للحبيبِ ورَحْمَةٌ
بمعرفتي منه بما يتكَلَّفُ
ومنهنَّ ألاَّ يعرضَ الدهرَ ذكرها
على القلبِ، إلاَّ كادت النفس تُلَفُّ
وحبُّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ
وحبُّ لدى نفسي من الروحِ ألطفُ.

عبيد الله بن الحرّ الجُعفيّ

١ - أقول لفتيان

أقول لِفَتِيَانٍ مَسَاعِرٍ إِسْرَحُوا
بأموالكم، أو تهلكوا في الهوالكِ
فمَنْ يَكُ أَمْسَى الزَّعْفَرَانُ خَلْوَهُ
فإنَّ خَلْوَقِي مُسْتَثَارُ السَّنَابِكِ.

٢ - لا مبالاة

إِذَا كُنْتَ ذَا رَمَحٍ وَسَيْفٍ مَصْمَمٍ
على سَابِحٍ، أدْنَاكَ مِمَّا تَوَمَّلُ
وإنَّكَ إِنْ لَا تَرْكَبِ الْهَوْلَ لَا تَنْلُ
من المَالِ مَا يَكْفِي الصَّدِيقَ وَيَفْضُلُ،
إِذَا الْقِرْنُ لَاقَانِي وَمَلَّ حَيَاتَهُ
فَلَسْتُ أَبَالِي أَيَّنَا مَاتَ أَوَّلُ.

كان قائداً من الشجعان الأبطال. خاف أن يؤسر مرة فألقي نفسه في
الفرات، فمات غريقاً، نحو ٦٨٧م = ٦٨هـ.

٣ - البديل

أَلَمْ تَرَنِي بَعَثَ الْإِقَامَةَ بِالشُّرَى

وَلِيْنَ الْحَشَايَا بِالْجِيَادِ الضَّوَامِرِ

أَرَيْنِي فَتًى يَغْنِي غَنَائِي وَمَوْقِفِي

إِذَا رَهَجَ الْوَادِي بِوَقْعِ الْحَوَافِرِ .

٤ - أبناء الليل

وَلَلَّيْلِ أَبْنَاءُ وَلِلصُّبْحِ إِخْوَةٌ

وَأَبْنَاءُ لَيْلِي مَعْشَرِي وَقَبِيلِي

إِذَا نَطَقُوا لَمْ يُسْمَعْ اللَّغْوُ بَيْنَهُمْ

وَإِنْ غَنِمُوا لَمْ يَفْرَحُوا بِجَزِيلِ

وَمَا خَنَتْ سِيفِي فِي اللَّقَاءِ وَلَا نَبَا

عَلَيَّ إِذَا مَا سُدَّ كُلُّ سَبِيلِ .

١ - حب لا ينتهي

وقالوا: لو تَشَاءُ سلوت عنها

فقلتُ لهم، فَإِنِّي لَا أَشَاءُ

لَهَا حُبٌّ تَنْشَأُ فِي فُؤَادِي

فليسَ له، وَإِنْ زُجِرَ، انتهَاءُ.

٢ - اليأس والأمل

وَجِئْتُ فَلَمْ أَنْطُقْ، وَعَدْتُ فَلَمْ أُطِقْ

جَوَاباً - كَلَّا يَوْمِي يَوْمٌ عَيَاءُ

فِيَا عَجَبِي مَا أَشْبَهَ الْيَأْسَ بِالْمُنَى

وَأِنْ لَمْ يَكُونَا عِنْدَنَا بِسَوَاءٍ.

اسمه قيس . اشتهر بحبه لليلى حتى الجنون . أمضى أواخر أيامه هائماً، وكان قومه يتركون له طعاماً في الأماكن التي ينتقل فيها . وذات يوم وجد ميتاً في واد كثير الحجارة، وذلك نحو ٦٨٨ م = ٦٨ هـ .

... فَبُعْدٌ وَوَجْدٌ وَاشْتِيَاقٌ وَرَجْفَةٌ

فَلا أَنْتِ تُذْنِينِي، وَلا أَنَا أَقْرَبُ

كُعْضُفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلِ يَزْمُهَا

تَذُوقُ حِيَاضِ الْمَوْتِ، وَالطِّفْلِ يَلْعَبُ

فَلا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرِقُّ لِمَا بِهَا

وَلا الطَّيْرُ ذُو رِيشٍ يَطِيرُ فَيَذْهَبُ،

وَلِي أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ

وَلَكِنْ بَلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ؟

أَحْجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ، فِي أَيِّ هَوْدَجٍ

وَفِي أَيِّ خِذْرِ مِنْ خُذُورِكُمْ قَلْبِي؟

وَمُغْتَرِبٍ بِالْمَرْجِ يَبْكِي بِشَجْوِهِ

وَقَدْ غَابَ عَنْهُ الْمُسْعِدُونَ عَلَى الْحَبِّ

إِذَا مَا أَتَاهُ الرِّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ

تَنْفَسُ يَسْتَشْفِي بِرَائِحَةِ الرِّكْبِ.

... فأصبحتُ من ليلَى الغداة كناظرٍ
مع الصّبح في أعقاب نجمٍ مُغرّبٍ،
ألا إنّما غادرتِ يا أمّ مالِكٍ
صدى، أينما تذهبُ به الرّيحُ يذهبُ.

٦ - الحمامة والوجد (*)

ألا قاتَلَ اللّهُ الحمامةَ غُدوةً
على الغُصْنِ، ماذا هيّجت حين غنّتِ
فما سكنتُ حتى أويتُ لصوتِها
وقلتُ: أرى هذي الحمامة جُنّتِ،

أيا مُنْشِرَ الموتى، أعنّني على التي
بها نهلت نفسي سقاماً وعلّتِ
لقد بخلت حتى لو أنّي سألتُها
قذى العين من سافي التراب، لَضَنّتِ
وما وجدُ أعرابيّةٍ قذفتُ بها
صروف التّوى من حيث لم تك ظنّتِ

(*) نسبت بعض هذه الأبيات في الأغاني، إلى أعرابي.

بأكثرَ مني لوعةً، غير أنني
أُجمِّمُ أحشائي على ما أجنَّتِ.

٧ - القلب (*)

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغْدِي
بَلِيلَى الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ
قَطَاةً عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ
تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
لَهَا فَرُخَانٍ قَدْ تَرَكَا بِقَفْرِ
وَعَشُّهُمَا تُصَفِّقُهُ الرِّيحُ.

٨ - حسد

أَرَى الْإِزَارَ عَلَى لَيْلَى فَأَحْسَدَهُ
إِنَّ الْإِزَارَ عَلَى مَا ضَمَّ مَحْسُودُ.

٩ - ثياب

زَهَا جِسْمُ لَيْلَى فِي الثِّيَابِ تَنَعَّمًا
فِيَا لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ بَعْضَ بُرُودِهَا.

(*) تنسب هذه الأبيات أيضاً إلى نصيب.

١٠ - لَذَّةُ الْحَبِّ

تَشْكِي المحبُّون الصَّبَابَةَ، لِيَتَنِي

تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ، مِنْ بَيْنِهِمْ وَخُدي

وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الْحَبِّ كُلِّهَا

فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي.

١١ - الْحَجَر

... وَمُنْجَدِلًا كَالْحَبْلِ مِنْ سَوْرَةِ الْكُرَى

يَرَى الْحَجَرَ الْمَلْقَى فَرَاشًا مُمَهَّدًا.

١٢ - الدَّمْع

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ ودَّعْتَ

تَوَلَّيْتُ، وَمَاءَ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ

فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ

إِلَيَّ التَّفَاتَا، أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ.

١٣ - الدَّمْعُ أَيْضًا(*)

مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ، إِمَّا مُجَاوِرُ

حَزِينُ، وَإِمَّا نَازِحُ يَتَذَكَّرُ،

(*) من أبيات يتنازعها في الرواية أكثر من شاعر - بينهم أبو حية النميري والحرثي وسوار بن عبد الله القاضي.

نَظَرْتُ، كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ
إِلَى الدَّارِ، مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
بَعِينِينَ، طَوْرًا يَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ
فَأَعْشَى، وَطَوْرًا يَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ
وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاؤُهَا
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَذُوبُ وَتَقْطُرُ.

١٤ - الوشاة

أَمْسَى وَشَأْتُكَ قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُهَا
وَقَدْ رَمَوْكَ بَعِينَ الْغَشِّ وَابْتَدَرُوا
تُرِيكَ أَعْيُنُهُمْ مَا فِي صُدُورِهِمْ
إِنَّ الصَّدُورَ يُوَدِّي غَيْبَهَا النَّظَرُ.

١٥ - سرب القطا

شَكُوتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا، إِذْ مَرَزَنَ بِي
فَقُلْتُ، وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
أَسِرْبِ الْقَطَا، هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ
لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ.

وإِنِّي لِنَارٍ، دُونَهَا رَمْلٌ عَالِجٌ
على ما بَعَيْنِي مِنْ قَذَى، لَبَصِيرُ
كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ حِينَ يُنِيرُهَا
كَنْجَمٍ خَفِيَ فِي الظَّلَامِ يُنِيرُ،
فيا رَبِّ هَبْ نَفْسِي لِنَفْسِي، وَدَاوِنِي
بَلِيلِي، لِتُجَلِيَ كُرْبَةً وَزَفِيرُ.

١٦ - اسم ليلي

ودَاعِ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مِني
فَهَيَّجْ أَحْزَانِ الْفَوَادِ وَمَا يَدْرِي
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
أَطَارَ بَلِيلِي طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي...

ولو أَنَّنِي، إِذْ حَانَ وَقْتُ حِمَامِهَا
أَحْكَمْ فِي عُمْرِي لِقَاسِمَتِهَا عُمْرِي
فَحَلَّ بَنَا الْفَقْدَانُ فِي سَاعَةٍ مَعَا
فَمِتَّ وَلَا تَدْرِي، وَمَاتَتْ وَلَا أَدْرِي.

١٧ - الجن

وجاءوا إليه بالتَّعاوِيزَ والرُّقَى
وصبُّوا عليه الماءَ مِنْ أَلَمِ النِّكْسِ،
وقالوا: بِهِ مِنْ أَعْيُنِ الْجِنِّ نَظْرَةٌ
ولو عقلوا، قالوا: بِهِ نَظْرَةُ الْإِنْسِ.

١٨ - شبه ليلي

وذكّرني مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ
مَحَاجِرُ خِشْفٍ فِي حَبَائِلِ قَانِصٍ
فقلتُ، ودمع العينِ يَجْرِي بِحُرْقَةٍ
وَلَحْظِي إِلَى عَيْنِيهِ لِحْظَةً شَاخِصٍ
أَلَا أَيُّهَا الْقَانِصُ الْخِشْفَ خَلَّهِ
وإن كنتَ تَأْبَاهُ، فَخُذْ بِقَلَائِصِي.

١٩ - وإني لأهواها

إذا جَاءَنِي مِنْهَا الْكِتَابُ بِعَيْنِهِ
خَلُوتُ بِبَيْتِي حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْأَرْضِ
فَأُبْكِي لِنَفْسِي رَحْمَةً مِنْ جَفَائِهَا
وَيُبْكِي مِنَ الْهَجْرَانِ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي

وَأِنِّي لَأَهْوَاهَا مُسِيئاً وَمُحْسِناً
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي لَهَا بِالَّذِي تَقْضِي .

٢٠ - كَأَن فَوَادِي

كَأَن فَوَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى، يَشْدُّ بِهِ قَبْضَا
وَتُضْحِي فِجَاجِ الْأَرْضِ حَلَقَةً خَاتِمٍ
عَلَيَّ، فَمَا تَزْدَادُ طَوَلاً وَلَا عَرْضَا
وَأَغْشَى فَيُخْمِي لِي مِنَ الْأَرْضِ مُضْجَعِي
وَأُضْرِعَ أَحْيَاناً فَالْتَزَمَ الْأَرْضَا .

٢١ - الزَّجَاجَةُ

فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي وَدَمْعِي مُسْبِلٌ
وَقَدْ صَدَعَ الشَّمْلُ الْمَشْتَتَ صَادِعُ
أَلَيْلَى بِأَبْوَابِ الْخَدُورِ تَعَرَّضْتُ
لِعَيْنِي أَمْ قَرْنٌ مِنَ الشَّمْسِ طَالِعُ؟
وَأَنْتِ الَّتِي صَيَّرْتَ جَسْمِي زُجَاجَةً
تَنْمُ عَلَى مَا تَحْتَوِيهِ الْأَضَالِعُ .

٢٢ - وأتبع ليلي (*)

وَأَتَّبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَلْفٌ وَمُودِّعٌ

كَأَنَّ زِمَاماً فِي الْفَوَادِ مُعَلَّقاً

تَقَوُّدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُ

أُبَيْتُ بِرُوحَاتِ الطَّرِيقِ كَأَنِّي

أَخُو جَنَّةٍ أَوْصَالُهُ تَتَقَطَّعُ.

٢٣ - الخصيم والشافع

وَمَا بِنْتُ إِلَّا خَاصِمَ الْبَيْنِ حُبُّهَا

بِحَالَيْنِ مِنْ قَلْبٍ مُطِيعٍ وَسَامِعٍ

تَبَارَكَ رَبِّي كَمْ لِلَّيْلِ إِذَا انْتَحَتِ

بِهَا النَّفْسُ عِنْدِي مِنْ خَصِيمٍ وَشَافِعٍ،

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَقَابِضٍ

عَلَى الْمَاءِ خَائِثُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ.

(*) نسبت هذه الأبيات في الأغاني إلى عمر بن سعيد بن زيد.

٢٤ - الطريق

أردُّ سواءَ الطَّرْفِ عنكَ ومالَه
على أحدٍ، إلَّا عليك، طريقُ.

٢٥ - أقول لظبي

أقول لظبي مرَّ بي وهو راتِعٌ
أأنتَ أخو ليلى، فقال: يُقالُ
أيا شُبَّهَ ليلى إنَّ ليلى مَريضةٌ
وأنتَ صَحيحٌ، إنَّ ذا لَمُحالُ.

٢٦ - البين

أُمرِّمعةً للبين ليلى ولم تمت
كأنَّكَ عَمَّا قد أَظَلَّكَ غافِلُ
ستعلمُ إن شَطَّتْ بهم غُرْبَةُ النَّوى
وزالوا بليلى، أنَّ لَبَّكَ زائِلُ.

٢٧ - متاهة الحبِّ

أظنُّ هواها تَارِكِي بِمَضَلَّةٍ
مِنَ الأَرْضِ، لا مَالٌ لَدَيَّ ولا أَهْلُ

ولا صَاحِبٌ أَشْكُو إِلَيْهِ بَلِيَّتِي
ولا وَارِثٌ إِلَّا الْمَطِيَّةُ وَالرَّحْلُ.

٢٨ - ضياع

إني لأَجْلِسُ فِي النَّادِي أُحَدِّثُهُمْ
فَأُسْتَفِيقُ، وَقَدْ غَالَتْنِي الْغُولُ
يُهْوِي بِقَلْبِي حَدِيثُ النَّفْسِ نَحْوَكُمْ
حَتَّى يَقُولَ جَلِيسِي: أَنْتَ مَخْبُولٌ.

٢٩ - الهوى المتجدد

ولو أَصْبَحْتُ لَيْلَى تَدْبُ عَلَى الْعَصَا
لَكَانَ هَوَى لَيْلَى جَدِيداً أَوَّائِلُهُ.

٣٠ - يا ليت أنا

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ غُرٌّ صَغِيرَةٌ
وَلَمْ يَبْدُ لِلْأُتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ
صَغِيرِينَ نَزَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَا
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ تَكْبَرْ الْبَهْمُ.

٣١ - تمتع بليلى

تَمَتَّعْ بِلَيْلَى، إِنَّمَا أَنْتَ هَامَةٌ

مِنْ الْهَامِ يَدْنُو كُلَّ يَوْمٍ حِمَامُهَا

تَمَتَّعْ إِلَى أَنْ يَرْجَعَ الرَّكْبُ إِنَّهُمْ

مَتَى يَرْجِعُوا يَحْرُمُ عَلَيْكَ، كَلَامُهَا.

٣٢ - الموت اليومي

عَجِبْتُ لِعُرْوَةِ الْعُذْرِيِّ أَمْسَى

أَحَادِيثاً لِقَوْمٍ بَعْدَ قَوْمٍ

وَعُرْوَةُ مَاتَ مَوْتاً مُسْتَرِيحاً

وَهَا أَنْذَا أَمُوتُ بِكُلِّ يَوْمٍ.

٣٣ - تمام الحج

إِذَا الْحُجَّاجُ لَمْ يَقِفُوا بِلَيْلَى

فَلَسْتُ أَرَى لِحِجَّهِمْ تَمَاماً

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا

عَلَى لَيْلَى وَتُقْرِئَهَا السَّلَامَا.

٣٤ - الموت والحب

لَوْ أَنَّ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا عُدِلَتْ بِهِ
سِوَاهَا، وَلَيْلَى بَائِنٌ عَنْكَ بَيْنُهَا
لَكُنْتَ إِلَى لَيْلَى فَقِيرًا وَإِنَّمَا
يَقُودُ إِلَيْهَا وَدَّ نَفْسِكَ حَيْثُهَا.

٣٥ - الحنين

أَحِنُّ إِذَا رَأَيْتُ جِمَالَ قَوْمِي
وَأُبْكِي إِنْ سَمِعْتُ لَهَا حَنِينًا
سَقَى الْغَيْثَ الْمَجِيدُ بِلَادَ قَوْمِي
وَإِنْ خَلَّتِ الدِّيَارُ وَإِنْ بَلَيْنَا.

٣٦ - إذا نظرت

إِذَا نَظَرْتُ عَرَفْتُ الْجَيِّدَ مِنْهَا
وَعَيْنَيْهَا، وَلَمْ نَعْرِفْ سِوَاهَا
كَرِهْنَا أَنْ نُفَزَّعَهَا فَقَلْنَا
أَسَلَّ اللَّهُ كَفِّي مَنْ رَمَاهَا.

٣٧ - ماذا يُظَنُّ بليلى (*)

ماذا يُظَنُّ بليلى إذ أَلَمَّ بها

مَرَجَّلُ الرَّأْسِ ذُو بُرْدَيْنِ مَزَّاحُ

حَلَوُ فُكَاهَتُهُ، خَزُّ عِمَامَتِهِ

فِي كَفِّهِ مِنْ رُقَى إِبْلِيسِ مِفْتَاحُ؟

٣٨ - النهاية

خَلِيلِي مُدًّا لِي فِرَاشِي وَازْفَعَا

وَسَادِي - لَعَلَّ النَّوْمَ يُذْهَبُ مَا بِيَا

خَلِيلِي قَدْ حَانَتْ وَفَاتِي فَاطْلُبَا

لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا.

(*) ينسب هذان البيتان لأعرابي.

١ - امرأة

يعيبونها عندي، ولا عيبَ عندها
سوى أن في العينين بعض التأخرِ
فإن يك في العينين سوءٌ، فإنَّها
مُهَفِّفَةٌ الأعلَى رَدَّاحُ المؤخِّرِ.

٢ - صديق

... أخوا لك إن طال التَّنائي وجدتهُ
نسيّاً، وإن طال التَّعاشُرُ مَلَكَا،
ولو كنتَ سيفاً يُعجب النَّاسَ حدُّهُ
وكنْتَ له يوماً مِنَ الدَّهرِ فَلَكَا
ولو كنتَ أَهْدَى النَّاسِ ثم صَحْبَتَهُ
وطاوعَتَهُ، ضَلَّ الهوى وأضَلَّكَا

اسمه ظالم. أول من وضع النحو ورسم أصوله. مات بالطاعون نحو
٦٩١م = ٦٩هـ.

إِذَا جِئْتَهُ تَبْغِي الْهَدَى، خَالَفَ الْهَدَى
وَإِنْ جُرْتَ عَنْ بَابِ الْغَوَايَةِ دَلَّكَ.

٣ - سكوت

سَأَسْكُتُ حَتَّى تَحْسِبُونِي أَنَّنِي
مِنْ الْجَهْدِ فِي مَرْضَاتِكُمْ، مُتَمَاوِتٌ.

٤ - البعد والقرب

أَبَتْ نَفْسِي لَهُ إِلَّا أَتْبَاعًا
وَتَأْبَى نَفْسُهُ إِلَّا أَمْتِنَاعًا
كِلَانَا جَاهِدٌ، أَدْنُو وَيْنَا
فَذَلِكَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا اسْتَطَاعَا.

٥ - الحبيبة العجوز

أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا أُمَّ عَوْفٍ وَحَبَّهَا
عَجُوزًا، وَمَنْ يَحِبُّ عَجُوزًا يُفْنَدِ
كَسَخَقِ يَمَانٍ، قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَرُفِعَتْهُ مَا شِئَتْ فِي الْعَيْنِ وَالْيَدِ.

... وظننت بأنني كل ما رَضِيتُ بهِ
 رَضِيتُ بهِ، يا جَهْلَهَا كَيْفَ ظَنَنْتِ!
 وصاحِبْتُهَا ما لو صَحِبْتُ بِمِثْلِهِ،
 على ذِعْرِهَا، أَرْوِيَّةً لا طِمَأَنْتِ،
 تَشْكِي إلى جاراتِها وبناتِها
 إذا لم تجد ذنباً علينا تَجُنَّتِ.

ألم تعلمي أنني إذا خِفْتُ جَفْوَةً
 بمنزلةٍ، أبعدتُ منها مطيَّتي
 وأنني إذا شَقَّتْ عليَّ حليلتي
 ذَهَلْتُ، ولم أَحْزِنُ إذا هي حَنَّتِ.

١ - أيها المالكُ

أيُّها المالكُ المُرهَّبُ بالقتلِ،

بلغتَ النِّكَالَ كلَّ النِّكَالِ

وقرنْتُم مع الخنازيرِ هِرّاً

ويميني مغلولَةً وشمالي

وكلاباً يَنْهَشُنَنِي مِنْ ورائي

عَجِبَ النَّاسُ ما لَهَنَ ومالي؟

يَغْسِلُ الماء ما صنعْتَ، وقولي

راسِخٌ مِنْكَ في العِظامِ البوالي .

حبسه عبيد الله بن زياد، وقرن بهرة وخنزيرة وكان قد أسهل بطنه فأخذ
يسلح وهو يطاف به في شوارع البصرة والصبيان يتبعونه . كان يكتب شعره
على حيطان سجنه فيؤمر أن يمحوه بأظافره فزالت ، ثم صار يمحوه بعظامه
ودمه . مات نحو ٦٨٨م = ٦٩هـ .

... فلو أَنَّ لَحْمِي إِذْ هَوَى، لَعَبْتُ بِهِ

كِرَامُ الْمُلُوكِ، أَوْ أُسُودٌ وَأَذْؤُبُ

لَهُونٌ وَجَدِي، أَوْ لَزَادَتْ بَصِيرَتِي

وَلَكِنَّمَا أَوَدَّتْ بِلَحْمِي أَكْلُبُ، -

فَقُلْ لِعُبَيْدِ اللَّهِ: مَا لَكَ وَالِدٌ

بِحَقٍّ، وَلَا يَدْرِي أَمْرُؤُ كَيْفَ تُنْسَبُ؟

١ - بُكاء

بكى أَحَدٌ لَمَّا تَحَمَّلَ أَهْلُهُ

فكيف بذى وَجِدٍ من القومِ أَلِفٍ؟

٢ - كآبة

أَقْطَعُ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِاِكْتِئَابٍ

وزفيرٍ، فما أَكَادُ أَنَامُ

نحو قومي، إِذْ فَرَّقْتَ بَيْنَنَا الدَّارُ

وَحَادَثَ عَنْ قَصْدِهَا الْأَحْلَامُ.

اسمه عمرو. نفاه ابن الزبير عن المدينة إلى الشام، فكتب شعراً يحن به إليها، مما جعل ابن الزبير يعفو عنه ويسمح له بالعودة، لكنه في طريق عودته توفي حوالى ٦٩٢م = ٧٠هـ.

وما أخرجتنا رغبةً عن بلادنا
ولكنَّه ما قَدَّرَ اللَّهُ كائِنُ
أَحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبَابَةً
كَأَنِّي أَسِيرٌ فِي السَّلَاسِلِ رَاهِنٌ.

الأعداء

... فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ بَعْضُهُ
بِبَعْضٍ، أَبَتِ عِيدَانُهُ أَنْ تَكْسَرَا،
وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلِبِيَّةً
يَقُودُونَ جُرْدًا لِلِمَنِيَّةِ ضَمَّرَا
سَقِينَاهُم كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَضْبَرَا.

خيال

... خَيَالٌ لَجِغْدَةٍ قَدْ هَاجَ لِي

نُكَاساً مِنَ الْحَبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

تَسَدَّى مَعَ النَّوْمِ تِمَثَالُهَا

دُنُو الضُّبَابِ بِطُلٍّ زُلَالِ

فَبَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي الْمَنَامِ

وَأَحْبَبَ إِلَيَّ بِذَاكَ السُّؤَالِ.

فَقَدْ هَاجَنِي ذِكْرُ أُمِّ الصَّبِيِّ

مِنْ بَعْدِ سُقْمٍ طَوِيلِ الْمِطَالِ

وَمَرَّ الْمَنُونِ بِأَمْرِ يَغُولُ مِنْ

رُزْءِ نَفْسٍ وَمِنْ نَقْصِ مَالِ،

وَقَدْ مَاتَ تَعَلَّقْتُ أُمُّ الصَّبِيِّ

مِنِّي عَلَى عَزْفٍ وَاكْتِهَالِ.

١ - صورة وصفية

إذا همَّ همًّا لم يرَ اللَّيلُ غُمَّةً
عليه، ولم تصعب عليه المراكبُ.

٢ - الداء والدواء

وإني ليدعُوني إلى طاعة الهوى
كواعبُ أثرابٍ مِراضٍ قلوبُها
بِهِنَّ من الداء الذي أنا عارفٌ
وما يعرف الأدواء إلاَّ طبيبُها.

٣ - تنكر الهارب

ألا، هل أتى فتیانَ قومي أنني
تسميْتُ، لما اشتدَّت الحربُ، زينبا؟

اسمه عبد الله. من المتمردين الفتاكين. عاش في البادية. مات حوالي
٦٩٥م = ٧٥هـ.

وأدْنَيْتَ جَلْبَابِي عَلَى نَبْتٍ لِحِيَتِي
وَأَبْذَيْتُ لِلْقَوْمِ الْبَنَانَ الْمَخْضَّبَا.

٣ - باب السجن

... وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبَابَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ
وَخَفْتُ لِحَاقًا مِنْ كِتَابٍ مُؤَجَّلٍ
رَدَدْتُ عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسًا شَرِيسَةً
إِذَا وَطَّنْتَ، لَمْ تَسْتَغْدِ لِلتَّذَلِّ
وَكَالِيءُ بَابِ السَّجْنِ لَيْسَ بِمَنْتِهِ
وَكَانَ فِرَارِي مِنْهُ لَيْسَ بِمُؤْتَلٍ.

إِذَا قُلْتُ: رَفَّهْنِي مِنَ السَّجْنِ سَاعَةً
تَدَارَكُ بِهَا نَعْمَى عَلَيَّ وَأَفْضَلُ
يَشِدُّ وَثَاقِي عَابِسًا وَيَتَلَّنِّي
إِلَى حَلَقَاتٍ فِي عَمُودٍ مُرَمَّلٍ.

٥ - إلى عالية

أَعَالِي، لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي
إِلَى غُصْنٍ رَطْبٍ، لِأَصْبَحَ بِأَلْيَا.

١ - صورة شخصية

يا رَبِّ ظِلِّ عُقَابٍ قد وَقَيْتُ بِهِ
 مُهْرِي من الشَّمْسِ والأَبْطَالِ تَجْتَلِدُ
 ويومٍ لَهْوٍ لأهلِ الخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ
 لَهْوِي اصطلاءً الوغَى، إذ نَارُهُ تَقْدُ
 مُشَهَّرًا موقفي والحربُ كاشِفَةٌ
 عنها القنَاعَ، وبحرُ الموتِ يَطْرُدُ،
 وربُّ هاجرةٍ تَغْلِي مَراجِلُها
 مَخَرَّتُها بِمِطَايَا غَارَةٍ تَخِذُ،
 فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ أَنْفِي، لَا أُمْتُ كَمَدًا
 على الطُّعَانِ، وقَصُرُ العَاجِزِ الكَمَدُ
 ولم أَقُلْ: لم أُسَاقِ الموتَ شاربِهِ
 في كَأْسِهِ، والمَنايَا شُرْعٌ وُرْدُ.

كان فارساً شجاعاً. قال أبو عبيدة بصدد شعره: هذا الشعر! لا ما
 تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيث! قتل في إحدى معاركه فقطع رأسه
 وحمل إلى الحجاج وذلك حوالي ٦٩٧م = ٧٨هـ.

٢ - لماذا الخوف؟

أقول لها، وقد طارت شعاعاً،

مِنَ الْأَبْطَالِ وَنَحْكَ لَا تُرَاعِي

فإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ

عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ، لَنْ تُطَاعِي.

٣ - حان الموت

إلى كم تُغَارِزِنِي السُّيُوفُ وَلَا أَرَى

مُغَارِزَاتِهَا تَدْعُو إِلَيَّ حِمَامِيَا

وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ، لَقَدْ أَنَى

لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو، لِطَوْلِ قِرَاعِيَا.

٤ - الموت الغنيمة

أَخْضَتُهُمْ بِحَرَ الْجِمَامِ، وَخُضَّتُهُ

رَجَاءَ ثَوَابٍ لَا رَجَاءَ الْمَغَانِمِ

فَأُبْنَا وَقَدْ حُزْنَا النَّهَابَ وَلَمْ نُرِدْ

سِوَى الْمَوْتِ غُنْماً وَابْتِنَاءِ الْمَكَارِمِ.

١ - امرأة

يُضِيءُ دُجَى الظَّلَامِ بَرِيقُ فِيهَا
وَتُبْصِرُ، حِينَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامًا
تُدِلُّ بِحُسْنِهَا وَسَطَ الْعِذَارَى
وَتَسْتَغْنِي، فَمَا تَبْغِي لثَامًا.

٢ - الحياة والموت

مَتَى مَا تَلَقَّ بِي خِيلاً تَدَاعَى
وَدُونَ فِرَاقِهَا وَجَعٌ وَمَوْتُ
فَلَسْتُ بِكَارِهِ لِلِقَاءِ رَبِّي
وَلَا فَرَحٍ الْفَوَادِ، إِذَا نَجَوْتُ.

١ - ما هذا الغضب؟

سَأَلَ الشُّرْطِيُّ أَنْ نَسْقِيَهُ
فَسَقَيْنَاهُ بِأَنْبُوبِ الْقَصَبِ،
إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أَمْوَالِنَا
فَسَلُّوا الشُّرْطِيَّ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟

٢ - الخمرة الشافية

وَمُقْعَدِ قَوْمٍ قَدْ مَشَى مِنْ شَرَابِنَا
وَأَعْمَى سَقَيْنَاهُ ثَلَاثًا فَأَبْصَرَ
... لَهَا مِنْ زَجَاجِ الشَّامِ عُنُقٌ غَرِيبَةٌ
تَأْتِقُ فِيهَا صَانِعٌ وَتُخَيِّرُ.

اسمه المغيرة. كان خليعاً مدمناً شرب الخمر. وكان يرشو الشرطة دائماً ليتخلص من السجن. وكان، في ما يقال، عنيماً. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

٣ - فراق الندامي

غَلِبَ الصَّبْرُ فَاغْتَرَثَنِي هُمُومٌ

لِفِرَاقِ الثُّقَاتِ مِنْ إِخْوَانِي

مَاتَ هَذَا وَغَابَ هَذَا، وَهَذَا

دَائِبٌ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ إِظْهَارِهِ النَّسْكَ

قَدِيمًا، مِنْ أَظْرَفِ الْفُثَيَانِ.

٤ - دَوْمَةُ الْخَمَّارَةِ

أَلَا يَا دَوْمُ، دَامَ لِكَ النَّعِيمِ

وَأَسْمُرُ مَلءُ كَفِّكَ مُسْتَقِيمُ

شَدِيدُ الْأَسْرِ يَنْبِضُ حَالِبَاهُ

يُحَمُّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمُ

يُرْوِيهِ الشَّرَابُ فَيَزْدَهِيهِ

وَيَنْفَخُ فِيهِ شَيْطَانٌ رَجِيمُ.

■ - غَزْوَةٌ

إِلَى جَيْشِ أَهْلِ الشَّامِ أُغْزِيَتْ كَارِهًا

سَفَاهًا، بِلَا سَيْفٍ حَدِيدٍ وَلَا نَبْلِ

فَأَزْمَعْتُ أَمْرِي، ثُمَّ أَصْبَحْتُ غَازِيَا
وَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْغَزَاةِ عَلَى أَهْلِي
وَقُلْتُ، لَعَلِّي أَنْ أُرَى ثُمَّ رَاكِبًا
عَلَى فَرَسٍ، أَوْ ذَا مَتَاعٍ عَلَى بَعْلٍ،

فَسَرْنَا إِلَى قَنْيَنَ يَوْمًا وَلَيْلَةً
كَأَنَّا بَغَايَا مَا يَسِرُّنَ إِلَى بَعْلٍ
إِذَا مَا نَزَلْنَا، لَمْ نَجِدْ ظِلًّا سَاحَةً
سِوَى يَابِسِ الْأَنْهَارِ، أَوْ سَعْفِ النَّخْلِ.

الحارث بن خالد المخزومي

١ - دار الحبيبة

لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا
سُفْلًا، وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَغْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا اخْتَمَلَتْ
مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا، قَبْلُ...

٢ - إلى الخليفة

صَحْبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ
فَلَمَّا انْجَلَتْ، قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلْوَمُهَا
وَمَا بِي وَإِنْ أَقْصَيْتَنِي، مِنْ ضَرَاعَةٍ
وَلَا افْتَقَرْتُ نَفْسِي إِلَى مَنْ يَضِيْمُهَا.

اشتهر بحبه لعائشة بنت طلحة. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ الطَّائِي

١- الحبّ والحبيبة

يا وَيْحَ كُلِّ مُحِبٍّ، كَيْفَ أَرْحَمُهُ
لَأَنْنِي عَارِفٌ صِدْقَ الَّذِي يَصِفُ،
كَأَنَّهَا رِيشَةٌ فِي عَرْضِ بَلْقَعَةٍ
مِنْ حَيْثُمَا وَاجَهَتْهَا الرِّيحُ تَنْصَرِفُ
يُنْسِي الْخَلِيلَيْنِ طَوْلَ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا
وَتَلْتَقِي طُرْفُ شَتَى فَتَأْتِلِفُ.

٢ - الدِّينُ وَالسِّيفُ

إِذَا الدِّينُ أَوْدَى بِالْفَسَادِ، فَقُلْ لَهُ
يَدْعُنَا، وَرُكْنَا مِنْ مَعَدِّ نَصَادِمُهُ
بَبِيضِ خِفَافِ مُزْهَفَاتِ قَوَاطِعِ
لِدَاوُودَ فِيهَا، أَثَرُهُ وَخَوَاتِمُهُ،
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ
تَحَرَّكَ يَقْظَانُ التُّرَابِ وَنَائِمُهُ.

عاش في البداية، ولم يكن يهجو ولا يمدح. مات نحو ٧٠٠ م = ٨٠ هـ.

١ - الفارس فضيلة

رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْقُرَشِيِّ لَمَّا
رَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجِّرُ بِالرِّمَاحِ
وَرَنَقَتِ الْمَنِيَّةُ فَهِيَ ظِلٌّ
عَلَى الْأَبْطَالِ دَانِيَةُ الْجَنَاحِ،
فَكَانَ أَشَدَّهُمْ قَلْبًا وَبَأْسًا
وَأَصْبَرَ فِي الْحُرُوبِ عَلَى الْجِرَاحِ.

٢ - امرأة

لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى
أَلَيْفَيْنِ مِنْهَا، لَا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ
فِيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدِكَ الْحَشْرُ،

اسمه عبد الله. مات نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا، سَكَنَ الدَّهْرُ
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
فَأُبْهَتَ - لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا نُكْرَ.

٤ - إِلَى الْحَبِيبَةِ

وَيَقْرَ عَيْنِي - وَهِيَ نَازِحَةٌ
مَا لَا يَقْرُ بَعِينَ ذِي الْجِلْمِ -
أَنْتِي أَرَى وَأُظَنُّ أَنْ سَتَتَرَى
وَضَحَّ النَّهَارُ وَعَالِي النَّجْمِ.
وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا
مِنْ غَيْرِ مَا رَفَقْتُ وَلَا إِثْمِ
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحْتُ
مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمِ،
قَدْ كَانَ صَرْمٌ فِي الْمَمَاتِ لَنَا
فَعَجَلْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصَّرْمِ
فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِفْتُ بِكُمْ
ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتُ عَنْ عِلْمِ.

ليلي (*)

وما بي عن ليلي سلو وما لها
تَلاقٍ، كلانا النَّايَ سوف يَذوقُ
سَقَاكِ، وإن أصبحتِ واهية القوى
شقائِئُ عَرَضٍ ما لهنَّ فتوقُ.
وَنُبِّئتُ ليلي بالعراقِ مريضَةً
فماذا الذي تُغني، وأنتَ صديقُ؟
سقى الله مَرَضِي بالعراقِ فإنني
على كلِّ شاكٍ بالعراقِ شَفِيقُ.
... لَعَلَّكَ بعدَ القيدِ والسَّجْنِ أن تُرى
تمرَّ على ليلي، وأنتَ طليقُ.

من الشعراء اللصوص. توفي نحو ٧٠٠ م = ٨٠ هـ.
(*) من قصيدة تنسب أيضاً للفأفاء بن حيان الكلابي.

ألا طرقت ليلي، على نأي دارها،
وليلي على شَحَطِ المزار طَرُوقُ
أسيراً يعضّ القيدُ ساقيه فيهما
مِنَ الحَلَقِ السُّمْرِ اللَّطَافِ وثيقُ.

١ - إلى عاشق

وذي حاجةٍ قلنا له: لا تَبْخُ بها
فليس إليها ما حيث سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونهُ
وأنتَ لأُخْرَى، فارغٌ وحَلِيلُ.

٢ - الحجاج

إذا هَبَطَ الحَجَّاجُ أرضاً مَرِيضَةً
تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاها.

٣ - صورة وصفية

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ القَمِيصُ تَخَالُهُ
بين البيوتِ من الحياءِ سَقِيمَا
حَتَّى إِذَا رُفِعَ اللَّوِيُّ رَأَيْتَهُ
تحت اللَّوِيِّ، على الخميسِ زَعِيمَا.

مرثية أخ

... وتحقيقَ رؤيا في المَنام رأيتها
فكان أخِي رُمحاً تَرَقَّضَ عامِلُهُ
بِمَثْوَى غَرِيبٍ، ليس مِنَّا مَزارُهُ
قريباً، ولا ذو الودِّ مِنَّا يُواصِلُهُ
إذا ما أتى يومٌ من الدَّهرِ بيننا
فحيَّاك مِنَّا شَرَفُهُ وأصائِلُهُ
تحيَّةَ مَنْ أَدَّى الرِّسالةَ - حُبِّبَتْ
إلينا، ولم تَرجعْ بشيءٍ رسائِلُهُ.

وكنْتُ أَعيرُ الدَّمْعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى
فأنتَ على مَنْ ماتَ بعدَكَ شاغِلُهُ.

مَيْسُونُ بِنْتُ بَخْدَلِ الْكَلْبِيَّةِ

البادية والمدنية

لَبِيتُ تَخْفُقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ،
وَلِبْسِ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشَّفُوفِ،
وَأَصْوَاتُ الرِّيَّاحِ بِكُلِّ فَجٍّ
أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدَّفُوفِ،

... خُشُونَةُ عَيْشَتِي فِي الْبَدْوِ أَشْهَى
إِلَى نَفْسِي مِنَ الْعَيْشِ الظَّرِيفِ
فَمَا أَبْغِي سِوَى وَطْنِي بَدِيلًا
فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطْنٍ شَرِيفٍ.

وصفها ابن عساكر بالذكاء والورع. زوجة معاوية وأم ابنه يزيد. بقيت بدوية الروح، فقال لها معاوية مرة: «أنت في ملك عظيم، وما تدرين قدره، وكنت قبل اليوم في العباءة». توفيت نحو ٧٠٠م = ٨٠هـ.

١ - حلقة الخاتم

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي مَخَالِبِ طَائِرٍ
إِذَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ شَدَّ بِهَا قَبْضًا
كَأَنَّ فِجَاجَ الْأَرْضِ حُلُقَةَ خَاتِمٍ
عَلَيَّ، فَمَا تَزْدَادُ طَوْلًا وَلَا عَرْضًا.

٢ - دعني أخاها

دَعَّنِي أَخَاها أُمُّ عَمْرٍو وَلَمْ أَكُنْ
أَخَاها، وَلَمْ أَرْضِعْ لَهَا بَلْبَانِ
دَعَّنِي أَخَاها بَعْدَمَا كَانَ بَيْنَنَا
مِنَ الْأَمْرِ، مَا لَا يَفْعَلُ الْأَخْوَانِ.

تغزل بنت معاوية. لا يعرف تاريخ موته.

١ - جهاد الحب

إذا قلت: ما بي يا بُثينة قاتلي

من الحب، قالت: ثابتٌ ويزيدُ

وإن قلت: ردّي بعضَ عقلي أعش به

تولّت، وقالت: ذاك منك بعيدُ!

فلا أنا مرذودٌ بما جئتُ طالباً

ولا حبُّها، فيما يبيدُ، يبيدُ

وأفنيّت عمري بانتظاري وعدّها

وأبليتُ فيها الدَّهرَ وهو جديّدُ،

ويحسب نسوانٌ، من الجهل، أنني

إذا جئتُ، إياهنّ كنتُ أريدُ

يموتُ الهوى مني إذا ما لقيتها

ويحيا، إذا فارقتها فيعودُ.

اشتهر بحبه العذري لبثينة. مات نحو ٧٠١ م = ٨٢ هـ.

يقولون: جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِعَزْوَةٍ
وَأَيِّ جِهَادٍ، غَيْرِهِنَّ، أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ
وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدٌ.

٢ - يقولون

يقولون: مَسْحُورٌ يُجَنُّ بِذِكْرِهَا
وَأُقْسِمُ مَا بِي مِنْ جَنُونٍ وَلَا سِحْرِ،
مَضَى لِي زَمَانٌ، لَوْ أَخَيَّرَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِدًا آخِرَ الدَّهْرِ
لَقُلْتُ: ذَرُونِي سَاعَةً وَبُثْنَةً
عَلَى غَفَلَةِ الْوَاشِينَ، ثُمَّ اقْطَعُوا عُمْرِي.
إِذَا مَا نَظَمْتُ الشَّعْرَ فِي غَيْرِ ذِكْرِهَا
أَبَى، وَأَبِيهَا، أَنْ يُطَاوِعَنِي شَعْرِي.

٣ - إلى بثينة

... وَيَكُونُ يَوْمٌ لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلًا
أَوْ نَلْتَقِي فِيهِ، عَلَيَّ كَأَشْهُرٍ
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً
إِنْ كَانَ يَوْمٌ لِقَائِكُمْ لَمْ يُقْدَرِ،

لا تحسبي أنني هجرتك طائِعاً
حَدَّثْ، لَعَمْرُكَ، رَائِعٌ أَنْ تُهْجَرِي،
يهوَاكِ، ما عَشْتُ، الفَوَّادُ، فَإِنْ أَمْتُ
يَتَّبَعُ صَدَايَ صَدَاكِ بَيْنَ الْأَقْبُرِ.

إِنِّي إِلَيْكَ بِمَا وَعَدْتَ لَنَاظِرٌ
نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُكْثِرِ
مَا أَنْتِ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِينِنِي
إِلَّا كَبْرَقَ سَحَابَةٌ لَمْ تُمَطِّرِ.

٤ - نظرة

تَمَتَّعْتُ مِنْهَا، يَوْمَ بَانُوا، بِنَظَرَةٍ
وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ؟
كَفَى حَزْناً لِلْمَرْءِ مَا عَاشَ أَنَّهُ
بِبَيْنِ حَبِيبٍ، لَا يَزَالُ يُرَوِّعُ
فَوَا حَزْناً، لَوْ يَنْفَعُ الْحَزْنَ أَهْلُهُ
وَوَاجِزَعَا! لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ مَجْزَعٌ.

٥ - بثينة والبعده

أَرَانِي لَا أَلْقَى بُثَيْنَةَ مَرَّةً
مِنَ الدَّهْرِ، إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ
أَبِيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا
وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلٍ.
نَأَيْتُ، فَلَمْ يُحْدِثْ لِي النَّأْيُ سَلَوَةً
وَلَمْ أَلْفِ طَوْلَ النَّأْيِ عَنْ خُلَّةٍ يُسْلِي
فَإِنْ وُجِدَتْ نَعْلٌ بِأَرْضٍ مَضَلَّةٍ
مِنَ الْأَرْضِ يَوْمًا - فَاعْلَمِي أَنَّهَا نَعْلِي.

٦ - نوم

وَإِنِّي لِأَسْتَغْشِي، وَمَا بِي نَعْسَةٌ
لَعَلَّ لِقَاءَ فِي الْمَنَامِ يَكُونُ.

٧ - خوف ونسيان

لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بَغْتَةً
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيَ
وَإِنِّي لَيُنْسِينِي لِقَاؤُكَ كُلَّمَا
لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبْثُكَ مَا بِيَا.

٨ - ضمان

أرى كلَّ مَعْشُوقَيْنِ، غيري وغيرها،
يلذَّانِ في الدُّنيا وَيَغْتَبِطَانِ
وَأَمْشِي وتمشي في البلادِ كَأَنَّا
أَسِيرَانِ لِلْأَعْدَاءِ مُرْتَهِنَانِ،
ضَمَنْتُ لَهَا أَنْ لَا أَهَيِّمَ بِغَيْرِهَا
وقد وَثَّقْتُ مِنِّي بِغَيْرِ ضَمَانِ.

٩ - يقيك جميل

يَقِيكَ جَمِيلٌ كُلَّ سَوْءٍ، أَمَّا لَهُ
لَدَيْكَ حَدِيثٌ، أَوْ إِلَيْكَ رَسُولٌ؟
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْلِي رِضَاكَ، فَعَلَّامِي
هَبُوبَ الصَّبَا، يَا بَشَنَ، كَيْفَ أَقُولُ
فَمَا غَابَ عَن عَيْنِي خِيَالُكَ لَحْظَةً
وَلَا زَالَ عَنْهَا، وَالْخِيَالُ يَزُولُ.

١٠ - فكيف كبرت؟

تَقُولُ بُثَيْنَةُ لَمَّا رَأَتْ
فُنُوناً مِنَ الشَّعْرِ الْأَحْمَرِ:

كبرت، جميل وأودى الشباب،
فقلت: بُثْنِ، ألا فاقْصُرِي!
أتنسين أيامنا باللّوى
وأيّامنا بِذوي الأَجْفَرِ؟
ليالي أنتم لنا جيرة
ألا تذكرين؟ بلى، فاذكري...
وإذ أنا أغيدُ، غَضُّ الشَّبابِ،
أجر الرِّداء مع المِئْزَرِ
وإذ لِمَتِي كَجناحِ الغرابِ
تُرَجَّلُ بالمسك والعنبرِ،
فغيّر ذلك ما تعلّمين تغيّر
ذا الزّمنِ المُنكَرِ
وأنتِ كَلُولُوةَ المرزبانِ،
بماءِ شبابكِ - لم تُعْصِرِي
قريبانِ مَرَبَعُنا واحدٌ
فكيف كبرت ولم تُكْبِرِي؟

١١ - النهار والليل

أظَلَّ نهارِي مُسْتَهَاماً، وَيَلْتَقِي
مع اللَّيْلِ رُوحِي في المنامِ وروحُها

فهل لي في كتمانِ حَبِّي راحةً
وهل تَنفَعَنِي بَوْحَةٌ لو أَبُوحُهَا؟

١٢ - مسك الحبيبة

كَأَنَّ فَتِيَّتَ الْمِسْكِ خَالَطَ نَشْرَهَا
تُغَلِّ بِهٍ أَرْدَائُهَا وَالْمِرَافِقُ
تَقُومُ إِذَا قَامَتْ، بِهِ، مِنْ فِرَاشِهَا
وَيَغْدُو بِهِ مِنْ حَضْنِهَا مَنْ تُعَانِقُ.

١٣ - مودة

... وَتَحْتَ مَجَارِي الدَّمْعِ مِنَّا مَوَدَّةٌ
تُلاحِظُ سِرًّا - لَا يُنَادِي وَلِيْدُهَا
رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَدَّهَا
فَمَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا، وَلَا أَسْتَزِيدُهَا.

١٤ - القلب

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُخْدِتُ صَبْوَةٍ
تَمُوتُ لَهَا - بُدِّلْتُ غَيْرَكَ مِنْ قَلْبٍ!

١٥ - الحديث والنظر

لا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ
مَالِي بِمَا دُونَ ثَوْبِهَا خَبَرُ
وَلَا بِفِيهَا، وَلَا هَمَمْتُ بِهِ
مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثَ وَالنَّظْرُ.

فهرس الشعراء في الجزء الأول (حسب التسلسل التاريخي)

٩٣	دوید بن زید الحميري
٩٤	لقيط بن يعمر الإيادي
٩٥	أبو نصر البرّاق
٩٦	أُحَيْحَة بن الجُلّاح
٩٧	جَحْدَر بن ضُبَيْعَة
٩٨	الشَّنْفَرى الأزدي
١٠١	المهلهل بن ربيعة التغلبيّ
١٠٣	سعد بن مالك البكري
١٠٤	بشّر بن أبي خازم الأسدي
١٠٦	عمرو بن قميّة
١٠٩	امرؤ القيس
١٢٠	تأبّط شرّاً
١٢٤	أبو دؤاد الإياديّ

١٢٦	المرقش الأكبر
١٢٩	الأخنس بن شهاب التغلبي
١٣٠	عوف بن الأحوص
١٣١	السّمؤال بن عادياء
١٣٤	عميرة بن جعيل التغلبي
١٣٥	طرفة بن العبد البكري
١٣٩	المتلمس الضبيعي
١٤١	الحارث بن حلزة الإشكري
١٤٣	عمرو بن حلزة الإشكري
١٤٤	الأفوه الأودي
١٤٨	المرقش الأصغر
١٥٠	عبد الله بن عجلان التهدي
١٥١	عبد المسيح بن عسلة الشيباني
١٥٢	حاتم الطائي
١٥٧	عبد يغوث الحارثي
١٥٩	عمرو بن كلثوم التغلبي
١٦٤	المثقب العبدي
١٦٨	عدي بن زيد العبّادي
١٧٢	الأسود بن يعفر النهشلي

- ١٧٤ سلامة بن جندل السعدي
- ١٧٥ ذو الإصبع العدواني
- ١٧٧ عبيد بن الأبرص الأسدي
- ١٨٠ الشَّدَاخ الكناني
- ١٨١ عترة العبسي
- ١٨٦ قس بن ساعدة الإيادي
- ١٨٧ مالك بن حريم الهمداني
- ١٨٩ أبو ثمامة الضبي
- ١٩٠ أبو صعتر البولاني
- ١٩١ أعشى باهلة
- ١٩٢ باقل الربيعي
- ١٩٣ ثعلبة بن عمرو
- ١٩٤ حاجز الأزدي
- ١٩٥ عبيد بن ماوية الطائي
- ١٩٦ قُرَيْط بن أُنَيْف العنبري
- ١٩٧ قيس بن الحِدادية
- ٢٠٠ الْمُتَنَخِّل الهذلي
- ٢٠١ الْمُثَلَّم بن رياح المري
- ٢٠٢ مُجَمِّع بن هلال

- ٢٠٣ مُخْرِز بن المَكْعَبِ الضَّبِّي
 ٢٠٤ الهَذْلُول بن كعب العَبْرِي
 ٢٠٦ علقمة الفحل
 ٢٠٨ المنخَّل اليَشْكُرِي
 ٢١٠ النابغة الذبياني
 ٢١٨ طُفَيْل بن عوف الغَنَوِي
 ٢٢٠ سُلَيْك بن السُّلَكة السَّعْدِي
 ٢٢٢ زهير بن أَبِي سلمى المَزْنِي
 ٢٢٨ الحصين بن الحُمَامِ المَرِّي
 ٢٢٩ موسى بن جابر الحنفي
 ٢٣٠ كَعْب بن سعد الغَنَوِي
 ٢٣٤ صَخْر بن الشَّرِيد
 ٢٣٥ عروة بن الورد العبسي
 ٢٤٢ وَرْد الجَعْدِي
 ٢٤٣ أوس بن حجر
 ٢٤٧ قيس بن الخطيم الأَوْسِي
 ٢٥٣ مَنظُور بن سَحِيم
 ٢٥٤ عمرو بن قُنعاس المَرَادِي
 ٢٥٥ الرَّبِيع بن ضَبُع الفَزَارِي

٢٥٦	أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ النَّفَّيِّ
٢٦٠	الأعشى الكبير
٢٧٣	جِرَانُ العَوْدِ التَّمِيرِيِّ
٢٨٠	دُرَيْد بن الصَّمَّة
٢٨٥	المُزَرَّد بن ضِرَار الغطفاني
٢٨٩	عامر بن الطفيل
٢٩١	عمرو بن بَرَّاقَة الهَمْدَانِيَّ
٢٩٢	مالك بن نويرة اليربوعي
٢٩٤	أبو خِرَاش الهُذَلِيَّ
٢٩٥	ربيعة بن مقروم الضبي
٢٩٦	العبَّاس بن مِرْداس السُّلَمِيَّ
٢٩٨	عمرو بن شَأْس الأَسَدِيَّ
٢٩٩	أبو سفيان بن الحارث
٣٠٠	عمرو بن معد يكرب الزبيدي
٣٠٣	الشَّمَّاح بن ضِرَار الغطفاني
٣٠٤	الخنساء
٣٠٧	عبدَة بن الطَّيِّب
٣١١	كعب بن زهير
٣١٨	تميم بن مُقْبِل

- ٣٢٢ أَبُو ذُوئِبِ الْهُذَلِيِّ
 ٣٢٥ بِشْرُ بْنُ رَبِيعَةَ الْخَثْعَمِيِّ
 ٣٢٦ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيِّ
 ٣٣٤ ضَابِيُّ بْنُ الْحَارِثِ الْبَرْجَمِيِّ
 ٣٣٥ أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيِّ
 ٣٣٧ عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ
 ٣٤٠ مُتَمَّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ الْيَرْبُوعِيِّ
 ٣٤٢ أَبُو مِخْجَنٍ الثَّقَفِيِّ
 ٣٤٧ سُحَيْمُ بْنُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ
 ٣٥٠ النِّجَاشِيُّ
 ٣٥٢ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامَرِيِّ
 ٣٥٩ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ
 ٣٦٠ ابْنُ أَرْطَاةٍ
 ٣٦٢ ابْنُ ذِي الْحَبْكَةِ التَّهْدِيِّ
 ٣٦٣ سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ الرَّيَّاحِيِّ
 ٣٦٤ هُذْبَةُ بْنُ خَشْرَمٍ
 ٣٦٥ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ
 ٣٧٢ كَعْبُ بْنُ جُعَيْلٍ التَّغْلَبِيِّ
 ٣٧٣ عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ

٣٧٤	الحطيئة
٣٧٨	سُوَيْد بن أَبِي كَاهِل الْيَشْكِرِيّ
٣٨١	مَالِك بن الرَّيْب المازني
٣٨٣	أَبُو زُبَيْد الطَّائِي
٣٨٥	أَبُو دَهْبَل الْجُمَحِيّ
٣٨٨	معن بن أَوْس المزنيّ
٣٨٩	عمرو بن أَحمر الباهلي
٣٩٠	عَدِيّ بن حاتم الطَّائِيّ
٣٩١	الأُبَيْرِد الرِّياحيّ الْيَزْبُوعِيّ
٣٩٢	قيس بن ذَرِيح
٤٠١	عبيد الله بن الْحَرّ الْجُعْفِيّ
٤٠٣	المجنون
٤١٨	أَبُو الْأَسود الدُّوْلِيّ
٤٢١	يزيد بن مُفَرِّغ الْحَمِيرِيّ
٤٢٣	أَبُو قَطِيفَة
٤٢٥	زُفَر بن الحارث الْكَلابِيّ
٤٢٦	أُمَيَّة بن أَبِي عَائِد الْهُذَلِيّ
٤٢٧	الْقَتَال الْكَلابِيّ
٤٢٩	قَطْرِئ بن الْفُجَاءَة

- ٤٣١ سُراقَة البارقيّ
- ٤٣٢ الأقيسر الأسديّ
- ٤٣٥ الحارث بن خالد المخزوميّ
- ٤٣٦ حُرَيْث بن عَنّاب الطَّائِيّ
- ٤٣٧ أبو صَخْر الهُذَلِيّ
- ٤٣٩ طَهْمَان بن عمرو الكِلَابِيّ
- ٤٤١ ليلي الأَخِيلِيَّة
- ٤٤٢ الشَّمَزْدَل بن شُرَيْك
- ٤٤٣ مَيْسُون بنت بَحْدَل الكَلْبِيَّة
- ٤٤٤ عبد الرحمن بن حسان
- ٤٤٥ جميل بثينة

بعد حوالي خمسين عاماً على صدور ديوان الشعر العربي
بأجزائه الثلاثة، تعيد دار الساقى إصداره في طبعة مزيدة ومنقّحة
في أربعة أجزاء.

لا يزال هذا العمل الكلاسيكي مصدراً لا غنى عنه للقارئ
والباحث على السواء لأنه أسّس لذائقة عربية شعرية وجمالية
جديدة، انبثقت من جدلية العلاقة بين التراث والحداثة، ومن
نظرة جديدة إلى التراث الشعري العربي.

مكتبة بغداد



ISBN 978-1-85516-370-6



9 781855 163706 >